بين يدي الأستاذ

السيد حسن الأبطحي





بين يديّ الأستاذ

بين يديّ الأستاذ

تأليف

السيّد حسن الأبطحي

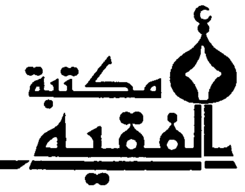
ترجمة: كمال السيد

الجزء الأول



الطبعة الأولى

١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م



www.efaqeeh.com
البريد الالكتروني contact@efaqeeh.com

الكويت - السالمية - شارع أبوهريرة (متفرع من شارع عمان) مقابل مدرسة سالم الحسينان
تلفون: ٥٦١٣٩١٣ - فاكس: ٥٦١٤١٨٧ - ص.ب: ٣٠٥٢ - السالمية، الرمز البريدي: 22031 الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

عالم الانسانية.. عالم عميق الأغوار.. عالم غامض ومجهول، كثيرون من البشر يتصورون أنفسهم صغاراً محدودين لكننا لو أصغينا إلى هؤلاء وتساءلنا معهم عن شعور بالبداية أو إحساس بالنهاية لقلما وجدنا منهم من يذكر له بداية أو تخطر في باله نهاية.

ان المرء يكاد ينكر أن تكون بدايته لحظة الميلاد ويكاد يرفض في الوقت نفسه أن يكون الموت هو النهاية.. هذا الاحساس المتجذر في الذات قد يكون أول الأدلّة على أن تاريخ الانسان روحياً يمتد إلى ماض سحيق أما مستقبله فسوف يستمر إلى ما شاء الله وما الدنيا إلّا مرحلة عابرة في مسار طويل.. طويل جداً. يقولون إن الشعور بالظمأ أكبر دليل على وجود الماء.. والشوق إلى الخلد دليل على وجود عالم الخلد.. وإن الانسان أكبر مما نتصور، يقول الامام علي عليه السلام:

دواؤك فيك وما تبصر

وداؤك فيك وما تشعر

وتزعم أنك جرم صغير

وفيك انطوى العالم الأكبر

الانسان مخلوق من طين من صلصال من حمأ مسنون ثم نفخ الله فيه من روحه وعلمه الأسماء كلّها وسجدت له الملائكة كلهم أجمعون وكرّمه الله وخلقه في أحسن تقويم وشاءت ارادته سبحانه أن يُمتحن في عالم الدنيا، وأن يكتشف بنفسه الطريق إلى الله وأضاء الله له معالم الطريق..

يقول الامام عليه السلام: **من عرف نفسه فقد عرف ربّه.**

اكتشاف الانسان نفسه يعني اكتشافه البداية والمآل.. نقطة الانطلاق وطريق العودة.

وما الحياة الدنيا إلّا لعب ولهو وأن الدار الآخرة لهي الحياة الحق.

الدنيا مقطع عابر في عمر الانسان.. والدنيا بظروفها والمعاناة التي فيها تستحيل بالنسبة للنفوس التي تتطلع للحياة الحقيقية والخلود الأخضر إلى سجن وأن الكيان الانساني إنما يكمن في البناء الروحي، وما جسد الانسان إلّا قفص أو رداء مثقل بالمادّة والطين والأدران:

أنا عصفور وهذا قفصي

طرت عنه وبقى مرتهنا

أنا في الصور وهذا جسدي

كان ثوبي وقميصي زمنا

وأنا الآن أناجي ملأً

وأرى الله جهاراً علنا

لا تظنوا الموت موتاً إنه

ليس إلا نقلة من ههٰنا

انه من الظلم الكبير والسقوط أن يعتبر البعض تاريخ الانسان هو تاريخ البحث عن الطعام.. أو يقول:

انما الدنيا طعام

وشراب ومنام

فإذا فاتك هذا فعلى الدنيا السلام

كلّا إن الانسان أعظم وأسمى من ذلك، ان تاريخه هو تاريخ البحث عن الحقيقة عن الله عن البداية والمصير.

لقد قرأت في مراهقتي عدّة كتب تأثرت بها أيما تأثر. في البداية قرأت كتاب «ألف ليلة وليلة» حيث العوالم المسحورة التي تمزج بين الحقيقة والخيال تجارب الانسان وطموحاته وتطلعاته ولكن كل ذلك كان يصور عالم اللذائذ الحسية المترعة بالمتع.. حيث الدنيا كؤوس من الخمر

المعتقة وفتيات الشرق الساحرات وليالي اللذة الحمراء وأطباق الاطعمة الشهية والمغامرات الجنسية..

وقرأت كليلة ودمنة وما تنطق به من الحكمة الانسانية على لسان الحيوانات..

لكني تأثرت بشدّة لا توصف بـ «قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن» وأحدثت في نفسي هزة روحية.. لأنه أيقظ في أعماقي عالم الروح وسمعت الله يناديني أن هلمّ إليّ..

وهذه الكتب كلّها معروفة في مكتباتنا العربية لكني أريد أن ألفت النظر إلى كتاب آخر مضى أكثر من ٢٥ سنة على مطالعتي إياه «هكذا عرفت نفسي للمرحوم الاستاذ السيد محمد جمال الهاشمي»[١].. الذي سجل تجربته الفنية في هذا المضمار واعتبرها «رسالة تنزّلت عليّ في ساعة حالمة هزتني فوعيت فنظرت فاضطربت فكان من تلك الساعة ميلادي الجديد».

وميزة الكتاب أنه لا ينطوي على الجانب العلمي منه، فحسب بل أودع ذلك في قالب أدبي فني في غاية في التأثير والامتاع.

ولأنني شبه متأكد من خلوّ المكتبات في العصر الحاضر من هذا الكتاب وأمثاله أثبت بعض المقاطع منه فقد تكون دعوة لإعادة طبعه وتقديمه من جديد في وقت نحن في أمس الحاجة فيه إلى اكتشاف أنفسنا واعادة صياغة الباطن:

«جرس يرن باتصال، وصوت يتردد في الفضاء ويقول: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾﴾ هنا محكمة الحقائق، هنا محكمة الحقائق.

تتألف هذه المحكمة من القاضي. المتهم. والشاكي. والشهود.

القاضي: الوجدان

الشاكي: الضمير

المتهم: أنا

الشهود: جوارح وجوانح.

---

(١) النجفي العراقي.

يسألني القاضي ـ وقد وقفت امامه بذل وانكسار، بينما يقف خصمي بجلال ووقار ـ ما اسمك؟ أنا. سيد محمد بن سيد جمال الهاشمي النجفي، احد طلاب الحوزة العلمية في النجف الأشرف.

القاضي: اعرض شخصك بصراحة دون لبس والتواء.

أنا: عرضت ذلك بحقيقته، إذ لا داعي لي في الاختفاء.

القاضي: إذن أنت لا تفهم ذاتك، ان اسمك الذي أطلقته على نفسك ليس عنوانك الصحيح، ان عنوانك الصحيح هو الذي يلازمك في كل زمان ومكان، بينما عنوانك الذي تسمى به من مخترعات والدك، استحبه في ساعة من ساعات ايامه فاطلقه عليك، كما ان والدك لم يكن إلا آلة صماء في خلقك، لا تتمكن من التقديم أو التأخير في تاريخ وجودك، بينما الاب هو الخالق الذي يتصرف في تاريخ الايجاد كما يشاء، اما موطنك فانه مثل موطن ابيك، وعنوانك مزيف أيضاً، فان وجودك ساعة الميلاد في النجف كان بنحو من المصادفة، ولو فرض ان امك كانت ساعة ميلادك في الجزائر لكنت جزائرياً لا نجفياً، بينما الوطن هو الذي لا يتمكن ساكنه من الانتقال عنه.

أما ادعاؤك طلب العلم فهي دعوى مضحكة، فان الدعوى لابد وان تظهر بملابسات تعتمد عليها بينما دعواك فارغة من كل الملابسات، ان طلب العلم له مميزات ومشخصات تفقدها كلها، ولذلك كانت دعواك هذه افرغ من دعوى العنوان والوطن.

أنا: فمن أنا يا سيادة القاضي؟ عرفني نفسي، فان رهبة المحكمة أنستني حتى نفسي.

القاضي: أنا أيضاً متحيّر في حقيقتك الملتوية، إنّ كلّ ما تحمله مستعار زائف، ان قسمات وجهك وخصائص وجودك، وعناوينك الشخصية والاجتماعية كلها طلاء يزول بمرور العمر كما يزول طلاء الجدار بمرور الزمان، فانت والجدار في زيف الصورة سواء، وربما يمكنني أن انسبك إلى الزمان لو كان الزمان باقيا، لكنه يزول كما تزول مشخصاتك، فأنت من أنت؟ وما أنت؟ دعني أتذكرك، فإن التذكر يرشد التفكر، انت عبد الشهوة، والشهوة مملوكة الغريزة، والغريزة تديرها الحياة، والحياة تبعثها

الروح الخالدة، والروح تختص بالله، فانت انت عبدالله بموجب هذا التسلسل، وربما كنت مخطئاً في عرض هذه الصورة عنك، فان من ينتمي الى الله بالعبودية لابد وان تكون فيه سمات العبد، وانت تتبنى الحرية في كل شيء، ولذلك تراني متردداً في نسبتك إلى الله بالعبودية، ولكن لا مناص من تعريفك بهذه النسبة.

وربما امكنني ان اعرض صورتك على نفسك باطار آخر، انت تمتاز عن غيرك من العناصر بالارادة والاختيار، فكل ما في الكون يجري الى مستقر ومستودعٍ بلا ان يكون له في جريانه قصد ولا ارادة ابدا، بينما تجري أنت الىٰ ما تريد وكما تريد، فانت تمتاز عن غيرك بخصوصية الاختيار، والذي يميزه الاختيار عن غيره يسمى بالانسان، فانت انسان لا غير، ان الاطارين يعرضان صورتك الحقيقية للناظر، فهما يلازمانك في كل ادوار حياتك، يلازمانك ساعة ميلادك ويلازمانك ساعة موتك، ويلازمانك مهما اختلفت بك الازمنة والامكنة، ومهما تباينت فيك الأزياء والصور، فانت عبد الله في كل فصول حياتك، وانت انسان في كل ادوار عمرك. فاذا عرفت ذاتك فهلم معي وأجب على دعوى خصمك بوضوح وبيان:

يدعي هذا الواقف امامك بانك خنته ولا زلت تخونه في كل حكم وموضوع، فهو كما يقول: شريكك في رأس المال الذي تتاجر به في حياتك، وقد انفردت بالتصرف فيه تعمل به ما تشاء كأنه لك وحدك لا شريك لك، بينما هو يشاركك في كل بضاعة تعرضها حياتك.

انا: مولاي القاضي إني لا أعرف هذا الخصم الشاكي، ولم أره في طيلة ايام حياتي، حتى احسبه شريكي في مكاسبي!

الضمير: ـ وهو يتوجه إلي ـ أنت لا تعرفني؟ أنت لم ترني؟ سجلي اعترافه ايتها المحكمة العادلة لكيلا ينكره كما أنكرني.

القاضي للضمير: هل لك بينة تثبت شراكتك مع هذا الخصم المنكر؟

الضمير: اسمح لي يا سيادة القاضي ان أُعرّفه بنفسي أولاً، ثم أقيم لك البيّنات المشرقة، [يتوجه الضمير إلي وقد توترت عروق وجهه واحمرت، وكأنها تريد ان تقذفني بدمائها الثائرة]، اني اعرفك بنفسي في

أيام لا تنساها.. اتذكر يوم تسابقت فيه والاستاذ... في موضوع شعري اقترحته لجنة من اصدقائك، وقد سبقك في الاجادة والابداع، بيد ان اللجنة راعت صداقتك معها فأرادت ان تعطي حكمها لصالحك وأنت تعلم ان اللجنة تخون الفن والحق في حكمها لك، وأرادت نفسك منك ان تترك اللجنة وعملها الخائن لولا ان رأيتني أعرض عليك نتيجة الحق وانك ستهدم كياناً انسانياً عاماً لمصلحتك الشخصية، فاطعتني وطلبت من صديقك ان لا يخالف الحق والفن في حكمه، وكان لعملك صداه في المجتمعات الادبية والانسانية؟

أتذكر ايضاً يوم حاولت ان تخون الأمانة التي استودعها عندك صديقك... تخونها وتدعي ضياعها أو سرقتها، وكنت تعلم ان تلك الامانة كل ما يملكه الصديق المعهود، فإذا هضمتها فقد هدمت حياته وحياة عائلته الكبيرة، وهناك صوّرت لك النتيجة المترقبة منك ومن صديقك، فرأيت نفسك لصاً حقيراً يسرق مال صديقه العزيز، ورأيت أعزّ اصدقائك في حالة بائسة يائسة، أنت كنت السبب فيها، فخجلت مني، واستحقرت نفسك، وتركت ما كنت مقدماً عليه؟

هاتان صورتان من مئات الصور أقدمها لك كشاهدي تعريف لعلاقتنا، فاذا اكتفيت بهما، وإلا فسأُقيم لك معرضاً يعج بالصور المثيرة لحياتك المشرفة.

أنا: عفواً يا اخي اني تذكرتك، فانت ذلك الاخ المساعد لأخيه في عشرات المواقف الفاشلة، واني حين أنكرتك كنت مسحوراً بهذه المحكمة الرهيبة، وبقاضيها الجبار.

الشهود: العين تقول للذاكرة سجلي ما ارسله اليك من حوادث هذا اليوم الرهيب.

الضمير: ـ الى القاضي ـ اسمعت كيف اصبحت اخاه المساعد بعد ما كنت غريباً عنه لم يرني طيلة ايامه واعوامه، اَلَمَسْتَ الاقرار بعد الانكار، لكني استميح المحكمة ان تتناسى هذه الجريمة فلا تسجلها عليه لأن الارتباك يبدو لنا في كل حركاته وسكناته.

القاضي: ـ وهو يلتفت إلى الضمير بغضب ـ ليس لك ان تنفي او

تثبت شيئاً من الاحكام، ان ذلك من شؤون المحكمة. ان الاقرار بعد الانكار جريمة قانونية لها غرامتها وجزاؤها.

الشهود: القلب يهمس للدماغ: هذا ما كنت احذره منك في الحياة، انك بقياساتك الباطلة حطمت أحاسيسي وعواطفي واوقفت صاحبنا هذا الموقف المخزي.

أنا: ما أنا أيها القاضي إلا بشر كالناس أتأثر بالمناظر، وان مشاهد هذه المحكمة التي تكشف السرائر وتهتك الاسرار، انها أروع محكمة تقيمها الانسانية على هذه الارض، ان ما تتركه شخصية القاضي في نفس المتهم يكفي لأن تزلزل كيانه وتهد قواه ولذلك تراني ذاهلاً حتى عن شخصي المعلوم المجهول، ان ما لمسته ذاتي من ذاتي في هذا اليوم يكفي لان يغير نظرتي الى ذاتي ثم إلى العالم، انني ولدت من جديد، وهل يعاقب ابن يومه على هفوة أو زلة أو اثم؟ انني معذور في أقوالي وأعمالي لانها تصدر مني دون ان تكون لي فيها ارادة ولا اختيار.

القاضي: هب أنا عفونا عن هذه الجريمة وتناسينا اقرارك بعد انكارك، فماذا تقول في دعوى هذا الواقف امامك؟

أنا: لم اعرف دعواه بعد، وكل ما استفدته من موقفي هذا اليوم انه يدعي مشاركته لي في شؤون الحياة، ولا ادري عن أي شأن من شؤون حياتي يتحدث؟ أيقصد بها شؤوني الاجتماعية التي جاهدت وحدي في تحقيقها وغامرت بأيامي واعوامي حتى وصلت إلى ما وصلت إليه؟ ام يقصد بها شؤوني المالية؟ انني يا سيادة القاضي اشكر الله على اني لا املك من حطام الدنيا اكثر من القوت اللازم، وحتى قوتي اللازم لا يتأتى لي إلا بالدين والاستعارة، ام يقصد بها شؤوني المنزلية؟ هل سمعت بانسان يتخذ شريكا له في زوجته واولاده؟ انني متحير في دعواه، ولذلك أرجو من المحكمة ان تطلب منه بأن يوضح لي هذه الشراكة وجهاتها فعسى ان اتذكرها.

القاضي: ـ للضمير ـ لا مانع لدى المحكمة من توضيح غموض دعواك للمتهم.

الضمير: اني أشكر المحكمة على موقفها المشرف من هذه الدعوى

الملتوية، ومن هذا الخصم الذاهل، انني اعرض شراكتي وحدودها على هذا الخصم، فعسى ان يفيء إلى الحق، ويذعن للعدالة الانسانية، ويرجع لي الحقوق المهضومة، [وهنا يلتفت الضمير اليّ ويخاطبني بلهجة ساخرة]: قل ليّ يا صاحبي من اين تكوّن وجودك الانساني، وبماذا تتميز عن غيرك من الناس؟ واعتقد بانك ستجيبني بان لك سمات خاصة تميزك عن غيرك بعينيك وأنفك ووجهك، وطولك وعرضك، وسائر الآثار البارزة في بدنك، وفكرك وقلبك وشعورك واحساسك وسائر الآثار الخفية في وجودك وهي التي تميزك عن غيرك وتجعلك تعيش في دنيا خاصة بك، وهنا اسألك: هل لقلبك كما لعينيك ولفكرك وكما لسمعك دعوات واستجابات، وهل للقلب آفاق خاصة يعيش فيها، اعتقد بانك لا تستطيع تجاهل تلك الآفاق والحدود، فانه كما تتألم الحواس الظاهرة فيك من مشاهد ومناظر خارجية تحس بها وبما فيها من الصور المشجعة، كذلك القلب يرتاح ويتألم من المشاهد والمناظر التي تعرضها عليك دنياه في حدودها وآفاقها، وهنا استفسر منك بأنك هل تدري بماذا يرتاح القلب ويتألم؟ ومن الذي يريحه ويؤلمه؟ فيريح الخواطر والذكريات ويؤلمها؟ اعتقد بانك لو راجعت مذكرات حياتك لعرفته به، ان من يزعج القلب ويؤنس الخواطر هو انا ايها الاخ العاق، انك ان استجبت لايحائي وسرت في الطريق التي اوجهك اليها تعيش وأنت مرتاح القلب والخواطر، وان عاكستني في توجيهي تعيش منزعج القلب والخواطر وكأنك مجرم ينتظر السجن والعقاب، فهل عرفتني وعرفت حدود شراكتي أيها الاخ العاق والشريك الخائن، وهل آمنت بأني اشاطرك حياتك في كل مكان وزمان.

وهنا يلتفت الضمير الى القاضي ويقول: كفاني تعريفاً لنفسي ولأتوجه اليكم بدعواي واطلب منكم تحقيق العدالة الانسانية، اطلبها وانا اعتقد بان المحكمة قادرة على تحقيقها، سيدي القاضي: ان هذا الواقف امامك قد خانني، وغصب حقوقي، وانكر وجودي، فهو (وانا شريكه في رأس مال حياته) يعيش وكأنني غير موجود معه فهو ينكرني في البيت فيأمر وينهى ويعتدي ويستسلم ويغضب ويرضى بلا ان يلتفت اليّ والى تحذيري، وهو في السوق يغش ويزيف ويطفف مكاييله وموازينه، وهو في المجتمعات يتظاهر بحب الانسانية، وبصحبة الضمير (أي بصحبتي أنا)، ويهتف بسقوط

الظلم وبحياة العدالة، بينما هو يعادي العدالة في أعماله وآرائه، ويتبع الظلم في تصرفاته واحكامه، انه بعيد عني في كل شيء، ظالم لكل احد حتى لأهله واولاده، وهنا يرتفع صوته حتى يصل إلى حد الصراخ، ويستمر في خطابه للقاضي بتلك اللهجة الصارخة وقد مزجها بالنشيج: انصفني يا سيادة القاضي، وخذ حقي من هذا الظالم القاسي، فقد لاقيت منه ما لا يصبر عليه حتى الجماد، انصفني وارجع لي حقوقي المغصوبة.

الشهود: يلتفت كل عضو إلى آخر مؤكدين بانه صادق في كل دعاواه.

القاضي: ما جوابك على هذه الدعاوى؟

انا: سكوت. وانكسار. وخشوع ممزوج ببكاء.

القاضي: اجب على اسئلة المحكمة وإلا فسأنفذ فيك أحكام القانون حرفيا.

انا: صمت. . ونشيج يرتفع رويداً رويداً حتى يغمر المحكمة.

القاضي: وهو يلتفت إلى الاعضاء: ان جلستنا تنقلب سرية لنتشاور في الحكمة على هذه الدعوى المستغربة، وتختم الجلسة.

بعد مرور ثلاث ساعات على المشاورة استؤنفت جلسة المحاكمة كما كانت بأعضائها وشهودها، وافتتح الجلسة سيادة القاضي بقوله: إنكَ ايها المتهم مصاب بداء وبيل صعب العلاج، وان جريمتك ترجع اسبابها إلى الادواء المتغلغلة في وجودك، ولذلك قبل ان نطبق عليك أحكام مادة هذه الجريمة قررنا ان نعرضك على الطبيب الاختصاصي بهذا اللون من المرض، فان قرر ما قررناه، وطبعا يكون قراره بعد اجراء الفحوص والتجارب الطبية عليك، نعم ان توافق قرارنا وقراره نكتفي بعلاجك حسبما يراه الطبيب المعالج، وإن وجد أنَّ الباعث على الجريمة هو حب الاجرام الناشيء عن الشذوذ الطبيعي في امثالك من نوادر البشر، فان لك احكاماً خاصة نجريها عليك، وان كان الباعث هو سوء التربية الراجع إلى المحيط والبيئة، فان هناك احكاماً خاصة أيضاً نطبقها عليك.

وهكذا ساقتني المحكمة إلى عيادة طبيب نفساني راح يجري عليّ تجاربه وفحوصه ثم قرر رأيه في مرضي، وانه ناشيء من سوء التربية الناشيء من فساد المحيط والبيئة، ولما عدت الى المحكمة مشفوعاً بقرار

الطبيب التفت إليّ القاضي وقال لي انك مريض بالعدوى، ان الجو الذي كنت تعيش به كان متسمماً بالاهواء، ولما كنت قد تنفست فيه راحت سمومه الفتاكة تنفذ إلى طبيعتك السليمة فتسممها، ولذلك يلزمنا ان نخرج السم منها، وان عملية اخراج السم وان كانت قبلئذ تجري بمشقة مزعجة، ولكن العلم قد سهل صعوبتها بوسائله الجديدة، واول ما يجب عليك القيام به هو الهرب من نفسك المسمومة، لئلا تتأثر بها سائر انحاء وجودك، ان النفس الانسانية، تتأثر بالمحيط الذي تعيش فيه بسهولة وقد تأثرت نفسك بجو حياتك فنفذ السم اليها شيئاً فشيئاً حتى غمرها، فهي الآن كتلة من السم يتأثر به كل من يدنو اليها فعليك ان تفر منها.

انا: كيف افر يا سيدي القاضي من نفسي؟ وإلى اين افر؟ وهل لي مجال اعيش فيه وحدي من دون نفسي؟

القاضي: وقد ارتاح لسؤالي: نعم يمكنك ان تفر من نفسك وتعيش انساناً لا نفس له، اما المهرب الذي تفر إليه فهو الله، وقد دلك إليه القرآن الكريم بقول: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾، ان الله هو الملجأ الوحيد الذي يمكنك ان تعيش فيه بلا ان تزاحمك النفس بوساوسها واهوائها.

انا: كيف افر الى الله؟ ارشدني الى وسيلة تمكنني الفرار من نفسي إلى الله.

القاضي: ان الفرار من النفس لا يتحقق إلا بموت النفس، وموتها يتحقق بقطع وسائل الحياة عنها، ومواد حياتها تنفيذ اهوائها واطاعة اوامرها، فخالفها في اهوائها واستمر على المخالفة حتى تضعف طاقتها وتضعف الى ان تفنى، ومخالفتها لا يمكن إلا بعد ان ترفع عن بصيرتك غشاوة الجهل بنور العلم، فان العلم يرشدك إلى طريق الفرار باضوائه الهادية المنبعثة من مؤلفات العلماء واحاديثهم، ان العلم اقوى من الهوى، لانه يسير في النهار المشرق، والهوى يتخبط في الليل الحالك، والنور يبدد الظلمة، فالعلم اقوى من الهوى، فاذا تمكنت من هوى النفس فكبحته فقد تمكنت من نفسك لانها لا تعيش إلا به، فاذا قطعت مادة حياتها عنها فقد افنيتها، ومتى افنيتها فررت إلى الله الذي سيعصمك بظله عن الحوادث، ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم.

انا: يا سيادة القاضي هييء لي وسائل الفرار الى الله والاعتصام به لكي اتخلص مما انا فيه، وسوف ابقى اذكرك بالشكر ما بقيت حيا.

القاضي: ان محكمتنا قد هيأت لك تلك الوسيلة، فقد صدر قرارها باحالتك إلى مدرسة الاحداث، لتربيك بوسائلها الصالحة الصحيحة.

انا: كيف أنتمي الى مدرسة الاحداث وانا قد تجاوزت الاربعين، من العمر.

القاضي: انك لم تزل طفلا حدثاً بالرغم من مرور هذه الاربعين انك طفل في ملكاتك وغرائزك، ورب طفل وهو شيخ كبير في آرائه وافكاره، انك طفل حدث جداً، ولذلك نحيلك إلى مدرسة الاحداث. نختم جلستنا.

الشهود: ـ بعضهم لبعض ـ كنا ننتظر عقاباً أقسى من هذا الحكم، ولكن المحكمة ابصر بأعمالها من غيرها.

«وهنا قال: هيا بنا فقد طال الحديث، وهكذا خرجنا من البلد لنستقبل الصحراء، خرجت معه وانا مراقب أقوالي واعمالي لئلا تزل، فيكرر هجومه عليّ، فيتأخر سفرنا الوجداني، سرنا خطوات ربما لا تتجاوز العشرة، واذا به يقف ويواجهني بهذا السؤال، قل لي: إلى أين تريد أن تتوجه بسفرك هذا؟ والى أي بلدة تريد مني ان اسافر بك؟ لأنك كما تدعي رجل رشيد في أقوالك وآرائك، وحقيقة كانت مفاجأة منه لي لم اتوقعها منه في تلك الساعة، وعلى مثل تلك الحالة التي انا فيها، ولكنني تماسكت وأجبته: بأن المدرسة أرسلتني لاطبق درساً عملياً لابد لي من تطبيقه، وان المدرسة لم تذكر لي الجهة المقصودة، كما لم تقف بي على الغاية المنشودة، وكل ما هنالك اني تلميذ في مدرسة تسير وفق برنامج معين، فلها ان توجهني وعليّ ان اطيعها بعد استفسار عن الجهة أو الغاية، بعد ما اطمأنت نفسي بسيرها وغايتها، فقال لي: اذن انت آلة صماء في هذا المعمل الذي تسميه المدرسة، لا تقدم ولا تؤخر من نفسك لنفسك شيئاً، ومن الغريب أني أرضى بمصاحبة هيكل فارغ لا يملك لنفسه نفعاً، ولا يدفع عن نفسه ضراً، فلي العذر اذا فارقتك فاني لا افارق إلا صنماً اصماً، وتمثالاً جامداً، واني لا أحب مصاحبة الاصنام والتماثيل، قلت له: اولست انت مثلي أيضاً آلة تديرها اجهزة المدرسة بلا أن يكون لك اختيار

من نفسك لنفسك في هذا الدوران. فقال لي: وقد حضره الغضب المخيف ـ لا، أنا مالك نفسي اوجهها كما اشاء، لي حريتي في كل شيء، وقد قبلت الانتماء باختياري إلى هذه المؤسسة، ومتى رأيتها لا تلائم وضعي اسحب انتمائي اليها بكل حرية واختيار، كما ان الرحلات التي تكلفني بها المدرسة أو الدروس التي القيها فيها، لي الحرية الكاملة في قبولها أو رفضها، فليس للمدرسة ولا لرجالها القائمين على شؤونها اجباري على أي شيء فيها، فقد خلقني الله حراً لأتمتع بحريتي كما تشاء الحرية، وقد رأيت مني الازورار من الرحلة، كما رأيت منهم الطلب الضارع والسؤال المنكسر، فهم يلتمسون مني الدرس، وانا امنحهم ما امنحهم منها جوداً وتفضلاً، فقلت له ـ وقد ازعجتني هذه الكبرياء، وآلمني ذلك الترفع ـ: ألست موظفاً في هذه المؤسسة تتقاضى راتبك منها؟ وألست مستأجراً للقيام بهذه الدروس والرحلات تأخذ اجرتك عليها؟ وأين الحرية من الموظف والمستأجر؟ فهما مستخدمان يقومان بالعمل الذي تبتغيه منهما الوظيفة والاجارة فبأي حرية تتغنى ايها الموظف الاجير؟ وهنا ابتسم في وجهي وقال: ان فهمك محدود جداً، فأنت لا تدرك الّا الظواهر ولذلك تنفي الحرية عن الموظف والأجير ولو كنت ممن درس فوعى بان المتمكن من السبب متمكن من المسبب لما جابهتني بهذا المنطق الضعيف، وهنا اسألك: هل انا حر في قبول هذه الوظيفة اوردها؟ أو أنا مجبر على قبولها بحيث لا أستطيع ردها عن نفسي! قلت له: نعم انت مختار في القبول او الرد، فقال لي: ان المختار في الوظيفة مختار في القيام بشؤونها ايضاً، فهو متمكن من ترك تلك الشؤون باستقالته من الوظيفة، لان المتمكن من السبب متمكن من المسبب، قلت له: ولكنك بعد قبولك الوظيفة اصبحت حريتك الاولى مقيدة بالوظيفة فانت مجبور على القيام بما تريد، كما ان الانسان لا يمكنه ان يمنع المسبب بعدما اوجد السبب، فهو قد كان حراً قبل إيجاد السبب، اما بعد ايجاده فان المسبب يوجد بالرغم منه، اراد صاحبه أم لم يرده فليس لصاحبه بعد إيجاد السبب اختيار أبداً. قال لي ـ وقد اخذته حدة في الكلام مخيفة ـ قلت لك: ان المتمكن من السبب متمكن من المسبب، وان فقد هذا المتمكن بعد إيجاد السب، لكنه بما ان وجود السبب وعدمه بيده، ووجود المسبب وعدمه بوجود السبب فتمكنه من

السبب يلازم تمكنه من المسبب، واطلب منك ان تتأمل في كلامي لتفهم مرامي، وإلا فان الاسترسال في هذا النقاش لا يوصلنا إلى غاية ونهاية، فأنت يا رفيق سفري حر في قبول هذا السفر لأنك حر في الانتماء إلى المدرسة، وأنا أيضاً حر في مصاحبتك لأني حر في قبول التدريس فيها، فلا تنفي عن نفسك حرية تفضل بها عليك المنعم العظيم، واذا كنت حراً في عملك، كان عليك ان تعي عملك وتتوصل إلى الغرض المنشود منه، وإلا فستطلب مجهولاً لا تفهمه، وتسير إلى جهة لاغرض لك فيها وطالب المجهول مذموم عند العقلاء، فعليك ان تعي غرضك من سفرك، كما عليك ان تعرف مقصدك منه وأعتقد بأني قربتك من الغرض، لو تأملت قليلاً، فانت قد دخلت هذه المدرسة لغرض معيّن في نفسك وانت هضمت دروسها لنفس الغرض، وانت تتوجه في سفرك هذا لتحصل ذلك الغرض، فوجهتك الغرض المنشود، فاذن انت لا تطلب مجهولاً كما تتصور، ولا تسير إلى جهة غير معلومة كما تقول، فقلت له ـ وقد اطربني بيانه وتحقيقه ـ: نعم يا سيدي الأستاذ كما قلت. انا أسير إلى جهة خاصة كما اطلب غرضا معيناً، وهما تكميل النفس، وتحصيل الانسانية الصحيحة، ولهذه الغاية أتحمل ما أتحمل من المشاق والآلام، أما الدروس الفكرية والعملية، فان غموضها امر طبيعي للتلميذ، وإلّا فلو كانت واضحة لما لزمه احتمال مشقة التعليم، اما أنت أيها الأستاذ القدير والمرشد الخبير فان عملك رأس مالك في الحياة، فانت عالم بمبدأ السير ومنتهاه، وبالطرق التي نجتازها في سفرنا الوجداني، لكنما فيك خشونة تتعب السالك، وغموض يبعث الحيرة في سلوك التلميذ ومعاملته معك، فازورراي عنك مرة، واحتمالي خشونة اخلاقك مرة اخرى، منشؤهما سماحي من ناحية، وجهلي باخلاقك وسيرك الاجتماعي من ناحية اخرى، فلك العذر على وضعك لأنك تطبعت عليه، ولي العذر على وضعي لأنني جاهل بك وباخلاقك، واردت ان استرسل في خطابي، واذا به يضع يده على فمي، ويرجع الجمل والمفردات المتزاحمة في مخارج الحروف الى مواطنها ويقول لي: أظنك حسبت نفسك الاستاذ (الاخفش) النحوي المشهور، وحسبتني (كبشه) المعروف. ولذلك رحت تغمرني بسيل خطابك الجارف، والحق يقال انه جارف، فقد كدت انجرف مع بيانك واحلّق في آفاقك الساحرة، ولكنني

امسكت نفسي واكبرت منـزلتي ان تجاري منـزلتك، فانت تستمد منطقك من الجهل المترائي بالعلم، وأنا استوحي خطابي من سماوات الحقائق ومناطق الشهود، انت تردد خطابك كالببغاء يلقنها صاحبها الكلام، وانا استنـزل المعاني من مصادرها، التقطها وانا عالم باسرارها وحقائقها، ولذلك يلزمك ان توفّر كلامك وتختزنه لمواضع الحاجة، ولا اضنك تحتاج إليه في هذه العجالة، انت تحتاج الى الصمت اكثر من احتياجك إلى الكلام والصمت لامثالك ذهب إبريز، بل هو جوهر ثمين، عليك ان تحفظه من الضياع، وبالكلام تضيع طبيعته فيصبح التبر ترابا والجوهر حصباء، قلت له: سيدي الاستاذ انا راض بالذي تفرضه علي، فعليك الأمر، وعلي الاطاعة، وانما ارجوك ان تسرع بنا لئلا نتأخر في السير، قال لي: إنك كما قلت لا تفهم ما تقول فأنت تناقض نفسك بنفسك، إن الرضا والاطاعة يتنافيان من رجائك مني بسرعة السير، فرجاؤك معناه طلب إطاعتي مني لك، بينما انت في مقام الاطاعة لي، ولفهم هذه الحقيقة لابد لنا من فهم معنى الرضا.

إن الرضا مقام عظيم يجتازه الانسان في سيره الوجداني، فالراضي بالشيء مرتاح الضمير، فارغ البال، يعيش ولا يهمه ما ينـزل في الارض أو يصعد إلى السماء، فهو راض بحياته، سعيد بعيشه، وان الرضا بالحياة لا يحصل حتى تملأ حياته كل فراغ في وجوده.

وان السعادة بالعيش لا تتأتى إلا بامتلاء عالم احلامه، وإلا فان ووجد فراغ في الحياة لاجتهد وسعى صاحبه لاشغاله، ولو بقي له حلم واحد لم يتحقق لوصلَ ليله بنهاره حتى يحققه، فالرضا حالة قدسية لا تتحقق إلا لمن فهم الحياة ووعى حقيقتها الغامضة، إن للحياة آماداً واسعة لايجتازها السالك إلا باجنحة الايمان بالله، ومعنى ذلك أن على الانسان ان يفهم مقامه من عوالم التكوين، وموقفه من آفاق الوجود، انه لوقاس نفسه بهذه العوالم او تلك الآفاق لكان أضأل من قطرة تقاس بالمحيط الواسع، وأصغر من ذرة تقرن بالجبل الشاهق، أقول انه أضأل وأصغر من القطرة والذرة وانا اعني ما أقول فان البحر يتكون من قطرات، والطود يتقوم من الذرات، اما العالم فوجوده لا يحتاج إلى الانسان أبداً، فلو

فرضنا انه انعدم منه العنصر الذي يعيش به الانسان، فانعدم منه هذا الحيوان الشقي المسمى بالانسان، لما نقص من العالم شيء أبداً، بل يبقى الكون وما فيه على حاله، وتبقى أجهزته وأفلاكه تدور وتسير من غير ان يحدث فيها فقد الانسان أي نقص أو قصور في الجهاز أو السير فوجود الانسان في هذا العالم كعدمه لا يؤخر ولا يقدم من العالم شيئاً أبداً، ولذلك صار أضأل من القطرة وأصغر من الذرة، فإذا كان مقامك أيها الانسان من العالم يقع في هذا الجزء الحقير الضئيل فيه، فكيف تروم ان تحيط به وتلم بكل مافيه.

إن محاولاتك هذه اسخف من محاولة نملة صغيرة تريد ان تنقل طوداً من جهة إلى جهة اخرى، فهي تتعب نفسها في نقل ذرات صغيرة منه حتى تتلاشى وتبيد ويبقى الطود على حالته كما كان لم ينقص منه شيء أبداً، ولذلك ينبغي للعاقل ان يدرب نفسه على القناعة بما يجود به نظام التكوين، ويتلطف عليه فيه المدبر الحكيم وأعتقد بأنه لو وعى حقيقة نفسه ومقامه وحقيقة الكون ومقام مدبره العظيم لاحتفل بكل ما تنعم عليه به هذه العظمة الجبارة، فالتفات مثلها لمثله نعمة لايحيط بها شكر، والذي يبلغ سيره الوجداني هذه المرحلة، يتأهب لان تتساوى عنده الحالات، لأنها احكام تنزل من مقام العظمة المقدسة، فهي التي تريد سروره، وهي التي تريد حزنه وهي التي تريد راحته، وهي التي تريد مشقته، فإذا كانت الحالات كلها منها، يلزمه ان تتساوى حالاته أيضاً تجاهها حيث انها متساوية في نظر القضاء، وتساويها يفرض عليه ان تتساوى حالاته في كل تلك الاحوال ولاشك بان البلوغ إلى هذه المرتبة أصعب من الصعب، فان الألم يوجع ويبيد الاعصاب، فكيف يمكننا ان نجعله في منزلة الفرح الذي ينعش الاعصاب، وينشط الروح، ولكن علماء الاخلاق يقولون: بأن من يعي هذه الحقيقة تصبح حالاته متساوية، لا يمتاز ربحه عن خسارته، ولا نجاحه عن سقوطه، ولا مرضه عن صحته لانه وعى ان الباعث والمدبر لهذه الحالات واحد لا شريك له، فايجاد النجاح في جهاده لا يقصر عن إيجاد السقوط، وبعث المرض في بدنه لا يزيد عن بعث الصحة، وهكذا، وبما انه لا يريد من عبده إلا تكميل نفسه، لانه خلقه للمعرفة المساوية للكمال، فالحالات التي تتوارد عليه إنما هي مقامات يجتازها الانسان إلى

مرتبة الكمال، فعليه ان لا يفرق بينهما ابداً، لانها لا تختلف درجاتها في نظر المدبر القدير ولا قيد شعرة، ولا شك ان الانسان اذا بلغ هذه المنزلة فرضي بما يرضى به الله اصبحت نفسه مخاطبة بقوله تعالى في كتابه العزيز: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾﴾.

وهنا اسرع الاستاذ في سيره فاسرعت اعدو خلفه بشدة لأصل إليه، وهيهات ان أصل إليه، فكأنه استعار من الزوابع نشاطها، ومن النور حركته، فهو يسير بقوة خارقة وأنا أتعثر في آثاره المنطبعة على الرمال، بينما كان في شخصه غائباً عن نظري. ما هذا النشاط؟! وما تلك القوة الجبارة؟ إني حائر في أمر هذا الشيخ المدهش، وسرت طويلاً حتى رأيته وقد اعتزل الطريق، وجلس يراقب السماء وكأنه شاعر يستعرض فيها آثارها الرائعة، أو كأنه نبي يستنزل منها الوحي والالهام، ولما وصلت اليه لم يلتفت إلي، فهو مشغول عني بنفسه وبسمائه، وأحسبه لم يرد تحيتي التي وجهتها إليه باسلوب ملفت للنظر، ورأيت من المناسب أن اتركه وحالته الحالمة، لئلا اشغله عن لذته ومتعته، فان الفيلسوف يجد لذته في الاعتزال عن الناس، وها هو يعتزل حتى عن نفسه ومقصده ليأخذ خطته من هذه الوحدة الملذة في صحراء ساحرة المشاهد، واعتقد بانه وجد في الصحراء ما يجده القس في صومعته، والعابد في محرابه، والفنان في مرسمه، والمخترع في مختبره، فهو مشغول به عن غيره، وقد سرت منه إلى تلك السكرة الروحية فاذا بي أهيم في أخيلة لامد لها، ولولا صرخته التي أرجعتني الى نفسي لهمت في أودية لا نهاية لها من الاحلام، قال لي وهو يبستم: ما بالك تنظرني بذهول وانبهات فهل رأيت مني ما يستوجب هذا التفكير العميق؟ او ان التعب اثر في اعصابك فتركك هامداً بلا حركة ولا شعور، او انك انجذبت إلى الافاق التي جذبتني مفاتنها فرحت التقط منها روائع الخلود؟ واعتقد بانك لست من الفريق الثالث، لانك لم تصل بعد الى مرتبة تتكشف عن بصيرتك الحجب. لترى ما لا تراه العين المجردة، قلت له: إن حالتك الذاهلة ووصفك المعجب، هو الذي اشغلني عنك، فانا كما قيل مشغول بك عنك أراك تحلم يقظانا بأمور لا تصل اليها احلامك وانت نائم وكأنك تلتقط الروائع الخالدة من وراء الحجب، وليتني شاركتك هذه اللذة التي لأجلها ضحيت بما ضحيت من لذائذ الحياة، ومتع

الدنيا الساحرة، نعم شغلتني حالتك فرحت اهيم في اوضاعها وتجاوزتها الى حالاتي التي تعاودني في ادوار دراساتي المبهمة، ولقد اذهلتني هذه العوالم حتى لم اسمعك وانت تهتف باسمي، ولم التفت اليك وانت تحاول لفت نظري إليك، واعتقد بأنّ العذر الذي قدمته إليك يكفي لاستحصال رضاك وعفوك.

قال لي: انك معذور من اول الامر في كل ما صدر منك، ولكنني لا ارى لنفسي عذراً في كل ما تفعله انت، فان المدرسة كلفتني بك، والتكليف هو إلقاء المسؤولية علي، فأنا مسؤول، عن اعمالك واقوالك، ولذلك تراني اضغط عليك واتحامل على السير معك، لاني اشعر بثقل المسؤولية.

والآن اسرع بنا فقد فات علينا الوقت، وراح يجاريني في السير، واعتقد بأنه كان يراقب وضعي ويراقب فكري أيضاً، وقديماً كانت الفراسة تقرأ الضمائر من الوجوه، فهل يقرأ ضميري من وجهي؟ أَلَدَيهِ علم بالضمائر من غير طريق الفراسة؟ إني احس بمراقبته لي، واشعر بأن عينه تجول في كل افق من وجودي، لأكن حتى في فكري على حذر من هذه العين السحرية، وهكذا سرنا والصمت يغمرنا حتى وصلنا إلى بحيرة قطعت علينا الطريق، فكان علينا ان نعبرها، وهنا كانت المشكلة، فليس فيها قارب نستقله، ولا جسر نعبر عليه، وهنا قال لي رفيقي: أرح نفسك قليلا على ضفاف هذه البحيرة الساحرة، ومتع بصرك وفكرك بأمواجها الرائعة، وهكذا جلسنا على شاطئها الممتع، وسألني: هل لك قابلية العبور الى الشاطىء الآخر؟ قلت له: اني لا اجيد السباحة، ولكنني لا أطمئن من قواي فان عرض البحيرة يزيد على نصف كيلومتر، وهي مسافة طويلة، ولا سيما والماء ساكن راكد، والامواج رقيقة لا تساعد السابح على العبور، قال لي: اذن أنت لا تطمئن لنفسك، ولا تعتمد على فنك، وانما تستند إلى قوة الموج ودفعه لك، وما اضعف من يعتمد على الموج ويتوكل على التيار، وهما كما يعلم الجميع مسخّران بقوة اخرى تدفعهما يميناً وشمالاً، فانت اذن كهذه الامواج الصماء لا ارادة لها بل لا قوة لك على المسير ولا وعي لك بمقصدك، وان من يسير بلا قوة ذاتية ولا وعي شخصي يكون من أضعف الناس، كان عليك ان تستمد القوة من نفسك لنفسك في

اعمالك، ولا تحصل هذه القوة إلا بعد دراسة الموضوع من جميع جهاته، ثم دراسة كفايتك من جميع وجوهها، فاذا هضمت كفاءتك الموضوع تقدم إليه بلا خوف من معارض، وإلّا فابتعد عنه بلا استناد إلى شيء، فان الله قد اودع فيك طاقة غير محدودة من القوى تتمكن فيها من تأدية الاعمال الشاقة، ولا اريد ان اقول: بانك تستطيع ان تحقق المستحيل، فالمستحيل لا يتحقق، وان من المستحيل ان يتمكن من عبور هذه البحيرة من لا يحسن السباحة، فاذا تعلّمها اصبح عبورها من اسهل الممكنات...

قلت له ـ : سيدي الاستاذ ان مراعاة التيار ومسايرة الموج من جملة قواعد السباحة، فانا اذا اعتمدت على الموج او جاريت التيار لم اكن مخالفاً لأصول فن السباحة وقواعدها، بل انما اطبق قاعدة من قواعدها عملياً، فانا لا أعتمد إلّا على الفن وعلى نفسي حينما اعتمد على الموج في سباحتي، فليس كل من يعتمد على نفسه لا يعتمد على الموج، وليس كل من يعتمد على الموج لا يعتمد على نفسه، وهل سياسة الاجتماع إلا الاعتماد على الموج وإلّا مجاراة الرأي العام، لأن التيار لا يكبح إلّا اذا جاريته فعرفت موطن الضعف فيه، ثم نفذت إلى قواه فلويتها كما تريد.

قال لي: انك تحدثني عن سياسة الاجتماع المبتنية على النفاق والخداع، والتي لا يفهمها الوجدان ولا يقبلها الضمير، انني إما ان أؤمن بفكرة فأتبناها، واما أن لا اؤمن بها فابتعد عنها تماماً، ان مجاراة المحيط الممقوت، والرقص على نغمة لا يحبها الذوق شيء يأباه سلوكي الفردي والاجتماعي، فالانسان الحر لا يقبل القيد ولو كان من ذهب، ولا يهضم المر ولو كان من غرس الجنة، وبما انك تعيش في وطن العبيد، طاب لك الخنوع، لأن الاستعمار الدولي فرضه عليك، فرحت تتجرعه حتى اعتدت عليه، بل وحتى اصبحت له قاعدة كلية تعتمد عليها سياسة الاجتماع، ولذلك ماتت فيكم روح الحرية، وفسدت في عروقكم الدماء، وزال من اعصابكم النشاط، فانتم لا تعتمدون إلا على النفاق، ولا تسايرون إلّا التيار، ثم تحاولون ان تلبسونه عنوان الفن ليقبله الذوق، ولتصبح مجاراة التيار من صميم الفن، إنك لا تكون عبداً لنفسك تخدمها حتى تتحرر من عبودية غيرك ولا تتحرر من عبودية غيرك حتى تقطع احتياجاتك من ذلك

الغير، فالحاجة طوق العبودية يضعها الاجنبي على رقبتك فيقودك فيها كما يشاء، ولا أعني بالاستغناء عن الغير استغناءك في العناوين العامة التي تقوم بها المجتمعات، كالحرف والمهن والفنون والعلوم، لا لا اعني ذلك، فان تكوّن المجتمع باعضائه، وحياته بحياة الاعضاء، فكما يقوم كل عضو من اعضاء بدنك بوظيفته الخاصة، فالعين تبصر، والاذن تسمع، واليد تلمس، والقدم تسير، ومنها يتكون هيكلك الموقر، كذلك الاجتماع فاعليته بفعالية اعضائه، فالطبيب يداوي، والمهندس يرسم الخطوط، والبناء يبني، والبقال، والعطار، والنجار، و.. و.. إلى ما يحتاجه المجتمع، فكل من هؤلاء يكون لبنة من المجتمع، ومنهم جميعاً يتكون المجتمع، فانا لا اعني من استغنائك استغناءك عن هذه الاعضاء، وانما اعني ان النجار ينبغي ان لا يعتمد في مهنته على العطار، والطبيب لا يستند في عمله على الاديب، والمهندس لا يتكيء في فنه على الصيدلي، وهكذا، لان هذا الاستناد يميت فيهم روح الحرية، وينشر فيهم التخاذل ويكبل كل واحد منهم بطوق العبودية للآخر، بل ينبغي ان لا يعتمد الطبيب في اختصاصه حتى على طبيب آخر، إلا اذا ادى إلى خيانة الانسانية بخيانة العلم، وانما يقوم بوظيفته حسبما تفرضه عليه مهنته، وتطيقه طاقته العملية، ولو اعتمد الطبيب في وظيفته على طبيب آخر مثله، وترك واجبه المهني كان مثله مثل المكتبة الخاصة بالكتب، كل فائدتها انها تضم الكتب فقط، انه لا يفيد بعمله ولا يستفاد من عمله، وربما سرت روح التخاذل منه إلى ابناء مهنته، فاعتمد كل منهم على صاحبه، وتكون النتيجة ان المريض يموت لانه لا طبيب له يداوي مرضه، بينما القطر يغصّ بالاطباء، كالظمآن يموت عطشاً وهو على الماء، وفي مثل هذا المحيط تخور العزائم، وتخان الواجبات، وتتعطل الاعمال، فيطمع بالوطن الطامعون، وتمد العبودية اشراكها لتصطاد هذا الشعب المتخاذل، ان الانسان الحر ينبغي له ان يفهم انه انسان. وانه حر، ولأجل ان تفهم الحرية اعرض عليك حقيقة العبودية.

ان العبودية هي فقد القدرة من كل شيء، فهو لا يستطيع ان يعمل او يقول شيئاً باختياره، وانما حياته بيد مولاه، يوجهها حسبما يشاء، فهو لا يقوم إلا حينما يريد المولى قيامه، وهو لا ينام إلا حينما يريد المولى منامه، فهو لا يستفيد من مواهبه ومخصصاته، وانما فائدته لمولاه فقط،

فهو الذي يوجهها حسب مصالحه العامة أو الخاصة، والحرية هي ما تقابل هذه العبودية تماماً، فالحر هو الذي يستخدم مواهبه ومخصصاته كما يشاء هو لا كما يشاء غيره. ولذلك يستخدم مواهبه ومخصصاته كما يشاء هو لا كما يشاء غيره. ولذلك قلت لك: ان الحر اذا ترك مخصصاته لغيره كان عبداً من هذه الناحية لذلك الغير، واذا سرت العبودية في ناحية من نواحي الحياة، اصبحت النواحي الحرة أيضاً مهددة بالعبودية، ليعيش كما تريده الحياة، والا فهو غرض لهجمات المستعبدين ما دامت العبودية تحتل قسماً من حياته، لان رائحة العبودية تجذب وحوش الاستعباد إلى نفسها كما تجذب رائحة الطعام الهرة الجائعة إلى مكمن الطعام، وان مجاراة التيار من وسائل العبودية وحبائلها، فالذي يعتمد على التيار يفقد الثقة بنفسه، والا لما اعتمد على التيار، والفن الذي يعتمد على التيار أيضاً فن استعبادي نشرته العبودية لتصطاد به الثقة بالنفس حتى تتكل على الغير، واذا زالت الثقة بالنفس، اصبحت النفس مسخّرة لمن تثق به وهو معنى العبودية، وبعد كل هذه المقدمات، هل تتمكن من عبور هذه البحيرة؟ فإن سفرنا متوقف على عبورها.

رفعت ثيابي وشددتها على رأسي ووضعت رجلي في البحيرة لاقيس ماءها، واذا برجلي تغوص فيغوص بدني كله، واذا بالماء يغمر البستي فتثقل كاهلي، واردت ان ارميها في البحيرة لاخفف عن جسمي، واذا به يصيح بي: أتريد ان تسافر عرياناً، انا لا أصاحب العراة في السفر، لأني لا أحب جمعية العراة التي شكلتها الوحوش البشرية في المانيا، وكدت ان اجيبه بغلظة وشدة لولا ان رأيت نفسي ابتعد عن الشاطيء إلى وسط البحيرة، فرحت اسبح واسبح حتى كلت قواي، كنت انا أسبح وحضرة الاستاذ يتفرج على سباحتي من الشاطىء، الهي ما هذه القساوة؟ أهذا الذي يدعي توجيه البشرية، أتراه من البشر، ان قلبه من الفولاذ والحجر، وفاجأتني موجة دفعتني إلى القعر حتى شربت كثيراً من ماء البحيرة وكان مالحاً وكدت ان افقد توازني واستسلم للغرق، لولا ان اهاب بي حب الحياة ودفعني لأن اجاهد بنفسي، واواجه عزمي الى التخلص من هذه الورطة، وهكذا رحت أسبح وأسبح حتى قاربت الشاطىء الآخر، وكدت أن أخرج من الماء وحينما رأيت رفيقي يسبح امامي، وينزل إلى الشاطيء

الثاني قبلي فأخذتني الحيرة، فمتى نزل إلى الماء؟ ومتى وصل إلى الشاطيء؟ وانا الذي رأيته قبل لحظات يتفرج على سباحتي، وكأني ممثل يعتلي المسرح ليقوم بدوره التمثيلي، وكأنه ناقد صحفي يستعرض تمثيلي ليسجل نظرياته عني في صحيفته، فمتى نزل إلى الماء؟ ومتى اجتاز هذه المسافة حتى عبر البحيرة قبلي؟ إنه والحق يقال يتمتع بقوى خارقة، فهل كان يستمدها من السماء، أو كان يستمدها من الجحيم، فربما يكون ملاكاً سماوياً، وربما يكون شيطاناً من أبالسة الجحيم، وكادت الافكار المتشتة تخرجني من وضعي وتفقدني توازني فاغرق وانا على بعد خطوات من الشاطىء، لولا ان اهاب بي وصاح: توجه إلى نفسك ودع التفكير بغيرك، وانقذتني صيحته فرحت اسبح بنشاط حتى وصلت الشاطىء وخرجت من الماء لأنشر ثيابي في مجاري الريح لتغدوا صالحة للبس بعد الجفاف، وجلست امامه، فلم يلتفت إلي، وكأني لم أقم بهذا العمل الجبار، أو كأن العمل تافه لا يستحق لفتة من حضرته، وبعد مدة قليلة قال لي: هل تذوقت لذة الاعتماد على النفس؟ وهل فهمت ان الحياة لا تحصل إلا بالاعتماد على النفس، لا كما تزعم بانها تتوقف على مجاراة التيار، ان الاعتماد على التيار هو الذي أمات الشرق الحي، والاعتماد على النفس هو الذي بعث الغرب الميّت إلى الحياة، فلولا انك يئست من مساعدتي لما حصلت عندك هذه العزيمة القوية، ولما انبعثت فيك تلك الهمة العالية، ولما وصلت إلى الشاطىء سالماً، انك كدت ان تترك ألبستك ضعفاً وخوراً، كما ترك ابناء وطنك وطنهم للأجنبي ضعفاً وخوراً، ان العزيمة الصادقة التي تخلق الحياة تخلق القوة، ولكي نفهمها كان علينا ان نفهم معنى الصدق وموارده.

الصدق هو مطابقة الحال للواقع، فاذا طابق الخبر الواقع كان صادقا، واذا اتجه القصد إلى المقصود كان صادقاً، واذا ميزت النظرة خير الشيء وشره كانت صادقة، واذا طابق صدقك الحق كان الصدق صادقا، فالصدق قد يكون في القصد، وقد يكون في القول، وقد يكون في النظر، وقد يكون في الصدق نفسه، فالعمل لا ينتج إلا اذا كان القصد منه صادقاً حتى يندفع إلى العمل بهمة ونشاط، فاذا صدق القصد وجد العمل، والقول لا تستفيد منه الانسانية إلّا اذا كان صادقاً، وإلّا فالكلام عبء ثقيل على

الأنسانية يجب عليها التخلص منه، والنظرة لا تنفع إلا اذا ميزت موارد الأمان من موارد الهلاك، ليسير إليها، وليؤمن نفسه شر الدمار.

والصدق لا يفيد إلّا اذا طابق الحق، ومعنى مطابقته للحق، ان يكون مما يريده الله، لأن الله لا يريد إلّا خير الانسانية، ولا يكره إلّا شرها، ولقد أشارت الآية الكريمة إلى ذلك بقوله تعالى: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾، لأن من صدق الله في عزمه وقولـه ونظره وصدقه، لما جاء إلّا بالخير لنفسه وللإنسانية، ولقد صدقتك حينما قلت لك: لا تعتمد إلّا على نفسك، اذ لو كنت كاذباً في قولي لكنت الآن من المغرقين، واعتقد بان ثيابك قد جففتها الريح، فقم والبسها فان الشمس تكاد تغرب ونحن لا نستطيع ان نقضي هذا الليل في هذا المكان، وهكذا سرنا. وسرنا بنشاط جديد، فكأن السباحة قد بعثت في أعضائي قوة جديدة فكان يسرع في سيره فألحقه، وربما كنت اتقدمه في السير، فيصيح بي: ان القافلة اذا تقدمت على الدليل مرقت وضلت، وطال سيرنا وسكوتنا حتى وصلنا إلى سفح جبل قطع علينا الطريق بطوله وعرضه، فلقد طاول السحاب بارتفاعه، وعارض الريح بقطره، وكان التعب قد أجهد قواي، ولكنني تماسكت على نفسي حتى انطرح على الأرض، فجلست امامه، فقال لي: اظن ان السير قد أجهد قدميك والصمت قد اجهد شهوتك للكلام، فانت تحب الالفاظ أكثر مما تحب المعاني وذلك من طبيعة الشعراء، لأنهم ابناء الالفاظ ينسّقونها حسبما يوجههم الذوق الفني حسب اصطلاحهم المغلوط، فيبنون منها بيتا أو ابيات يسمونه الشعر، وقد يرتفعون به عن ارضه السحيقة إلى السماء العالية، فيسمونه الوحي، وانت تعلم ان الوحي تنسيق الحقائق والمعاني، والشعر تنسيق الالفاظ والكلمات، والالفاظ وان كانت قوالب للمعاني، لكنما قد يكبر اللفظ عن المعنى، فيكون كثوب الشاب الفارع يلبسه الطفل الصغير، فهو لا ينسجم مع المعنى في كل شيء، واكثر الشعر من هذه الفصيلة، وربما تلاءم اللفظ والمعنى، فشف اللفظ عن المعنى، وشف المعنى عن اللفظ، ومن ذلك قول الصاحب بن عباد.

رق الزجاج ورقت الخمر ... فتشابها وتشاكل الامر

فكأنه خمر ولا قدح ... وكأنه قدح ولا خمر

جلست اتطلع إلى البستان، فسحرتني اشجاره اليانعة، وقرع سمعي خرير شلال من الماء ينزل من الجبل ويصب في نهير يتوجه إلى البستان ليسقي اشجاره وازهاره، ولقد كان تنسيق اشجارها يدل على أن يداً من البشر هي التي اوجدت البستان، فان التنسيق مفقود في أشجار الغابات قلت لرفيقي الاستاذ؛ اظن ان احداً من الاعيان مر بهذه الأرض، فرأى الشلال الذي يصب في هذا المجرى ويمر بهذه الارض التي دلت الاعشاب النابتة في شاطيء المجرى على انها تربة خصبة صالحة للزرع، فراح يستملك هذه القطعة منها، ويغرس فيها هذه الاشجار والازهار، باسلوب فني رائع، كما اعتقد انه اباحها للعابرين، ولا سيما الذين يهبطون من هذا الجبل المتعب، وبهذه النظرية الفرضية يرتفع كل ما فرضته من المحاذير، وخلاصته:

انه بستان مملوك لثري يحب اللهو والجمال اباحه للعابرين، اذ لو لم يرض ان يدخله أحد من الناس إلا بأذنه لما اباح حماها، فجعلها بلا سور ولا باب ولا كلب يحرسها، فنفس وجودها بلا معارض دليل على عدم معارضته للدخول.

قال لي: هب اني صدقتك، واخذت برأيك، وذهبت معك إلى البستان، وهناك عرفت انك اشتبهت في رأيك، فصاحب البستان لا يرضى ان يدخل اليها أحد من الناس، او ان في البستان من المحاذير التي لا ينبغي لنا ان نجازف بانفسنا فيها، فمن المسؤول عن الدخول، هل المسؤولية تقع عليك. لانك سهلت لنا الامر باخيلتك وتصوراتك؟ او انها تقع علي، لاني مسؤول عن كل حركة وسكون صادرات منك في هذه الرحلة؟ لاشك بان عبء المسؤولية يلقى على عاتقي، واكثر من ذلك انني سوف اكون موضع ملامة المدرسة وهيآتها التعليمية، حيث أخذت برأيك، بينما الوظيفة تقرر ان تأخذ أنت برأيي، فأي استاذ ضعيف انا؟ وأي تلميذ شقي انت؟ ولذلك ينبغي لي ان ادرس موضوع الدخول بنفسي، فاذا اقتنعت بعدم وجود مانع صاحبتك إلى البستان، وتركته يفكر قليلاً، ثم يقول لي: لا مانع عندي من الدخول، وهكذا زرنا البستان، وطفقنا نستعرض مشاهدها الفاتنة، فاذا بها نموذج حي للفن الزراعي الراقي، فهذه

الصفوف المتراصة من الاشجار وهذه الالواح المنسقة من الازهار، وهذا البساط السندسي الذي رسمت فيه ريشة الفن بدائعها وروائعها حتى اصبح فتنة للناظرين.

والحق يقال انها جنة عالية قطوفها دانية، ومشينا فيها حتى بلغنا بحيرة صناعية، في وسط البستان بنيت بالاسمنت، وقد وضعت حولها كراس من الحديد، تدعو العابر إلى الجلوس، فجلسنا ونحن في حالة مسحورة، قد اسكرنا جمال البستان، وانسانا متاعب السفر ومشاقه، وقد حفلت الاغصان بالعصافير والبلابل بين مزقزق ومغرد، انها لذة ما فوقها لذة، واعتقد بان رفيقي الاستاذ قد سحرته هذه الروعة فراح يختلس المتعة منها ما وسعه الاختلاس، وترك الفلسفة وآفاقها الموحشة، انه لا يلتفت إليّ، ولا يلقي بأسئلته المرهقة علي، انه في حالة من الصفاء، وفي نشوة من الاحلام، وحلق الفكر بخيالي حتى نسيت نفسي ورفيقي لولا ان اعادني صوته إلى واقعي، فاذا به يسألني: اظن ان المنظر أثار شاعريتك بعد ركودها، انك تعرج في آفاقها ولا تلتفت إلى حالك ومستقبلك، انك لا زلت تعيش في ماضيك، وما امات الشرق إلا حياته بماضيه، فهو لا زال يعيد نغمة الآباء والاجداد، ويتشدق بالفتوحات العربية الماضية، فاذا سألته عن نفسه وعن جهادها في الحياة رأيته يلتفت إلى الماضي فلا يعيد إلّا ما بدأ به أولاً، انه اكتفى بالماضي فعاش به، وترك مستقبله للحوادث تلعب به ما شاءت، فهو مستعبد للغرب، وارضه مستعمرة لقواه، واتعابه وجهوده مستغلة من قبل رجاله، فاذا حاولت ان تستفزه لوّح لك بالماضي، فكأن هذا الماضي هو الحياة الواقعية، وما سواه خيال عابر لا يستحق ان يهتم به الانسان، ليت هذا الماضي نسينا لننساه، انه اصبح الغل الذي يستعمر مواهبنا واحاسيسنا، انه السد الذي يمنعنا من التقدم إلى الامام، ولو اننا كنا نتخذ من الماضي عبرة نستدل بها إلى المستقبل لتحقق لنا فتح جديد في الحياة، ولعد وجوده طفرة موفقة في تاريخنا الزمني، ولكننا نحلم بالماضي فنلتذ به، ونكتفي بلذة احلامه عن الواقع المر الذي نعيش فيه، وانت الست ابن هذا الشرق؟ اقلتك ارضه؟ واظلتك سماؤه؟ وأنجبكَ رجاله؟ وحملتك نساؤه؟ انك مصداق له في كل احاسيسك، اننا قاسينا ما قاسيناه لننسيك هذا الماضي، ولنخرجك من مزالق الخيال، لنلمسك الواقع، ومع ذلك اذا

غفلنا عنك لحظة، او غفلت عن نفسك لحظة رجعت إلى ماضيك لتحلق بك الشاعرية بأجنحة الخيال إلى سماء الاحلام والاوهام، انك اسوأ حالاً من هذا العصفور، فهو حذر مني وينتهي كتاب برحلته المثيرة في علم النفس الى هذا المقطع: منك ومن المفاجآت».

«وسكت الاستاذ قليلاً ثم قال: اننا سنختم محاضرتنا بابداء حقيقة ظاهرة ربما غفلتم عنها، وهي أن مثل هذا السالك الالهي يكون قد وصل في سيره الوجداني إلى درجة سامية من الوجود لانه قد اتصل بالوجود المطلق، ذلك الوجود الذي ينبعث منه الوجود، فالوجود أثر من آثاره فهل يتساوى الاثر والمؤثر في الحقيقة كما يتساوى الضوء والنور مع انهما علة ومعلول؟ أو تختلف حقيقة الوجودين كما تختلف حقيقة الشمس عن حقيقة اشعتها؟ ان الوسائل الانسانية على اختلاف منازلها ومراتبها لم تحل هذه المشكلة، ولا يهمنا حلها بعد ما عرفنا بأن هذا الوجود أثر من ذلك الوجود، وهب انهما يتحدان اسماً وحقيقة، او يختلفان ماهية، وان اتحدا عنواناً...، ان ذلك لا يهمنا بعد ما عرفنا بان الاثر المتصل بالمؤثر أقوى جداً من المنفصل عنه، فالنور المقترب من الشمس أقوى من الشعاع المبتعد عنها. والسالك المتصل بالعالم الالهي أقوى وجوداً من غير المتصل به، ولذلك راح يرى ويسمع ويحس بما لا يدركه غيره، ان علمه من علم الحق فهو يشهد الحقائق بلا وسائل الشهود، انه يشهدها بالعلم اللدني الذي استودعه لديه العليم الحكيم: «**وآتيناه من لدنا علماً**»، كما حققنا ذلك سابقاً، فعلمه شهود بلا حجاب وانكشاف عيني، لا شهود علمي أو كشف بوسيلة الأدلة، وحتى نظره أيضاً فانه نظر خاص لا يستعمل فيه هذه الادلة المسماة بالعين، إنه يرى في كل جارحة من جوارحه بل انه يرى بلا جارحة، إنه ينظر من خلفه كما ينظر من امامه، لأنه في عيش الشهود، قد فنى في حقيقة الوجود..، والذي يفنى في الشهود والوجود لا يغيب عنه شهود ولا موجود، ان وجوده متضخم جداً، واشعاعاته شديدة القوة، فهو محيط بكل شيء، وهو نافذ في كل شيء، لأنه يتصل بالمحيط اللطيف..

وسكت الاستاذ..، ثم حيانا وأنصرف، وهكذا بقيت وحدي وأنا في صفي مع التلاميذ، بقيت وحدي لاني انجرفت بتيار الآفاق التي أوصلني

إليها استاذي الكريم، ورحت ادرس موقفي منها، فاذا وجودي ينجذب اليها بقوة جبارة، وهناك استحال وجودي سمعاً ماج فيه نداء ﴿ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ ما هذا النداء؟ وما هو الواد المقدس؟ فهل الافق الذي تجذبني تياراته هو الواد المقدس؟ وماذا يريد هذا المنادي من قوله: اخلع نعليك، انني لا احتذي نعلاً لاخلعه، فماذا يريد من الخلع؟ هل يرمز عن النعل بخلع المشخصات الوجودية ليؤهلني إلى الاتصال بالعالم المجرد، ان المجرد لا يراه إلّا المجرد، انني تجردت من كل شيء، تجردت من حياتي الشخصية فتركت أهلي واخواني ووظيفتي وشخصيتي.. والتحقت بهذه المدرسة التي راحت تسير بي في حياة جديدة حتى اوصلتني إلى هذا العالم، هل يريد ان يجردني حتى من هذه المدرسة، أليست المدرسة هي الطريق الموصل إليه، اعتقد بأنه يريد أن يجردني من المدرسة، بمعنى ان أخلع علاقتي مع هذه المدرسة لأخلص له، فهو لا يريد شريكاً في العبادة أي في الحب، وهل الحب إلّا عبادة الاحرار والابرار.؟ إنه يريد ان يجرد ايماني به من وسائل الايمان، وان كانت السبب في ايماني به لأن الوسائل في نظره حجب للايمان الصحيح.. انه يريد ان يجردني حتى من نفس الشهود، لان الشهود انما يحصل بوسيلة الآلة الشاهدة، والآلة في نظر الشاهد حجاب المشهود، فهو يريد أن يخلصني منها ليخلص شهودي إليه، إن هذه الوسائط في نظره كالنعل يلزم خلعها مثله، لانه لا محل لها في المواطن المقدسة، وكذلك يلزم الواصل إلى حضيرة الجمع او منطقة الشهود ان يخلع عن نفسه كل الوسائل والوسائط فإنها اجنبية لا تلائم مقام القرب المقدس، أو حرم الحق الشريف، وحينما وصلت في سيري الوجداني إلى هذه المنطقة، رأيت وجودي يتجرد عن كل شيء حتى عن الوجود نفسه يتجرد عنه لكي لا يبقى هناك إلا الحق وحده، إذ لم يبق في عوالم حياتي إلّاه، فهو الذي يشغلها كلها، انني الآن لا أحس إلّا به، إنه هو الذي يدبر عوالمي واكواني، إن الزمان والمكان معموران به، انني مفرد مثله، إنني أو إنه يشغل كل آفاق الحياة أو آماد الوجود، انا وهو، ان أمري لعجيب، هل هذا العالم الضاج بآلاف الملايين من الصور والحقائق يخلو في لحظة واحدة إلّا عني وعنه، فهل بعد ما جردت العالم عن سواه يبقى لوجودي أثر يشير إليّ، انني

مضطرب، انني اكاد اخرج عن حدود المنطق، انني.. انني.. هل انا انا، وهل هو هو؟ انني لا أفهم شيئاً، ان هذه المنطقة حساسة وخطرة جداً، إن المنطق تتلاشى وسائله في هذا المكان فهو يكاد أن يعربد كما عربد السكارى من المتصوفة، انني لا أحب أن أعيش صوفياً ينكر كل شيء، انني فرد من الناس. انني عبد الله، إنني رشح من البحر، انني. انني، ومع ذلك فقد تلاشى كل شيء في الوجود فلم يبق إلا انا وإلّا هو، فهل أنا أنا؟؟ وهل هو هو..؟؟ انها منطقة الشك الذي تهوي بالانسان إلى الالحاد. رب اعنّي على مقامي فاني اصبحت منك على قاب قوسين أو ادنى، انني فرد، وانك فرد في هذه المنطقة، واخال نفسي قد تلاشت أيضاً فلم يبق وجود إلّاك... وهنا يهتف الايمان بي: أن ارجع إلى نفسك، فقديما ارشدني ائمة الهدى إلى خطر هذه المنطقة بقولهم: «**ان لنا مع الله حالات نخال بأننا هو، وبأنه نحن، ولكنه هو هو.. ونحن نحن**»، وان هذه الحالة واعني بها حالة الانفراد من تلك الحالات، فاني اخال ان نفسي قد تلاشت ولم يبق إلّا وجهه انني موجود. موجود بشخصي، فانا انا ولا شك بانه موجود بعالمه المجهول، فهو هو، كل ما هنالك ان حجب العلم والمنطق والمحيط والعادات والتقاليد كلها قد ارتفعت، ولم يبق هناك إلا الواقع المشهود والحق الموجود، فانا معه فقط، وهو معي فعلاً، اكاد اراه والمسه، وان كنت لا اراه ولا المسه ان هذا الفراغ يكاد ان يجنني، وهل بقي لي عقل ليمشي إليه الجنون، انني قد تركت العقل وعوالمه جانباً حينما بلغت درجة الشهود فالعقل انما نحتاجه كوسيلة إلى الواقع، فاذا ادركنا الواقع فأي حاجة لنا بالعقل؟ ان هذا الفراغ يكاد يصرعني، فاكاد انكر نفسي، فأخالها قد تلاشت ولم يبق إلا وجهه، ومع ذلك فاني احس بنفسي وبأني موجود، فالفراغ يشغلني كما يشغله، فهو. وانا. هو هو. انا انا، وهنا رجعت إلى وعيي واذا بالاستاذ يهزني بشدة، ويقول لي: افق افق، انك وصلت إلى منطقة دقيقة تحتاج إلى الافاقة، احذر من السكر فانه يهوي بك إلى اعماق هاوية لا قرار لها، افق والتفت إلى نفسك، انك في منطقة الحق، انك في حضيرة الجمع، أو تدري ما هي حضيرة الجمع؟ انها منطقة تجمعك بالحق، ولا يمكن الجمع معه إلا باسقاط التفرقة بينك وبينه، ولا يمكن اسقاطها إلا فناؤك فيه، بحيث تندك فيه اندكاكاً وجودياً،

وهذا المعنى وان لم يتحقق لاحد إلا بالفناء الحقيقي، حيث تفنى الذات، وتذوب العناصر، وترجع الوديعة إلى بارئها لتتصل بالحق وتجتمع معه، ولكن الاندكاك الوصفي أيضاً له خصائص الاندكاك الذاتي، فإن عروض الصفة لابد وان يكون على الموصوف، ولا بد ان يكون بين الصفة والموصوف توافق طبعي، ليقبل الموصوف الصفة ولتنطبق الصفة على الموصوف، وإلّا فان عروض الحرارة على الثلج، أو عروض البرودة على النار من المستحيلات الأولية، ولما كانت صفات الحق لا تعرض إلّا على ذات الحق، لذلك يلزم للسالك ان تستحيل ذاته في الحق حتى تعرض عليه صفاته، وإلّا فان صفات الحق لا تعرض على ذات تخالف الحق في ماهيتها.

ان هذا المعنى بما يعرض على السالك الوارد إلى حضيرة الجمع، لكنه لو تأمل جيداً لعرف بان هذا المعنى مما يأباه المنطق وينفيه الايمان، ان هذا السالك لما صهر صفاته في بوتقة الرياضات الالهية، حتى اصبحت تحاكي صفاته الحق في الخصائص والآثار. وحتى صارت ملكاته لا تستجيب إلّا للدواعي الالهية، فقد تخيل انه ارتدى صفات الحق نفسها، أي حلت فيه صفات الحق، ولما كانت صفات الحق لا تحل إلاّ في ذات الحق، فلا بد وان تكون ذاته أيضاً منصهرة في ذات الحق، وعلى هذا البيان يكون السالك هو الحق، لان صفاته صفاته، ولا تعرض صفات الحق إلا لذات الحق، فتكون ذاته أيضاً ذات الحق، فهو الحق، هذا ما تصوره له العربدة الصوفية، ولكن المسكين قد غفل عن ان العبد اذا صهر صفاته في صفات الحق، حتى أصبحت ملكاته ملكاته في الدعوات والاستجابات، فانه لا يلزم هذا الانصهار الوصفي انصهار في الذات أيضاً، لتتبدل حقيقته، بحيث تتحول ماهية ذات العبد إلى ماهية ذات الحق، ان الحق لا يزال بماهيته المجهولة، وله صفاته وآثاره، وان العبد لا يزال بماهيته العبدية التي خلع عليها صفات تحاكي صفات الحق في الآثار، ولو توجه جيدا إلى ذاته وصفاته لشاهد ان صفاته بحدودها غير صفات الحق بحدودها، ان الحديدة الممحاة، وان حاكت النار بلونها واثرها إلّا ان النار لا تزال ناراً والحديدة لا تزال حديدة، وكذلك السالك الذي يتلبس بصفات الحق، فتصبح دعواته واستجاباته دعوات الحق

واستجاباته، حتى توهم انه الحق، ان صفات هذا السالك لا تزال صفاته، وصفات الحق لا تزال صفاته، لكن منهما حدودهما المشخصة لها، إلّا أن تشابه آثارهما أدى إلى شبهة الواحدة.

رق الزجاج ورقت الخمر فتشابها وتشاكل الأمر
فكأنه خمر ولا قدح وكأنه قدح ولا خمر

ولكننا لو دققنا النظر جيداً لرأينا القدح لا يزال قدحاً، والخمر لا يزال خمراً، .. إنكم أيها الواصلون إلى حضيرة الجمع، الرافعون الحجب والملابسات بينكم وبينه، حتى أصبحتم تشاهدون الحق بعين الحق، لا تغركم هذه الظاهرة التي تجعلكم تتصورون انفسكم آلهة، انما الله اله واحد لا شريك له، ان السير إلى الحق يشرفكم على وحدة الحق في ذاته وصفاته، فانتم انتم. وهو هو. لا شريك له».

الى هنا تنتهي المقاطع من كتاب «هكذا عرفت نفسي» أما هذا الكتاب الذي بين يديك عزيزي القارىء فهو رحلة أخرى في عالم الروح قد لا تتوفر فيه عناصر الامتاع الأدبي لكنه ينطوي على كثير من الحقائق التي ينبغي الاطلاع عليها.

انه يشير وبصراحة أكثر إلى تاريخ الانسان ومصيره وهو على كل حال تجربة من تجارب الروح يجدر بنا جميعاً الاطلاع عليها.

بقيت مسألة أود الأشارة إليها في هذه السطور وهي ضرورة تطوير نظرتنا الى الاشياء لقد اعتدنا رؤيتها بأبعادها الثلاثة ثم فاجأنا انشتاين بالبعد الرابع وهو «الزمن».

وكان الفيلسوف الايراني ملّا صدرا قد سبقه في الاعلان بأن الزمن بعدٌ كمي للاجسام والبعد الرابع للاشياء لأنه مقدار الطبيعة المتجددة بذاتها من جهة تقدمها وتأخرها الذاتيين، وهذا أمر ممتد وكمي ذلك أن جميع الموجودات التي في العالم واقعة لذاتها في الزمان والتغير، مندرجة تحت مقولة «متى» كما انها واقعة في المكان مندرجة تحت مقولة «أين» فالزمن بعدٌ أصيل في الجسم وهو ليس علّة للحركة كما أن الحركة ليست علّة له[1]

(١) الاسفار الأربعة: ٣/١١.

وقد بحث الفيلسوف الراحل هذه المسألة مفصلاً فيما عرف بعد ذلك بنظرية الحركة الجوهرية.

وفي ضوء الآثارات الروحية في التكوين الانساني في عالميه الداخلي العميق الاغوار وما يحيطه من وجود فسيح لانهاية له وفي التناسق الذي يكاد يوحّد بينهما الوشائج القوية التي تربطهما يمكننا ان نثير مسألة أخرى هي وجود بعد آخر للاشياء يمكننا ان ندعوه بالبعد الخامس.. هذا البعد الذي يشير إليه الكتاب ويسميه بالعبد الملكوتي.

فالقرآن الكريم يتضمن اشارات صريحة في هذا المضمار ورؤيا يوسف عبرت عن الشمس والقمر والكواكب بـ «رأيتهم» دلالة على أن ما رآه كان يتجسد في موجودات مدركة تتمتع بالشعور وربما يكون ذلك على أساس الرؤيا في التعبير عن مخلوقات آدمية سوف تتجسد في أبويه وأخوته.

لكن القرآن يشير أيضاً إلى مسألة عرض الأمانة وقد اشفقت عن حملها السموات والأرض وحملها الانسان[1]. اضافة إلى مجيء السموات والأرض طاعة[2] وكذا تسبيح الأشياء لله[3].

كما ورد في الرواية ان صخور الجبل ابان بعثة النبي ﷺ كانت تشهد لرسول الله بالنبوة.

وهذه الروايات التي يرويها الزهري عن سعيد بن المسيب قال: «**كان القوم لا يخرجون من مكة (بعد انتهاء موسم الحج) حتى يخرج علي بن الحسين سيد العابدين فخرج وخرجت معه فنزل في بعض المنازل فصلى ركعتين فسبح في سجوده بهذا التسبيح:**

سبحانك اللهم وحنانيك

سبحانك اللهم وتعاليت

---

(١) سورة الاحزاب الآية ٧٢ ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾.

(٢) سورة فصلت الآية: ١١ ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾.

(٣) سورة الاسراء الآية: ٤٤ ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾.

سبحانك اللهم والعز ازارك

سبحانك اللهم والعظمة رداؤك

سبحانك اللهم والكبرياء سلطانك

سبحانك من عظيم ما أعظمك

سبحانك سبحت في الأعلى تسمع وترى ما تحت الثرى

سبحانك انت شاهد كل نجوى

سبحانك موضع كل شكوى

سبحانك حاضر كل ملأ

سبحانك عظيم الرجاء

سبحانك ترى ما في قعر الماء

سبحانك تسمع أنفاس الحيتان في قعور البحار

سبحانك تعلم وزن السموات

سبحانك تعلم وزن الأرضين

سبحانك تعلم وزن الشمس والقمر

سبحانك تعلم وزن الظلمة والنور

سبحانك تعلم وزن الفيء والهواء

سبحانك تعلم وزن الريح كم هو من مثقال ذرة

سبحانك قدوس قدوس قدوس

سبحانك عجباً من عرفك كيف لا يخافك

سبحانك اللهم وبحمدك

سبحان الله العلي العظيم».

ويقول الراوي الذي شهد تلك الواقعة: فلم يبق شجر ولا مدر إلّا سبّح معه ففزعنا فرفع رأسه فقال: يا سعيد أفزعت؟

فقلت: نعم يا بن رسول الله.

فقال: هذا التسبيح الأعظم، حدثني أبي عن جدّي عن رسول الله ﷺ

لا تبقى الذنوب مع هذا التسبيح وان الله جل جلاله لما خلق جبرئيل الهمه هذا التسبيح وهو اسم الله الأكبر[1].

فهناك بعد خاص مستور في الأشياء التي قد تبدو لنا في ظاهرها جامدة لأننا لاندرك أسرارها.

فكما اننا لا ندرك تلك الحركة الهائلة في ذراتها نجهل أيضاً تسبيحها.

ولذا نحن مطالبون بالاصغاء والانصات أكثر لنسمع نشيد الكائنات وسمفونية هذا الوجود العظيم الذي يسبح لله الخالق الباري المصوّر له الاسماء الحسنى.

كمال السيّد

(١) الصحيفة السجادية.

مقدمة المؤلف

بدأت الكتابة في ليلة الميلاد المبارك لسيدنا الحسين ٣ شعبان ١٢٠٣هـ مستمداً عزيمتي من تلك الروح العظيمة في طرح أعقد الموضوعات العلمية والروحية في قوالب لفظية سهلة، لتكون امثلة واضحة للسائرين في طريق الحق والحقيقة، وما توفيقي الّا بالله وهدفي الّا رضاه.

بين يدي الاستاذ

كان لي استاذ طيب، وكم كان بي رؤوفاً؛ ما سألته الّا وأجاب وكان يقصّ عليّ القصص..

عيناه نافذتان تطلان على عالم الحقائق، فما اكثر ما حدثني عن عالم الروح.. أدرك حقيقتها وأحوالها فأوضح لي ما أوضح، وكفاه أنه يرى الحقيقة عياناً أو مشاهدة، فيحدّث عنها وكنت كلما جلست اليه اشعر بأن روحي تحلّق في عالم الصفاء، فازداد حباً لله.

أجد نفسي في رحاب الله وفي حضرة النبي والائمة الأطهار من آله ﷺ. فلا أرتكب خطيئة ولا اقترب من محرّم.. يمسح بكفّه على رأسي ويشعّ علي كمالاً من كماله.

يشاركني حزني ويحميني من الشرور التي تهاجم الروح..

وآن لي ان استعيد اللذائذ التي اقتطفتها روحي في أوراق هذا الكتاب فلعلني اتلذذ مرّة أخرى، ولعلّ أبواب الرحمة الالهية تنفتح أمامي ولعلّكم يا قرائي الكرام تنتفعون بتجربتي وتكون لكم زاداً في طريق الكمال، وعندها تجلسون كما جلست بين يدي استاذي وتنهلون من علمه.

من هذا الاستاذ وأين هو؟

لماذا تبحثون عنه وتسألون؟ أليست غايتكم الانتهال من علمه وأخلاقه وروحه؟

ها أنا اكتب اليكم، فإن غاب عنكم شخصاً شاخصاً فكلماته بين أيديكم في هذا الكتاب.

بل افترضوا انه لا يوجد ثمة استاذ وانما أردت أضع أمامكم حقائق روحية كبرى فاخترت لها هذه الطريقة.. فهل على هذا مؤاخذة؟ لا أظن!

فليكن همكم حقائق الاسلام العليا ومعارفه الكبرى، ولقد بذلت جهداً في بسطها ما استطعت وسأذكر الاستاذ دائماً بـ«قال لي معلمي» وأنا لا اقصد غيره على مدى فصول الكتاب.

وإنّي اسجّل عمق ايماني بهذا الكتاب جاعلاً إيّاه حجتي بيني وبين ربّي، ذلك انه خلاصة آيات من القرآن الكريم وروايات أهل البيت عليهم السلام.

اليقظة والصحوة

قال لي معلمي:

ـ ذات ليلة وكنت قد فرغت من صلاة العشاء غرقت في افكاري.. قلت في نفسي إنّنا وان كنّا نختلف عن المادّيين وفلاسفتهم بنفيهم عالم ما وراء الطبيعة.. لكننا في سلوكنا لسنا بأقل منهم!

لا نعرف عن ماضينا شيئاً ولا عن مستقبلنا[1].

وأين هو ارتباطنا بالله سبحانه؟ فهل تحدثنا إليه؟ أم سمعنا منه جواباً؟[2]

لقاؤنا مع أئمة الهدى جميعاً من طرف واحد، فكم نحيّيهم ونسلّم عليهم دون أن نسمع جواباً.. بل اننا لا نتوقع منهم الجواب!

---

(١) كما جاء في الأثر عن امير المؤمنين علي عليه السلام: «**رحم الله امرءاً عرف قدره وعلم من اين؟ وفي أين؟ والى اين؟..**».

(٢) ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ سورة الشمس الآية: ٨.

وهذا امام زماننا الذي نعتقد بحياته.. متى تحدّثنا معه وأنسنا به وهو حجّة الله علينا، بل ان بعضنا ليكذّب بلقائه ببعض الناس![1]

الصلاة اضحت لدينا عادة ألفناها فلا هي تقربنا الى الله زلفى، ولا نعرف معنى القرب من الله[2].

والصلاة التي هي «المعراج» متى انطلقنا في معراجها؟ بل متى ادركنا معنى العروج والسمو؟[3].

ما نهت عن الفحشاء والمنكر وما منعتنا[4].

ما رأينا الملائكة وما عرفنا علّة خلقهم ونحن نزعم أننا على خطى علي بن أبي طالب[5].

ما عرفنا الجن ولا اعتقدنا بوجودهم اعتقاداً تاماً[6].

لا نعرف عن الشيطان الّا اسمه، فما فكرنا كيف تأتّى له خداع بني آدم[7]. والأهم من كل ذلك اننا نجهل انفسنا، فما عرفنا اسرار الرقاد واسرار الموت.

وفي النهاية ما تزال ستائر المادّة تلقي بظلالها القاتمة على رؤيتنا[8].

أجل غرقت في تأملاتي تلك الليلة وكان هاجسي لماذا نحن هكذا؟

وكادت عاصفة الافكار التي اجتاحتني لدقائق أن تطيح بتوازني

---

(١) هذا المطلب موجود بصورة كاملة في كتابي «المصلح الغيبي ولقاءات مع صاحب الزمان».

(٢) عن النبي ﷺ «الصلاة قربان كل تقي» بحار الانوار ج١٠ ص٩٩.

(٣) عن النبي ﷺ: **«الصلاة معراج المؤمن»** (عين الحياة ص٢٠١).

(٤) قال الله عزوجلّ: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ سورة العنكبوت الآية ٤٥.

(٥) قال الرضا عليه السلام: **«ان الملائكة لخدامنا وخدّام محبينا»**. عيون اخبار الرضا عليه السلام باب ٢٦ حديث ٢٢.

(٦) قال الله عزّوجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾. سورة الذاريات الآية ٥٦.

(٧) قال عزّ من قائل: ﴿قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ﴾. سورة الحجر الآية ٤١.

(٨) قال عليّ عليه السلام: **«هلك امرؤ لم يعرف قدره»**. نهج البلاغة ص٤٩١.

فأخرج هائما، اصرخ في الفلوات واندب حظي العاثر[١].

فجأة خامرني احساس «انني أؤمن بالله» وكيف لا وقد اقمت لتلاميذي عشرة من الادلّة على وجود الله، سنوات طويلة عشتها مع الادلّة حتى وصلت الى مرحلة اليقين..

انني احب الله ولا أحب شيئاً حبي إيّاه، هو الذي يغمرني برحمته رحيماً ورحماناً وهو بي رؤوف[٢].

فلم لا أطلب منه أن يزيح الحجب؟

انطلق الى بيته عاشقاً، حتى اذا جلست الى قبلته وانتبهت اليه انتابتني مشاعر تذهلني من كل شيء الّا هو فتتفتح بصيرتي وأجد نفسي في حضرته مشدوهاً بوجوده. حتى كلمات الدعاء تفرّ عني فلا أعود استحضر الّا كلمات ذي النون يونس: وهو يسبح الله في الأعماق المتكاثفة الظلام[٣].

فلا اكرر غيرها وهي التي تعني أنه لا قوة في هذا العالم الّا قوّتك وانك وحدك الذي حبوتني بكل شيء حتى البلاء ما منحتنيه الّا تطهيراً لي.. فتعالى اسمك وتبارك إذ منحتني الألم..

أنا الذي أظلم نفسي وأنا الذي وقفت مع زمرة الظالمين وما هذه الحجب التي تفصلني عنك الّا فعلي..

لا أدري كم رددت هذا الذكر! ربما كررته أكثر من مئة مرّة وأنا ساجد حتى اضاءت في قلبي كلمة الله.. الله الرحمن الحبيب العزيز الذي وعد عباده بالخلاص قائلاً: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٤].

فزالت من بصيرتي الحجب، وانزاحت عني الآلام.. ها أنا أعيش لحظات الرحمة التي عاشها يونس، فاذا القلب يتفتح والصدر ينشرح وشعرت أن شكري لله نعمة تستوجب مني شكراً[٥]..

---

(١) بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَٱلْعَصْرِ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾. سورة العصر.

(٢) روايات في تفسير البسملة «بسم الله الرحمن الرحيم». تفسير البرهان ج١ ص٤٠.

(٣) ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ سورة الانبياء الآية ٨٧.

(٤) سورة الانبياء الآية ٨٨.

(٥) ان الله تبارك وتعالى اوحى الى داود: اشكرني حق شكري! فقال يا رب! كيف اشكرك وأنا لا استطيع ان اشكرك الّا بنعمة ثانية من نعمك. جامع السعادات ج٣ ص٢٤٢.

عندها اصبحت كالذي هب من نومه وادرك تخلّفه عن الركب..
آه كم انا مسكين.. كم أنا خاسر ..
كيف أجبر ما مضى؟
قال لي:

ـ بعد تلك الاستغراقة من التأمل استطعت أن أرى محبوبي.. الهي الرحمن الرحيم ببصيرتي رأيت وبقلبي سمعت.. سمعت كلماته وعانقت النور الذي اضاء بقلبي وذبت في لانهائيته.

كيف لا يكون معي وهو القائل: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾[١].
أليس هو القائل: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾[٢].
ألم يقل: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٣].
ألم يقل: ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾[٤].
وألم يقل: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾﴾[٥].
وكيف يلهم النفوس القدرة على عمل الخير والشرّ ولا يكلمني؟!
قال لي:

ذات ليلة وقد بلغت الحلم ولم اكن لأدرك حقائق العالم وأسرار الخليقة نهضت لصلاة الليل وكان شيخ وقور قد علمنيها..

ولعلّي كنت في السجدة الأخيرة من الصلاة عندما غفوت فسمعت صوتاً يتلو عليّ سورة من القرآن:

ـ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿٤﴾ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾﴾.

---

(١) سورة الحديد الآية ٤.
(٢) سورة ق الآية ١٦.
(٣) سورة المائدة الآية ١٢٠.
(٤) سورة الانعام الآية ١٧.
(٥) سورة الشمس الآيتان ٧ ـ ٨.

وفي تلك اللحظة صحوت وكانت الآية الأخيرة ما تزال تدوّي!

قد أفلح من زكاها

قد أفلح من زكاها

قد أفلح من زكاها

وكان الصوت يشتدّ دويّاً ويشتد حتى يملأ أعماقي رهبة وسقطت على الأرض مغشياً عليّ فاقداً الوعي.

وفي تلك اللحظة انكشفت لي الرؤيا:

يا أيها الذين قالوا آمنا بالله واسلمنا

لماذا لا تنصتوا لله الذي خلقكم ووهبكم من كل شيء

ومن هو كلامه حق وصدق؟

ألا تصغون الى ما يقسم به ليوكد أن تزكية النفس هي طريق الفلاح..

من أجل أن يصحو الانسان وينتبه من غفلته يقسم الله سبحانه بمخلوقاته

أقسم بالشمس

«أقسم بمحمد»[١].

أقسم بنور الشمس البهية

بروح محمد

أقسم بالقمر الذي يتلوها

أقسم بعلي الذي قال أنا عبد من عبيد محمد[٢].

أقسم بالنور والنهار

(١) عن ابي محمد عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن قوله الله عزّوجلّ ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾. قال: **الشمس رسول الله ﷺ به اوضح الله عزوجل للناس دينهم.** تفسير البرهان ج٤ ص٤٦٧ ح١.

(٢) عن ابي محمد عن ابي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن قول الله عزّوجل ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾ - قال: **ذاك امير المؤمنين** عليه السلام. تفسير البرهان ج٤ ص٤٦٧ ح١.

أقسم بالحسن والحسين وذريتهما الطيبة وكلماتهم التي اضاءت العالم[1].

أقسم بالليل الذي يغمر العالم بستائره وحجبه وبالسماء

بهذه القبة المرصّعة بالنجوم

أقسم بالأرض

وبالذي بسطها

أقسم بالنفس الانسانية

بالذي الهمها طريق الخير وطريق الشر

أفلح الذي يصقل نفسه وأخفق الذي يدنسها ويثقلها بالخطايا.

ألا توقظكم هذه السورة من سباتكم العميق.

ألم يقل الله سبحانه قد أفلح من زكاها؟

أليس «قد» تفيد التأكيد والحتمية؟

قال لي: ذات ليلة اجريت تجربة «فصل الروح» وكان استاذي قد علمني الطريقة.

ادّيت مقدماتها استلقيت على الفراش وكانت عيناي لا تزالان مفتوحتين عندما أحسست فجأة أن قدمي تخفان وأحسست بثقل في رأسي وصدري ثم رأيت روحي تنسل من قدمي وترتفع.

وهذا الانفصال حدث الى منطقة الحزام يعني ان صدري ورأسي لازالا متحدين بالروح.

ودهشت لما حصل لي فانتفضت من مكاني وعاد من انفصل من الروح الى بدني.

ادركت من تلك الحادثة ان الروح ـ على خلاف البدن ـ مؤلفة من شيء يشبه البخار الشفاف هذا كل ما حصلت عليه من تجربتي الناقصة.

---

(١) عن ابي بصير في قول الله عزوجلّ ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا﴾ الحسن والحسين عليهما السلام. تفسير البرهان ج٤ ص٤٦٧ ح٢.

ولكني وفي تجربة لاحقة عرفت أشياء اكثر عندما نجحت باتمام التجربة وانفصال الروح كليّا عن البدن.. كانت روحي بيضاء وشفافة جداً ولم يكن بدني سوى لحم وعظم ودم.. وكانت له حياة نباتية.. كان بدني هامداً في الفراش كمنظرنا في النوم[(١)].

في الحقيقة ان تجربةفصل الروح هي ذاتها حالة النوم، ولكنها تختلف عن النوم العادي في ان الانسان في هذه التجربة يدرك انفصال روحه ويتحكم في اعادتها الى البدن كما انّ كل ما يراه ويفهمه لا ينساه بسرعة كما ينسى الرؤيا والأطياف.

للروح صفات وادراكات، ولم اكن أعي ذلك فيما مضى. لم أكن اعرف من أين اكتسبت الروح هذه المعلومات، ولكن في مقابل هذا تنطوي النفس على نزعات منحطة. وادركت بعد تأملات ان الروح اكتسبت كل ذلك بعد حياتها في عالم الذرّ ثم ارتباطها واتحادها بالبدن، وانها اذا أرادت أن تطوي طريق الفضيلة وتخلص صوب عوالم الكمال فان عليها أن تتطهر من صفات الرذيلة وتتزكّى، والّا فان هذه الصفات كالحديد تثّاقل الى الأرض وتجرّ بها الى الحياة المادّية.

ولذا فقد عادت روحي الى بدني ولأني لم أتزكَّ لم استطع أن أحافظ على انفصالها سوى لحظات.

قال لي: ومرّت ليالٍ بعد تلك التجربة في انفصال الروح.. كنت قد اعتدت قبل أن أغفو أن اتحدث مدّة نصف ساعة مع سادتي أهل البيت عليهم السلام.. اتحدث بصميمية وحب وكنت كالمعتاد أبدأ بسيدي رسول الله محمد صلى الله عليه وآله..

ولأني اعتقد بأن أرواحهم عظيمة تحيط بي فأنا انحني كمن أقبل يديه وأقول: سلام عليكم واتحدث معه بحب.

ثم أفعل ذلك مع سيدتي فاطمة الزهراء وبعدها الائمة الاطهار واحداً

---

(١) وردت احاديث في بيان جسمية الروح في كتب لها اعتبار ومن جملة هذه الاحاديث عن الصادق عليه السلام: الرّوح لا توصف بثقل ولا خفية وهي جسم رقيق أُلبس قالباً كثيفاً. بحار الانوار ج٦١ ص٧.

واحداً، حتى اذا وصل الدور الى سيدي بقية الله في الأرضين ولأني اعتقد بأنه حيّ في دار الدنيا فأنا اظهر له من الأدب أكثر، فان كنت جالساً نهضت وإن كنت واقفاً انحنيت ثم أضع كفي على رأسي وأقول سلام عليكم فداك يا سيدي روحي ومالي ووالدي وكل ما لدي، وربما القي بنفسي على الأرض في النقطة التي اتصورها محلّا لقدميه ثم لا أفرغ من مناجاته حتى يُلقى في روعي أنه أجاب سلامي.

في تلك الليلة فعلت ذلك ولكن بعد ليالٍ ولأن روحي كانت مثقلة بغرائز حيوانية، كنت اشعر بالألم بكيت اكثر وطلبت من امامي ومحبوبي ومن العالم بأسره فداه أن يدلّني ويرشدني ويأخذ بيدي لأزكي روحي وأطهر نفسي من أدران هذا العالم.

قلت له: سيدي ومولاي ان يوسف كان نبياً وقد قال ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾[1].

من أنا وما شأني حتى اقدر أن اطهر نفسي بنفسي؟

أنت ساعدني من أجل الزهراء فاطمة.

فجأة رأيت المكان مغموراً بالضوء.. يسبح في غلالة من نور، وشعرت أن النور يتسلل الى أعماق وجودي.

استحال كل شيء الى زجاج تغمره الشمس

لم يكن نوراً طاغياً

لا يمكن قياسه بأنوار المادّة

نور يغمر دفؤه الجميع

نور مقدس يضيء كل شيء

قلت له: ايها النور المقدس من أنت وما تكون

هل بمقدورك ايها النور أن تجعلني مثلك شفافاً؟ هل بامكانك أن تطهرني من أدران المادّة ومن الظلمات والحجب الكثيفة ومن كل صفات الحيوان؟

---

(١) سورة يوسف الآية ٥٣.

أجابني ـ ولكن بغير ما اعتدنا من أصوات ينقلها الهواء وتتردد في الآذان بل بصوت سمعه قلبي ـ :

ـ لقد خلقني الله لاضيء لك الطريق وأمثالك؛ أنا ملاذك وسأحميك من الادران[1].

ولكن قبل هذا عليك أن تعرفني ثم تعرف نفسك حتى تعرف الطريق في تزكية روحك، فاذا لم تعرفني وأنا معلمك ولا تعرف الدروس بترتيبها فانك لن توفق ولَن تنجح. والى هنا انتهى حديث النور المقدس.

كنت اشبه بالساهم مشتت الفكر.

ثم صحوت من غفلتي وذرفت الدموع وكأني أحاول أن اغسل بها الادران التي تنوء بها روحي؛ وكانت حالة من الشوق تغمرني.. الشوق للقاء النور.

وكيف لا اشتاق وآيات القرآن تدعونا جميعاً الى أن نتطهر، والعقل أيضاً يدعونا لذلك.

أم ترانا كتب علينا أن نبقى أسرى الطبيعة المثقلة بالمادّة وأن نبقى سجناء الحيوانية؟!!

أم ترانا نستمر في نوم الغفلة حتى الموت!

ألم يخلق الله سبحانه الانسان لمناجاته؟

ألم يصرّح القرآن بأن العناية من خلق الانسان هي العبادة[2].

فلم كل هذه الغفلة ولم هذا الاعراض عن تزكية النفس وتطهير الروح؟!

أرجو الله سبحانه أن يوقظنا من نوم الغفلة.

قال لي: ومضت أيام وأنا ابكي.. لا أعرف ماذا أفعل وذات ليلة جلست في زاوية من غرفتي وضعت خدي على التراب وقد تساقطت عليه الدموع.. وكنت الح في طلب العفو والمغفرة، فجأة رأيت نفسي مغلولاً

---

(١) اين السبب المتصل بين الارض والسماء.. خلقته لنا عصمةً وملاذاً دعاء الندبة.

(٢) قال عزّ من قائل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ سورة الذاريات الآية ٥٦.

في صحراء مدّ البصر وكنت اشعر بثقل الأغلال وفقدت القدرة على النهوض.. عندها شعرت بكلمات من دعاء كميل تشرق في أعماقي: «وقعدت بي أغلالي» غمرتني موجة حزن وانطلقت صيحات استغاثة:

ـ يا صاحب الزمان! يا صاحب الزمان! يا صاحب الزمان!

فجأة شعرت بوجود «المنقذ» الى جانبي

وحبيبي أقرب الي من نفسي لنفسي

وان هذا أعجب من بعده

قلت: لسوف أحقق الوصل يوماً

قال: انظر بحسن فلعلك أدركت الوصال

قلت: سيدي .. مولاي يا من العالم فداؤك..

ساعدني! حطَّ هذه الأغلال عنّي.. كيف يمكنني أن اطوي طريق الكمال وهذه الأغلال تقعدني..

واذا به يأمرني أن أقرأ دعاء «**يا من تحلّ به عقد المكاره**» «[1]».

وقرأت الدعاء من كل قلبي ورددت وقت الزوال: «القدّوس» حتى انطلق من اغلالي.. رددت: القدّوس مئة وسبعين مرّة فلقد روي عن سيدنا علي بن موسى الرضا عليه السلام محفوظ من يردد مئة وسبعين مرّة «القدس» في وقت الزوال من وسوسة النفس وشرور الشيطان[2].

الاستاذ ضرورة

قال لي معلمي:

كان لي تلميذ فيما مضى على قدر كبير من الفطنة والذكاء وكان يحبني كثيراً وكنت أراه يطوي المسافات في طريق الكمال.

في البداية كان يعصيني وكان لا يصغي اليَّ في كل شيء. قال لي ذات مرّة:

---

(١) الدعاء السابع من الصحيفة السجادية للامام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام اذا عرضت له مهمّة أو نزلت به ملمّة وعند الكرب.

(٢) كتاب بحر الغرائب.

- هل من ضرورة للاستاذ اذا أراد المرء أن يطوي الطريق الى الله واكتساب الكمال الروحي، أم أن الانسان بمفرده يمكنه أن يفعل ذلك معتمداً على عقله؟

قلت لـه: ما أصعب هذا لأن المشكلة تكمن في انسانية الانسان والحفاظ عليها وقديماً قيل:

«ما أيسر أن يصبح المرء «ملّا»

وما أصعب أن يكون انسانا»

فكيف يمكن للمرء أن يطوي طريقاً محفوفاً بالأخطار، وكيف يمكن أن يحقق الانسان نمواً روحياً وهو من أصعب الأمور وأعقدها دون أن يكون له دليل ومرشد؟!

وهنا ذكرت له قصة سيدنا موسى بن عمران والخضر قلت له: لقد كان موسى عليه السلام نبياً من أولي العزم وكان بحاجة الى ترشيد روحي، ذلك أنه عندما ذهب الى الميقات وتكلم مع الله سبحانه وتلقى الألواح وعاد الى قومه وتحدث معهم عن لطف الله به، برقت في ذهنه: هل يوجد من هو أعلم منه في الأرض؟!

هنالك أوحى الله سبحانه الى جبريل ان ادرك موسى قبل أن يهلك وقل له أن يذهب الى مجمع البحرين سيجد رجلاً هناك على صخرة هو أعلم منك فتعلّم منه.. وهبط جبريل يؤدي الرسالة..

شعر موسى بالخجل وأدرك ما وقع فيه من خطأ

ودعا فتاه «يوشع» لمرافقته في رحلته العجيبة قال له: هناك.. هناك في مكان عند التقاء البحرين[1] رجل آتاه الله العلم وقد أمرت أن أذهب اليه وأتعلّم منه.

وأعد الفتى يوشع متاع الطريق وكان فيه سمكة وغادرا ديارهما حتى اذا وصلا مجمع البحرين، وجدا رجلاً جالساً على صخرة مطرقا برأسه

---

(١) البحر المتوسط والمحيط في المنطقة التي تدعى اليوم مضيق جبل طارق (المترجم).

ولكن موسى لم يلتفت اليه وواصلا طريقهما، وشعر موسى بالتعب فقال لفتاه نجلس هنا ونستريح ونأكل طعامنا.

وهنا تذكر يوشع ما جرى له قرب تلك الصخرة قال: لكني نسيت ان أقول لك إنني غسلت السمكة وتركتها على الصخرة لتجف ولكن ما حصل أن السمكة الميتة عادت لها الحياة وقفزت في البحر وأخذت طريقها في المياه.. لقد أنساني الشيطان أن أذكر لك ذلك قال موسى: أرأيت الرجل الجالس على الصخرة إنه هو من نبحث عنه هيّا نعود من نفس الطريق الذي سلكناه.

وكانت آثارهما ما تزال مرسومة على الطريق حتى اذا وصلا الصخرة وجدا ذلك العبد الصالح مستغرقاً في الصلاة.

وجلس موسى ينتظر حتى اذا فرغ الرجل من صلاته حيّاه موسى بأدب.

سأل الرجل: من أنت؟

قال موسى: أنا موسى بن عمران

قال الرجل: انت الذي كلمت الله تكليما

قال موسى: أجل.. أنا

قال الرجل: ماذا تريد مني؟

قال موسى: جئت أتعلم مما علمك الله

قال الرجل: انت لن تستطيع معي صبرا، وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا؟

قال موسى: ستجدني ان شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا

قال الرجل: ان اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا

واتفقا على ذلك فانطلقا،

(وشرط التعلّم في السفر أن يطيع التلميذ استاذه)

حتى اذا وصلا شاطئ البحر استقلا سفينة كان موسى يراقب بدقة

حركات استاذه يتعلم من سلوكه.. فجأة رأى موسى أمراً مهولاً.. رأى استاذه يخرق السفينة..

صاح موسى: أتريد أن تخرقها لتغرق أهلها؟! إنك ترتكب عملاً خطيراً؟!

قال الرجل: مذكّرا موسى بالعهد! ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا!

وانتبه موسى فقال: لا تؤاخذني على ما نسيت وسامحني. وهز الرجل رأسه واستأنفا سفرهما بعد أن غادرا السفينة التي اضطر ملاحوها الى الرسو واصلاحها.

وصادفا في طريقهما شاباً وفوجئ موسى بالرجل يهجم على الشاب ويجرّه جانباً ويسدّد له ضربة وقضى عليه.

وهنا لم يتحمل موسى فهجم على الرجل وصرعه قائلاً: أتقتل انساناً بريئاً لم يقتل نفساً ولم يرتكب ذنباً يستحق ما ارتكبته بحقه!

قال الرجل بأسى: ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا

استدرك موسى قائلاً بأسف: لن انبس بعد هذا ببنت شفة ولن أعصي لك أمراً لقد بلغت من لدني عذرا

وانطلقا في سفرهما حتى وصلا قرية انطاكية.. وكانا جائعين وقد بلغ بهما التعب مبلغه وتمنيا أن يستضيفهما أحد من أهل هذه القرية، ولكن أحداً لم يفعل، فطلبا طعاماً من هذا وذاك لكنهما وجدا أهل القرية بخلاء جداً.. وفيما هما يتجولان شاهدا حائطاً خاوياً يريد أن ينهدّ..

ربت الرجل على كتف موسى وقال له: هلمّ نقيمه ونصلحه.

وبالرغم من جوعهما أقاما الجدار وقال موسى بعد أن انتهى العمل لو شئت لاتخذت عليه أجراً.

ومرّة أخرى اعترض موسى على الخضر إنه يتدخل في شيء ولا يصبر ليعرف علل ما يقوم به الخضر.. لهذا قال الخضر بحزم: هذا فراق بيني وبينك.. وآن لي أن افسّر كل ما فعلته في سفرنا.

تلك قصة موسى والخضر التي انتهت بتفسير ما قام به الخضر ونحن نستفيد منها ما يلي:

أولاً: ان على الانسان أن يجد له استاذاً يكون دليله فالطريق الالهي مليء بالعثرات وقطاع الطريق والمخادعين، وهؤلاء لهم وسائل كثيرة للايقاع بالانسان ودفعه الى مهاوي الضياع.

الله سبحانه انتخب من عباده أطهرهم وأكثرهم كمالاً وجعلهم رسلاً له يبلغون أحكامه وتعاليمه.

والشيطان يستفيد من اكثر اتباعه غواية وأقذرهم نفسا وجعلهم أقطاب الصوفية ومدّعي البابية والامامة الكاذبة من أجل دفع الناس في طريق الضلال والهلاك واذا كان الله سبحانه يوحي الى بعض عباده فإنّ الشيطان أيضاً يوحي الى اتباعه ويهديهم الى طريق السعير وهذا ما صرّح به القرآن الكريم.

وقد يقدّر لبعض النفوس الطيبة الطاهرة من الرقي في عالم الروح ما يكون له كرامة في فعله وحياته.

الشيطان أيضاً يفعل لأوليائه بعض الأعاجيب ليزيد في هلاكهم وضلالتهم.

واذا كان الله سبحانه يلهم بعض عباده المخلصين، فان الشيطان يوسوس لمريديه وليس بين الالهام والوسوسة فارق الّا في طهر الكلمات فالالهام خير الهي والوسوسة شرّ شيطاني.

واذا كانت هناك من رؤى رحمانية فأضعاف ذلك رؤى شيطانية.

ومن أجل هذا أرسل الله موسى عليه السلام الى الرجل الصالح الخضر حتى يتعلم منه.

فالاستاذ حجة يوم القيامة على الانسان.

والسؤال هنا من أين لنا أن نعرف ان الله سبحانه يعين لعباده استاذاً ومعلماً؟

وجوابي انني وجدت استاذي، وانتم يمكنكم ان تجدوا استاذكم.

في مطلع شبابي وقد هوت روحي معرفة الحقائق كنت اتوسّل بامام العصر روحي فداه، ورحت ابحث عن استاذي ومعلمي فكل من صادفته عرضته على دائرة أهل البيت اختبره فيها فاذا لم يتجاوز كلماتهم ركنت اليه

ثم اختبره ألا يكون من أولئك الذين يتخذون دينهم فخاً يصطادون به المغفلين، فأتوسل حتى يضيء في قلبي نور أطمئن اليه.

اتضرّع الى الله أنه لا حيلة لي غيرك يا الهي فوفقني للعثور على استاذي، فنجني يا الهي ان اخطأت ووفقني لمعرفته، ثم اتوكل على الله واسلّم اليه واطمئن الى استاذي ومعلمي وأفيد من ارشاداته.

خمسة اساتذة يأمرونني بأشياء ظاهرها نفع لهم ثم أجدها نفعاً لي يعينني في السير في طريق الكمال.

ربما تسألني اذا كانوا اساتذة كلّهم فلم تترك أحدهم وتذهب الى آخر؟!

وأقول لك الا يخطر ببالك ذلك اني لم اتركهم وانما فرّقت بيننا الآجال فكلّما فرّق بيني أحدهم الموت بحثت عن آخر.

ثانياً: ان ما يمكن الافادة منه في قصة موسى والخضر انه يتوجب على المرء ألّا يأخذ بنظر الاعتبار شخصه الذاتي وانما ينظر الى نفسه فان وجد فيها داء ووجد دواءه لدى انسان هو أقل منه شأناً فليتواضع له وليتتلمذ لديه ويخضع له خضوع التلميذ لمعلمه.

لقد كان موسى نبياً من أولي العزم وقد بدا له أنه أعلم الناس وأنه لا يوجد من هو أعلم منه لكنه تواضع للخضر قائلاً له: لا أعص لك أمراً.

ثالثاً: ان على المرء اذا ما وجد استاذه ان يسلّم له تسليماً كاملاً دون قيد أو شرط أو اعتراض.. كما سلّم موسى للخضر حتى بما قام به الخضر من أعمال تبدو في ظاهرها خطأً.

رابعاً: اذا اعترض التلميذ على استاذه في ما يقوم به من أعمال يكون من حق الاستاذ أن يطرد تلميذه الى الأبد وأن يفارقه كما قال الخضر لموسى: انك لن تستطيع معي صبرا.. هذا فراق بيني وبينك.

القصة كما وردت في القرآن:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ

إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ (١).

---

(١) سورة الكهف الآيات ٦٠ ـ ٨٢.

ظلمات النفس

قال لي: سنوات وأنا مستغرق الفكر من أنا؟ ومن أي شيء صنعت، وما هي الاشياء التي أتألف منها؟

ذات يوم رأيت شخصاً خلف منضدة التشريح كان واقفاً عندما جاؤوا بي إليه، قال لي:

ـ سأقوم بتشريحك حتى تعرف من أي شيء تتكون ومن تكون وما أنت.

حاولت الهروب والفرار لكني كنت أخفق في كل مرّة.. لكأنما فقدت كل قدرة وخانتني ارادتي.

وضعوني على منضدة التشريح فشقني بسكين في يده الى شطرين.. لم أشعر بأي ألم، فجأة ظهر لي أنني أتألف من ثلاثة أشياء:

الأول: «الجسد» الذي يبقى شاخصاً بعد الموت يعني ذلك الشيء المؤلف من لحم وجلد وعظم ودم. وقد قام هذا الشخص بفصل جسدي ووضعه جانباً وكأنه شيء اضافي لا حاجة له به.

الثاني: «الروح النباتية» وهي تنتهي مع انتهاء البدن ونصطلح عليها الروح لمجرّد تشخيصها، ذلك أنها ليست مستقلة بل مرتبطة مع البدن، فهي قائمة ما دام البدن قائماً ومبدؤها مع انعقاد النطفة في البدن وتستمر باستمرار حياة الانسان فاذا مات انتهت ولم يعد لها بعد ذلك وجود خارجي.

الثالث: «الروح» وهي نفس الانسان وحقيقته وهي الشيء الذي إذا نام

الانسان أو أغمي عليه توقف نشاطها في البدن. فهي موجودة ما دام الانسان في حالة صحو ووعي فاذا نام انفصلت عنه[1].

ها أنا أرى روحي بدقة.. رأيت ما يشبه طبقة سوداء من الدخان تحيط روحي، عرفت ان هذا الدخان قد اختلط ببخار الروح المتألق بالنور فهو يعطل نورها.

الشخص الذي يتولّى التشريح اشار الى الدخان ان ينفصل عن الروح، والدخان أطاع الأوامر فوراً.. ودهشت لمنظر روحي الشفاف المتألق فظللت مبهوتاً أنظر اليها.

خاطبني الشخص قائلاً: والآن أنظر هذه هي حقيقتك..

هكذا خلقك الله.. فلا بدنك ولا تلك الروح النباتية ولا هذا الدخان يشكل جزءاً من وجودك الحقيقي.

لقد وهبت البدن فيما بعد حتى يمكنك الاستماع بلذائذ الدنيا وتنهض بما عهد اليك ربّك من واجبات فالبدن وسيلتك لأدائها[2].

---

(١) عن ابي جعفر الثاني عليه السلام: «... **نعم اما الرجل اذا نام فان روحه تخرج مثل شعاع الشمس فيتعلّق بالريح والريح بالهواء فاذا أراد الله أن ترجع جذب الهواء الريح وجذب الريح الروح فرجعت الى البدن، فاذا أراد الله أن يقبضها جذب الهواء الريح وجذب الريح الروح فقبضها**». بحار الانوار ج٥٨ ص٣٩ ح٩.

(٢) عن عبدالله بن الفضل الهاشمي قال: قلت لابي عبدالله عليه السلام: لأيّ علة جعل الله عزّ وجل الارواح في الابدان بعد كونها في ملكوته الاعلى في ارفع محلّ؟ فقال عليه السلام: انّ الله تبارك وتعالى علم انّ الأرواح في شرفها وعلوّها متى ما تركت على حالها نزع اكثرها الى دعوى الربوبيّة دونه عزّ وجلّ فجعلها بقدرته في الابدان الّتي قدّر لها في ابتداء التّقدير نظراً لها ورحمة بها واحوج بعضها الى بعض وعلق بعضها على بعض، ورفع بعضها على بعض ورفع بعضها فوق بعض درجات وكفى بعضها ببعض وبعث اليهم رسله، واتخذ عليهم حججه مبشّرين ومنذرين - يأمرون بتعاطي العبوديّة والتواضع لمعبودهم بالانواع الّتي تعبّدهم بها ونصب لهم عقوبات في العاجل وعقوبات في الآجل - ومثوبات في العاجل ومثوبات في الآجل ليرغّبهم بذلك في الخير ويزهدهم في الشّر وليذلّهم بطلب المعاش والمكاسب، فيعلموا بذلك انّهم بها مربوبون وعباد مخلوقون، ويقبلوا على عبادته فيستحقّوا بذلك نعيم الابد وجنّة الخلد ويأمنوا من النزوع الى ما ليس لهم بحقّ.
ثم قال - ج: يا بن الفضل انّ الله تبارك وتعالى احسن نظرا لعباده منهم لانفسهم ألا ترى انّك لا ترى فيهم الّا محبّاً للعلوّ على غيره حتّى أنّه يكون منهم لمن قد نزع الى دعوى الربوبيّة ومنهم من نزع الى دعوى النبوّة بغير حقّها، ومنهم من نزع الى دعوى الامامة بغير =

واضافة الى هذا فان خلايا جسدك تنهدم كل يوم، بل كل لحظة وتأتي بدلها خلايا جديدة عن طريق التغذية، والحقيقة ان بدنك مثل جدول ماء يتجه صوب الفناء والزوال، ولولا انك تتغذى لتجبر ما يتهدم فان بدنك يضعف شيئاً فشيئاً ويتلاشى، اذن فبدنك لا يمتلك قدراً كبيراً من الأهمية التي تتصورها.

واما الروح النباتية فهي من أجل حفظ حياتك فقط فهي أدنى مرتبة من البدن نفسه، وما عملها سوى ايصال المواد الغذائية الى خلايا الجسد.

فكما أن النباتات تمتلك هذه الروح لحفظ حياتها ونموها فكذا بدن الانسان تحفظه هذه الروح ولذا اطلقنا عليها اسم الروح النباتية.

وأما الدخان الذي ازلته عنك فهو في الحقيقة التلوث الذي يصيب الانسان في عالم الذر وفي الدنيا سواء أكان بفعل النفس أو بسبب تلوث البيئة فاصيبت الروح بها وهنا يتوجب عليها التزكية التي يتم معظمها في هذه الدنيا.

وبوضوح أكثر ان هذا السواد، وهذه الظلمة انما جاءا بسبب افعالك الجاهلة واستغراقك اكثر مما يجب في الدنيا وتأثيرات الشيطان. وما واجبك في دار الدنيا الّا أن تزيح هذا الظلام عن نفسك.

ولتعلم ان هذا السواد اذا لم يكن اكثر تأثيراً من روحك فهو لا يقل عنها، ذلك انه بقدر ما يؤثر تهلك روحك في طريق سعادتك فان هذا السواد الذي يدعى مرّة: «النفس الامارة بالسوء» ويدعى أخرى: «الروح الحيوانية» يعمل من أجل شقائك.

قال لي: ودققت النظر في ذلك السواد الذي انفصل عن روحي فاذا هو كثيف جداً مثقل بالقذارة.

= حقّها وذلك مع ما يرون في انفسهم من النقص والعجز والضعف والمهانة والحاجة والفقر والآلام والمناوبة عليهم والموت الغالب لهم والقادر لجميعهم يابن الفضل انّ الله تبارك وتعالى لا يفعل بعباده الّا الأصلح لهم ولا يظلم النّاس شيئاً ولكنّ الناس أنفسهم يظلمون. (علل الشرايع مجلد اوّل صفحة ١٥ و١٦ بحار الانوار مجلد ٥٨ صفحة ١٣٣ حديث ٦).

انه يفوق بشاعة الشيطان الذي رأيته ذات ليلة بهذه البشاعة.

أعني تلك الليلة وكنت في مطلع شبابي وكنت في خلوة بغرفتي نائماً وحدي، وكانت فتاة شابة هي الأخرى نائمة في غرفة ثانية.

فجأة انتبهت على كف توقظني.. لا أدري اذا كنت قد انتبهت في كامل وعيي أو انني كنت بين النوم واليقظة عندما رأيت كائناً يشبه الانسان لكنه اسود كالدخان وكانت الخيانة واضحة على هيئته.. دعاني لأن أخون.. فصرخت من ذعري وخوفي واغمي علي.

ها أنا الآن ادرك ان تلك الصورة الشيطانية قد انعكست في روحي الشفافة المتألقة الزاخرة بالنور، فاذا تلك الملامح الشيطانية أجدها الآن قد ظهرت في روحي.

وكما أخبرني ذلك الشخص انه يتوجب عليّ أن أميط عن روحي ذلك، والّا اصبحت مثل الشيطان الذي طرد من رحاب الله بسبب جهله وخيانته وتكبّره وأنانيته، وبسبب صفاته القبيحه هذه وسيبقى رجيماً تلاحقه اللعنة الى يوم القيامة وسيكون مصيره جهنم خالداً فيها.

وحتى لا يكون مصيري كمصيره رتبت برنامجاً سأشرحه لك في ما بعد من أجل انقاذ روحي من ذلك السواد..

أي أنني سأقوم بمعرفة ذلك السواد جزءاً جزءاً ثم أقوم بتنقية روحي لأصل الى مقام الانسانية الكريم.

قال لي: وهنا وقع ما أربك الحالة وعادت الاشياء التي فصلها الشخص الى ما كانت عليه من اتصال.

اشكر الله سبحانه الذي لطف بي إذ أيقظني من نوم الغفلة وعرّفني نفسي، وعندما رجعت الى الآيات القرآنية والروايات وجدت ان الحقيقة لم تكن غير ما رأيت.

ولذا انصبّ همّي بعد ذلك اليوم على الدخان الأسود الذي ولج روحي وحاولت وبكل الوسائل أن انزعه من وجودي حتى اتمكن من مواصلة السير الى الله، وابلغ حالة الوصل التام.

لكني ظللت في حيرة من أين أبدأ وكيف لي التخلص من صفات

الرذيلة التي تنوء بها روحي.. وذات ليلة وأنا أتلو القرآن واستمدّه العون فاذا هذه الآيات تشع في قلبي:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَـٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾[1].

ورحت أتأمل في هذه الآيات متدبّراً اسبر معانيها من طرف ومن طرف آخر جاء في الروايات عن الائمة الاطهار ما يقرأ المؤمن آية أو سورة من القرآن لحاجة الّا قضيت له، فأنا أقرأ هذه الآيات لهذه الحاجة... من أجل الخلاص من الظلمات التي هي في روحي.

فجأة حدث لي ما حدث في المرّة السابقة.. انفصلت روحي عن البدن، وتحررت الروح مما اكتنفها من سواد.. وفي هذه المرّة استطعت أن آخذ روحي الى المختبر لأنظر كيف هي وما هذا السواد الذي يلفها؟

ومن حسن الحظ اني عرفت في المختبر كنه ذلك السواد وطريقة الخلاص منه.

نظرت فيه فإذا الجهل متجسد من أخمص قدميه الى قمة رأسه، ولذا فان علاجه الوحيد هو العلم.

وتوضيح ذلك ان هذا السواد في روحي جاء من الإعراض عن عالم الارواح ونسيان ما تعلمه الروح في مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

فالجهل والنسيان احتلا مكان العلم والمعرفة، وعلى هذا احتل الشر مكان الخير والكفر محل الايمان.

---

(١) سورة الحشر: الآية ١٨ الى آخر السورة.

فإذا قمت بتعزيز ايماني فان الكفر والشر سينحسران شيئاً فشيئاً وأزحت قليلاً ذلك السواد عن روحي.

فكرت ماذا أفعل حتى انجو من الظلمة التي تكتنف روحي؟ ولم أدرك كم هي شاقة هذه المهمة؟

مرّت سنوات وانا مستغرق في ترويض نفسي مستخدماً وسائل مختلفة.

مرّة أتأمل في ادلّة وجود الله، ومرّة استغرق في آيات الآفاق والأنفس، وساعة اغوص في دقائق هذا العالم من نبات وحشرات وكيفيّة الخلق، وبالرغم من أن هذا كان يؤثر في نفسي ولكن قلبي لم يكن يقرُّ له قرار.

ومع كل ما عانيت لم أحصل الّا على ايمان مؤقت، أي أن السواد كان ينحسر قليلاً ثم يعود، وكان ايماني يشتد تارة فتغمر قلبي السكينة، ثم يهجم الكفر والجهل فيمتلئ وجودي بالشرّ والسوء، فلم يكن ايماني مستقرّاً وهذا ما ضاعف من معاناتي.

ذلك أن الغياب الكامل للايمان يكون محسوساً بشكل واضح كأنه دوامة من العذاب تعصف بالمرء.

مع اني كنت مبتهجاً لأنني صنعت عشاً لايماني في القلب، والايمان كما لو انه حمامة تضع قدمها لأول مرّة في عش جديد، فهي لم تعتد عليه بعد، فاذا وجدت حشرات تؤذيها غادرت العش وقد لا تعود اليه.

ولذا تأملت في عش قلب وفي علّة اضطراب حالة الايمان فيه فإذا وفّقت في الوقوف عليها فربما استقر ايماني.

ولكن يا للأسف عندما اراجع روحي ونفسي وعش الايمان فيها أرى كثيراً من الحشرات والديدان والتي سأدعوها باسمائها جميعها أو قسماً منها والتي تعاني منها أنت أيضاً وبسببها يضطرب ايمانك ولذا يتوجب عليك القضاء عليها، لأن لكل واحد منها دوراً في تكثيف الظلمة والسواد في روحك وهي كما يلي:

حب الدنيا، طلب الجاه والرئاسة والنفوذ، ظلم الناس، النفاق، نكران النعمة، القسوة، العجلة، التكبر، الجفاء، حب الشهرة، الحقد،

الحسد، البخل، الخيانة، الوقاحة، الاسراف، الحرص، الغلظة، الاستغراق في الشهوات، النميمة، الانحطاط، الانتقام، فقدان الصبر، الانكار والعناد، الكذب، فقر الذات، العدوان، التفاخر والتباهي[1].

طبعاً لم ابتل بجميع هذه الصفات، فلقد عشت في بيئة وفي ظل اسرة غذتني صفات كريمة، أو يمكن القول إنها لم تدع للرذائل طريقاً الى نفسي.

لكني ما زلت اعاني من حبّ الدنيا والشهرة والرئاسة وهذا ما جعل الظلمة تتكاثف في روحي.

غير اني وببركة أهل بيت الوحي عليهم السلام بدأت التطهير في روحي وتخلصت مما يثقلها من اللوث.

وها أنا أضع حصيلة تجربتي في هذا الكتاب من اجلك.

---

(١) اصول الكافي جنود العقل والجهل ج١ ص١٤.

الانبساط والانقباض

قال لي: ذات يوم جاءني شاب أحبّه كثيراً وكان من أسرة اصيلة جاءني وقال لي: لقد فقدت ايماني بالمَرّة، انني اكاد انفجر لأني فقدت ايماني بحقائق الوجود.. ارجوك ساعدني في الشفاء من هذا المرض!

ولأني أعرفه وأعرف انه يجهل الدلائل العلمية والعقلية والنقلية في أصول العقائد... يعني انه لم يحقق فيها ولم يطالع كتاباً حولها أمرته أن يطالع كتاباً في اصول العقيدة ويعزز عقائده علمياً فلعل ايمانه يعود اليه.

واستجاب لما نصحته وذهب الى استاذ طيب، قلت لاستاذه يجب ان ينظم برنامجه بدقة حتى يتعلم اصول العقائد في مدة قصيرة..

وكانت النتيجة أن شفي من مرضه الروحي.

قال لي: وذات يوم جاءني رجل كان قد اجتاز سن الكهولة وعلى حدّ تعبيره أنه أمضى سنوات طويلة في دراسة الفلسفة والعقائد الاسلامية، واصبح استاذاً مختصّاً بهما وقال لي: لا أدري لماذا يهتز ايماني مع أني اعرف ادلة كثيرة في اثبات وجود الله وسائر القضايا العقيدية.. أكاد اتشظّى.. وكأن الادلّة التي اعرفها في وجود الله هي أدلة في انكاره!! ماذا بوسعي أن أفعل؟

قلت له: لعل السبب في أن بيت فؤادك يكتظ بالرذائل من الصفات، ولم تزك نفسك،ولذا فان الايمان يلج قلبك وهو مثقل بالأغلال، ولأنه لا ينسجم مع الرذائل فهو يغادر قلبك في اول غفلة لك، واذا غادر الايمان القلب فمن الصعب أن يعود.. انه في هذه الحالة كحمامة تجبرها على دخول وكر يموج بالحيوانات المفترسة.. انها لن يقرّ لها قرار في مثل هكذا

مكان.. وهكذا الايمان مع وجود الرذائل.

اذا أردت لحمامة الايمان أن تستقر في قلبك فعليك بتزكية نفسك وتطهيرها من كل الرذائل.

قال لي: مرذة ذهبت الى رجل طوى مراحل في طريق السالكين وقطع اشواطاً في سيره وسلوكه، حتى حصل على معارف روحية. ذهبت عنده وطلبت منه أن يفيدني من تجاربه في شؤون السير الى الله.

قال لي: كنت اشاهد في طريق الكمال الروحي حالات من الانبساط العجيب واشعر أن معنوياتي ترتفع.. كما لو أني ابصر كل حقائق الوجود وما وراء الطبيعة.. وربّما تداهمني حالة من الانقباض فأصبح كما لو اني غارق في ظلمة كثيفة حتى لا ابصر موضع قدمي.

ومع كل هذا فقد كنت اداوم على سيري المعنوي وتزكية روحي ولم أكن لاكترث لهذا الانقباض والانبساط في روحي وكنت احسب نفسي مسافراً جالساً في اتوبيس، اتملّى مناظر الطريق المدن والمصابيح والمناظر الخلّابة وربما مررت بصحراء جرداء لا نبات فيها ولا ماء غارقة في الظلام الدامس.

ولا أنسى انني كنت أرى اطيافاً جميلة، وتحدث لي مكاشفات رائعة، فتمتلئ أنفاسي من عبير المعاني المشرقة ولكن استاذي كان قد حذرني من الاشتغال بما اشاهده لأن الغاية المنشودة هي تزكية الروح، وانه طائل من وراء تلك المشاهد ما دام المقصد بعيداً وما دام في وجودك صفات غير انسانية. وعليك أن تدرك أنها قد تصبح عثرة في طريقك أو تشغلك على الأقل من الوصول الى الهدف.

وكذا لو انك لم تر طيفاً او مكاشفة ولم تحدث لك مشاهدة وكنت في انقباض مطلق ولم يكن لك نشاط في دعاء وذكر وعبادة مع انك لا تزال مستغرقا في تزكية روحك ولا تزال مولياً وجهك شطر الله سبحانه فتصور نفسك مسافراً في سيارة تشق طريقها في صحراء قفر لا يوجد فيها ما يستحق النظر.

وخلاصة القول الا يعيقك الانقباض والانبساط في مواصلة السير في طريق الكمال وان عليك أن تمضي قدماً فلا هدف سوى بلوغ الكمال.

حب الدنيا

قال لي: ذات يوم توجهت لزيارة مرقد الامام الرضا عليه السلام.. قرأت الزيارة الجامعة من كل قلبي وكنت اعيش معانيها وكأني اخاطب أهل البيت فحلّقت روحي، وكنت اشع بالسعادة والبهجة كما لو كنت حمامة تخلّصت، من القضبان والقفص وراحت تحلق صوب منابع النور والضوء.

ولكن يا للحسرة كنت اشعر وأنا في تلك الحالة بأن حجراً ثقيلاً معلّقاً في قدمي يشدّني الى الأرض حتى أسقط.. نظرت الى ذلك الحجر فاذا مكتوب عليه «حب الدنيا» هو مصدر كل الخطايا[1].

ماذا أفعل يا الهي لكي اجتاز هذه العقبة يجب ألّا يكون في قلبي حب للدنيا ولو مقدار ذرّة.

آه يا ربي ماذا أفعل مع حب الدنيا؟

لماذا أجهل هذه الحقيقة.. ان الدنيا لعب ولهو.

لماذا لا ادرك أنني سأغادرها وليس في وسعي أن آخذ منها شيئاً[2].

اليست هي زاخرة بالمتاعب؟

اليست هي محفوفة بالاخطار والبلايا؟[3]

وهل يخلد فيها أحد أم هي باقية لأحد، فلماذا اتعلّق بها واركن اليها؟!

---

(١) **«حب الدنيا رأس كل خطيئة»** بحار الانوار ج٧٢ ص٩٠ ح٦٢.

(٢) **«الدنيا دار ممر لا دار مقر»**. نهج البلاغة حكمة ١٣٣.

(٣) **«دار بالبلاء محفوفة»** نهج البلاغة خطبة ٢١٧.

لماذا أورِّط نفسي في شباكها.. لا.. لا ينبغي لي أن أتعلق بها ولو مقدار ذرّة..

يجب علي أن افترض نفسي راحلاً عنها مفارقاً لها، فلا يبقى في قلبي تعلّق بها.

سأترك كل شيء وأرحل.. سأرحل مودّعاً الحياة؛ بيتي وابنائي وأموالي وحتى بدني.. أجل كل شيء.. وسأرحل وحيداً مجرّداً من كل شيء، وسأقف في رحاب ربي. فاذا كان لي تعلق بالدنيا فلن أكون حاضراً بكل كياني أمام الهي وعندها سيحلّ بي غضب ربي..سيطردني ويصبّ عليّ اللعنة كما طرد الشيطان من حضرته فيما مضى.. ستلاحقني لعنته إلى يوم القيامة.

فلماذا احب دنيا كهذه ولماذا اخلق لنفسي كل هذه المتاعب.. احمد الله انني تخلّصت من حب الدنيا ببركة أهل البيت.. كحمامة تخلصت من الفخ واتجهت إلى السماء سمت نفسي وحلّقت صوب الحقائق المتألقة.

قال لي: كان يوم عرفة.. وكنت اقرأ دعاء سيدي الحسين في هذا اليوم.. لم أكن قد انتهيت بعد عندما وقعت لي مكاشفة!!

رأيت نفسي في حال سأشرحها بعد لحظات ولأني رأيت الدنيا في صورة فقد حلّ بعضها في قلبي ولم أعد أثق بها.

في تلك المكاشفة رأيت نفسي في وادٍ تحيط به جبال شاهقة من كل جهاته فكان كهاوية سحيقة لا يمكن الفرار منها، ولو ان صخرة وقعت من أعلى القمم لسقطت فوق رأسي.

فشعرت بالوحشة والرهبة، وما زاد في رعبي اني رأيت صخوراً تنقلع من القمم فهي تتجه نحوي وكان مكتوباً على كل صخرة بلاءُ من بلايا الدنيا، ولو سقطت علي لدفنتني فأشقى بذلك إلى الأبد.

وفي الأثناء تألقت في عيني أنوار أهل البيت وأحاطت برأسي تتطلع إلى مسكنتي..

فتوسلت بـ «بقية الله» شكوت له.. قلت له: ان البلايا تنصب على رأسي.. فألوذ بك يا سيدي!

«أنت يا مولاي كريم من أولاد الكرام، ومأمور بالضيافة والاجارة فاضفني وأجرني صلوات الله عليك وعلى آبائك الطيبين الطاهرين»[١].

فقال لي إنها ستتوقف عند حدودها.. وتناهى لي صوت رخيم يرتل بآيات القرآن.. وكان صوتاً لم أسمع مثله في حياتي كلها!

﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾﴾[٢].

﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[٣].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾[٤].

﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾[٥].

﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾[٦].

﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾[٧].

---

(١) زيارة يوم الجمعة / مفاتيح الجنان ص١٢٠.
(٢) سورة الأنعام الآية ٣٢.
(٣) سورة التوبة الآية ٣٨.
(٤) سورة يونس الآيتان ٧ و٨.
(٥) سورة يونس الآية ٢٤.
(٦) سورة لقمان الآية ٣٣.
(٧) سورة النازعات الآيات ٣٧ ـ ٤١.

آه يا له من صوت يخطف القلوب ويا لها من كلمات مؤثرة تأخذني بعيداً عن حب الدنيا وتقرّبني من الآخرة..

لكني ما زلت في تلك الهاوية تحيطني الجبال الشاهقة ولا أدري ماذا أفعل؟!

وعاودني الهم مع انقطاع الصوت حتى أخذ على قلبي وعادت الصخور تهوي باتجاهي.. فبكيت وتوسلت ـ كلما اصابني حجر ـ بواحد من أهل البيت وسلّمني الله ببركتهم.

وادركت كم هي سيئة هذه الدنيا وكم هو مجنون من يتعلّق بها.

لا عقل لمن يحب دنيا تهوي عليه بالبلايا من كل صوب ولا نجاة لأحد من بلاياها إلّا من استضاء بنور أهل البيت ولاذ بهم وفاء إلى ظلالهم الوارفة.

«من أتاكم نجا ومن لم يأتكم هلك»[1].

الآن وقد مرّت عشرون من السنين على تلك المكاشفة لم يصبني من بلايا الدنيا شيء.. لأني كنت لائذاً بحمى أهل البيت عليهم السلام.

قال لي: ذات يوم كنت في مجلس حسيني، وقارىء يتلو مصاب سيد الشهداء، ذكر إعراض اصحاب الحسين عليه السلام عن الدنيا. وبكيت لمصابهم وبكيت لمصابي أنا لماذا لم أكن مثلهم..

فجأة رأيت نفسي في حالة.. لم أكن نائماً.. أجل.. ولعل ما حصل لي كان مكاشفة.. مكاشفة تختلف عن المكاشفات العادية.

وعلى أيِّ حال رأيت نفسي في سجن، وكان السجن في فوضى وكان بعض الأشقياء يؤذون الآخرين، ولم يكونوا يكترثون للسجّان وكانوا يشيعون أخباراً مختلفة عن خارج السجن.

يقول أحدهم: اذا تحررتم من السجن فإن الملك القوي سوف يقبض عليكم ويعذبكم أشد العذاب بل وسيرميكم في النار ولن يمهلكم لتتنفسوا نفساً واحداً.

---

(١) الزيارة الجامعة الكبيرة.

الذين صدّقوا هذه الشائعة لم يكونوا يرغبون في الخروج من السجن فالسجن بكل آلامه لديهم أفضل.

الجهلة من الذين فقدوا ذاكرتهم نسوا بالمرّة ما وراء قضبان السجن، وكانوا يقولون: لا يوجد شيء خارج السجن فكل ماهو موجود هو هذا السجن، ولذا فأنهم يرفضون الخروج من السجن.

ولكن كان هناك بضعة أفراد يدركون أنهم في سجن، سجن مع الأعمال الشاقة، وأن السجن في فوضى وأن حقوق السجناء المحدودة تسحق تحت الأقدام.. كانوا يدركون أيَّ نعمة هي خارج السجن وأيَّ لذة وأيَّ قصور جميلة هي بانتظارهم.. لهذا كانوا يعدون اللحظات، وكانوا يقدمون طلباً باطلاق سراحهم يومياً..

وفي هذه الأثناء همس أحدهم في أذني:

مثل هذا السجن ومثل هؤلاء السجناء مثل الدنيا وأهلها[1].

فلو أنك قلت لهذين الفريقين؛ «خلصكم الله من هذا السجن» فكأنك قلت لأحد من أهل الدنيا: «أماتك الله»، ولكنك لو قلت لذوي العقل من أولياء الله: أماتك الله فكأنك قلت له: خلصك الله من هذا السجن وسيبتهج بما قلت له: كما فعل أصحاب سيد الشهداء الحسين عليه السلام عشية عاشوراء، فقد كانوا فرحين لأن غداً سيطلق سراحهم من السجن.. سجن الدنيا[2].

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا﴾[3].

قال لي: لو أن امرءاً التفت الى أخبار المعصومين في ذم الدنيا والثناء عليها لعالج في ذاته مرض حبّ الدنيا، وادرك قيمتها.

---

(١) «الدنيا سجن المؤمن» الخصال ج١ / ٥٣.

(٢) خرج حبيب بن مظاهر يضحك، فقال له يزيد بن الحسين: ما هذه ساعة ضحك. قال حبيب: وأي موضع أحق بالسرور من هذا؟ ما هو الآ أن يميل هؤلاء بسيوفهم فنعانق الحور. رجال الكشي / ٥٣، مقتل الحسين / ٢١٦.

(٣) سورة الجمعة الآية ٦.

قال رسول الله ﷺ: «**نعم العون على طاعة الله المال**»[1].

ويقول الامام الصادق عليه السلام: «**نعم العون على الآخرة الدنيا**»[2].

ويقول الامام الباقر عليه السلام عن النبي ﷺ: «**العبادة سبعون جزءاً أفضلها طلب الحلال**»[3].

ويقول الامام الصادق عن النبي ﷺ: «**ملعون من ألقى كَلّه على الناس**»[4].

ويقول الامام السجاد عليه السلام: «**الدنيا دنياءان: دنيا بلاغ، ودنيا ملعونة**»[5].

فالدنيا في رؤية الامام دنيا يفيد المرء منها قدر ما يحتاج والأخرى ملعونة لا خير فيها.

ويقول الامام الباقر عليه السلام: «**من طلب الرزق في الدنيا استعفافاً عن الناس وسعياً على أهله وتعطفاً على جاره لقي الله عز وجل ووجهه مثل القمر ليلة البدر**»[6].

وقال الامام الصادق عليه السلام: «**الكادُّ على عياله كالمجاهد في سبيل الله**»[7].

وقال في رجل قال: «**لاقعدن في بيتي ولاصليّن ولاصومنّ ولاعبدنّ ربي فأمّا رزقي فسيأتني، قال** عليه السلام: **هذا أحد الثلاثة الذين لا يستجاب لهم**»[8].

وقال عليه السلام: «**ان الله ليحبّ الاغتراب في طلب الرزق**»[9].

---

(١) وسائل الشيعة ٦ / ١٧.

(٢) المصدر السابق ١٢ / ١١؛ مسند أحمد ٣ / ١٢٨؛ سنن النسائي ٧ / ٦١.

(٣) وسائل الشيعة ١٢ / ١١.

(٤) المصدر السابق ١٢ / ١١٨.

(٥) أصول الكافي ٢ / ٣١٧.

(٦) وسائل الشيعة ١٢ / ١١.

(٧) اصول الكافي ٥ / ٨٨.

(٨) وسائل الشيعة ١٢ / ١٤.

(٩) اصول الكافي ٥ / ٨٨.

وقال له رجل: «والله إنّا لنطلب الدنيا ونحب أن نؤتيها.

فقال عليه السلام: تحب أن تصنع بها ماذا؟

قال: أعوذ بها على نفسي وعيالي وأصل رحمي واتصدّق بها واحج واعتمر.

فقال عليه السلام: ليس هذا طلب الدنيا، هذا طلب الآخرة»[1].

وقال في مناسبة أخرى: «**ليس منّا من ترك دنياه لآخرته**»[2].

وقال سيدنا محمد صلى الله عليه وآله: «**لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء**»[3].

وقال صلى الله عليه وآله في مناسبة أخرى: «**الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الّا ما كان لله منها**»[4].

وقال صلوات الله عليه: «**من أحب دنياه أضرّ بآخرته، ومن أحب آخرته أضرّ بدنياه فآثروا ما بقي على ما يفنى**»[5].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**حبّ الدنيا رأس كل خطيئة**»[6].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**يا عجباً كل العجب للمصدّق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور**»[7].

وقال صلى الله عليه وآله: «**من أصبح والدنيا أكبر همّه فليس من الله في شيء، والزم الله قلبه اربع خصال: همّاً لا ينقطع عنه أبداً وشغلاً لا يتفرّغ منه أبداً وفقراً لا ينال غناه أبداً وأملاً لا يبلغ منتهاه أبداً**»[8].

وقال الامام الصادق عليه السلام: «**الدنيا دار من لا دار له ولها يجمع من لا**

---

(١) وسائل الشيعة ١٢ / ١٩.

(٢) من لا يحضره الفقيه ٢ / ٥١؛ وسائل الشيعة ١٢ / ٤٩.

(٣) المحجة البيضاء ٥ / ٣٥٣.

(٤) المحجة البيضاء ٥ / ٣٥٣.

(٥) المستدرك للحاكم النيسابوري ٤ / ٣١٩.

(٦) المحجة البيضاء ٥ / ٣٥٣.

(٧) المصدر السابق.

(٨) المصدر السابق ٥ / ٣٥٥.

عقل له»[1].

وروى عليه السلام عن جدّه صلى الله عليه وآله: قوله: **«مالي وللدنيا انّما مثلي ومثلها كمثل الراكب رفعت له شجرة في يوم صائف فنام تحتها ثم راح وتركها»**[2].

وقيل لأمير المؤمنين عليه السلام صف لنا الدنيا فقال عليه السلام: **«وما أصف لك من دار أولها عناء وآخرها فناء. في حلالها حساب وفي حرامها عقاب من استغنى فيها فتن ومن افتقر فيها حزن ومن ساعاها فتنته ومن قعد عنها واتته ومن ابصر بها بصرته، ومن ابصر إليها أعمته»**[3].

وقال عليه السلام:

يا أهل لذات دنيا لا بقاء لها ... انَّ اغترارا بظل زائل حمق[4]

وقال الامام الصادق عليه السلام: **«ما أعجب رسول الله من الدنيا الّا ان يكون فيها جائعاً خائفاً»**[5].

وقال لقمان لابنه وهو يعظه: **«يا بني بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعاً، ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعاً»**[6].

وتمثل الامام الحسن المجتبى بيتاً من الشعر يقول:

يا أهل لذات دنيا لا بقاء لها ... ان اغترارا بظل زائل حمق[7]

وقال سيدنا محمد صلى الله عليه وآله: **«الدنيا حلم وأهلها عليها مجازون معاقبون»**[8].

وتمثلت الدنيا لعيسى عليه السلام في صورة امرأة زرقاء فقال لها: كم تزوجت؟ قالت كثيراً قال فكم طلقك؟ قالت بل كلّهم قتلت! قال: فويح

---

(١) اصول الكافي ٢ / ١٢٩.
(٢) المحجة البيضاء ٥ / ٣١١.
(٣) نهج البلاغة الخطبة ٨٢.
(٤) المحجة البيضاء ٥ / ٣٦٢.
(٥) اصول الكافي ٢ / ١٢٩.
(٦) المحجة البيضاء ٦ / ٣٩٩.
(٧) المحجة البيضاء ٦ / ٩، بحار الانوار ٧٣ / ١٢٢.
(٨) المحجة البيضاء ٦ / ١٠.
(٩) بحار الانوار ٧٣ / ١٢٥ . ١٢٦.

ازواجك الباقين كيف لا يعتبرون بالماضين؟[1]

وقال عليه السلام: **«الدنيا جسر فاعبروها ولا تعمروها»**.

وقال أيضاً: **«انما الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها»**[2].

وكتب أمير المؤمنين علي عليه السلام الى سلمان الفارسي: **«اما بعد فانما مثل الدنيا مثل الحيّة ليّن مسّها قاتل سمها، فاعرض عمّا يعجبك فيها لقلّة ما يصحبك منها، وضع عنك همومها لما ايقنت به من فراقها وتصرّف في حالاتها، وكن آنس ما تكون بها أحذر ما تكون منها، فان صاحبها كلّما اطمأن فيها الى سرور اشخصته عنه الى محذور، او الى ايناس ازالته عنه الى ايحاش والسلام»**[3].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«انما مثل صاحب الدنيا كمثل الماشي في الماء، هل يستطيع الذي يمشي في الماء ألّا تبتلّ قدماه؟»**[4].

وقال الامام الصادق عليه السلام: **«مثل الدنيا كمثل ماء البحر كلّما شرب منه العطشان ازداد عطشا حتى يقتله»**[5].

وقارن النبي صلى الله عليه وآله متاع الدنيا بالآخرة قائلاً: **«ما الدنيا في الآخرة الّا كمثل ماء البحر كلّما شرب منه العطشان ازداد عطشاً حتى يقتله»**[6].

وعن الامام الكاظم عليه السلام: ان لقمان وعظ ابنه قائلاً: **«يا بني ان الدنيا بحر عميق قد غرق فيه عالم كثير، فلتكن سفينتك فيها تقوى الله وحشوها الايمان، وشراعها التوكل وقيّمها العقل، ودليلها العلم وسكانها الصبر»**[7].

وروى الامام الصادق عليه السلام عن أبيه الباقر عليه السلام قوله: **«مثل الحريص على الدنيا كمثل دودة القز كلما ازدادت على نفسها لفّاً كان ابعد لها من الخروج حتى تموت غمّاً»**[8].

---

(١) بحار الانوار ٧٣ / ٩٣؛ الخصال ١ / ٣٣.

(٢) نهج البلاغة الرسالة ٦٥.

(٣) المحجة البيضاء ٦ / ١٢.

(٤) اصول الكافي ٢ / ١٣٦.

(٥) المحجة البيضاء ٦ / ١٤.

(٦) اصول الكافي ١ / ١٦؛ بحار الانوار ٧٨ / ٢٩٩.

(٧) اصول الكافي ٢ / ١٣٤.

حـــب الجـــــاه

قال لي معلمي: في أيام دراستي سمعت شيئاً عن حياة المرحوم صاحب الجواهر آية الله الشيخ محمد حسن النجفي الذي كان يمتحن طلبته ويؤيد اجتهادهم.

جاء أحد الطلبة وقد أعدّ موضوعات فقهية بعد أن أيد شخصان بأن هذه الموضوعات تعود له، لكنه كان قد أخذها من غيره ولم تكن له يعني أنّه انتحلها لنفسه... جاء الى الشيخ النجفي فمنحه الشيخ اجازة الاجتهاد!

وتمضي أيام فيأتي طالب كان قد اطلع على هذه «السرقة» وأخبر الشيخ بذلك.

وسعى الشيخ في العثور عليه لكن دون جدوى؛ وبعد أن يئس منه ارتقى المنبر ووعظ الطلاب وكان جلّ حديثه عن حب الجاه والرياسة، ثم بكى بكاءً طويلاً، ثم قال: ان هذه الامراض تهدد سعادة الانسان الخالدة، ثم نزل عن المنبر ولم يمنح بعدها اجازة لاحد في الاجتهاد ومات كمداً بعد أيام قلائل.

لقد سمعت هذه القصة في أيام دراستي وكنت أقول في نفسي اذا لم يكن هناك حب للجاه والرياسة فما الداعي للحصول على اجازة الاجتهاد؟ والأسوأ من هذا أن يكون السعي بالحيلة والمكر والخداع فكان عاقبة ذلك أن مات عالم كبير أسفاً وحزناً بل لنقل قتل بسبب ذلك. وتساءلت:

لماذا ينشدّ المرء الى الصفات الحيوانية فيه؟ ولذا فكرت في علاج هذه الوعكة أعني حب الجاه والرياسة في مطلع شبابي.

وربّما خامرني احساس باني قد تخلصت من هذه الصفة.

لكني عندما امتحن نفسي أجدني راسباً في الامتحان حتى اجتزت في النهاية الامتحان بنجاح.

والآن أعرف انك تحب الاطلاع على كيفية العلاج وكيف زكيت نفسي وكيف امتحنتها ولأني أرى فيك التلميذ الطيب فسأشرح لك بشرط أن تلتزم بما أقول وتعمل به.

قال لي معلمي:

في البدء رحت أفكر في عواقب حب الجاه، أخذت بنظر الاعتبار آخر ما وصلت اليه في شغلي رأيت انني طالب وأن أقصى ما أصل اليه أن أصبح مرجعاً في التقليد، وستقلدني الملايين من الناس وتكون لي زعامة عموم الشيعة، وسأكون عندها على حالين: إما أن اتمتع وأتلذذ بتلك الرياسة من أجل ارضاء نفسي لا رضوان الله وسأحصل فقط على المال «سهم الامام» الذي آخذه من الناس وامنحه للطلاب على مسؤوليتي وسيحبني الطلاب بسبب ذلك وهو حب مزيف من أجل هذه الحفنة من المال يعني يتظاهرون بحبي، وفي هذه الحالة سيبدأ شقائي منذ الليلة الاولى في القبر، وسيكون عذابي يوم القيامة أكبر لأني اتخذت الله والدنيا وامام الزمان أُلعوبة لارضاء نهم النفس وارضائها.

أو أني لا التذ من تلك المرجعية وضبطت نفسي ونهضت بأعباء المسؤولية وتوفرت فيَّ شروط المرجعية ونيابة الامام وهي كما وردت في حديث الامام الصادق عليه السلام: **«وأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً هواه مطيعاً لأمر مولاه، فللعوام أن يقلدوه»**[1].

ولذا فان أول شرط هو أن أخرج حب الجاه والرياسة والمنصب والمقام من اعماقي.

حتى أنني في تلك المدّة كنت أتصل باستمرار بمراجع التقليد فقد أتوّصل الى هذه الحقيقة واحصل على حالة اليقين فيها.

وهذا ما حصل لأني رأيت ان أهل الهُدى على ما حصلوا عليه من العلم لم يكن لهم لدى قلوب الناس حب، ذلك أن الحبّ لا يحصل الّا

---

(١) وسائل الشيعة ١٨ / ٩٥.

بالايمان والعمل الصالح، وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾[1].

فالناس يكتشفون ذلك بسرعة كما يكتشفون الذين خالفوا أهواءهم واتقوا الله لان الله سبحانه يظهر الطيبات ويستر السيئات.

فاولئك الذين جاهدوا واجتهدوا من أجل النهوض بالمسؤولية فهم في تعب دائم؛ ان الله سبحانه يجعل لهم حباً في قلوب الناس حتى انك لتسمع أحدهم يقول: آه آه أصبح في آخر عمري صرّافاً؟! ـ يعني أنه يأخذ من الناس الحقوق الشرعية ويوزعها على مسؤوليته، فالناس القوا بالمسؤولية على عاتقه ـ فلو وضعت قرشاً في غير محلّه فسيؤاخذني الله والامام.

وهكذا مرّ وقت ظننت أني تخلصت نهائياً من حب الجاه، ولكني وبعد اختبار جرّبت به نفسي ظهرت لي الحقيقة.. انني كنت مخطئاً والذي حصل:

انه كانوا يدعوني الى الرئاسة، وقبلت حينها وعندما ذهبت الى محل عملي احسست برغبة في أن أظهر تفوقي على الموظفين وعلى من هو أدنى مني منصباً.

كانـوا يقدمون لي الأفضل من الطعام، وكنت اذا دخلت محفلاً ينهضون لي.

وكنت اتحدث مع الناس على مهل حتى يشعروا بأهميتي؛ ومع بالغ الأسف عندما يمتدحوني كنت اشعر بالانشراح ولم أقل لهم أنكم مخطئون بل انه حدث مرّة أن قلت لهم أنكم مخطئون ولكن بطريقة جعلتهم يمتدحونني أكثر.

عدت الى منزلي ذات ليلة وخلوت الى نفسي في زاوية من البيت ورحت أحاسب نفسي وأحاكمها قلت لها:

ـ لم لا تنزعي من مرضك؟ لماذا لا تتركي حب الجاه والرئاسة؟؟ وعلى كل حال ادركت أنني ما أزال سقيماً.

---

(١) سورة مريم: الآية ٩٦.

تصفحت كتاب «بحار الانوار.. فكرت ان كلمات الائمة الطاهرين انما هي نور، وأنها ستضيء روحي وتبدد ظلمات حب الجاه عن نفسي ولذا رحت أتأمل في الكلمات وهي تشع في قلبي:

١ ـ عن أبي الحسن الرضا عليه السلام: «**انه ذكر رجلاً فقال انه يحبّ الرياسة: فقال: ماذئبان ضاريان في غنم قد تفرّق رعاؤها بأضر في دين المسلم من الرياسة**»[١].

٢ ـ عن ابي عبدالله الصادق عليه السلام قال: «**من طلب الرياسة هلك**»[٢].

٣ ـ وعنه عليه السلام أيضاً قال: «**اياكم وهؤلاء الرؤساء الذين يترأسون**»[٣].

٤ ـ عن الامام الصادق عليه السلام قال: «**اياكم وهؤلاء الذين يترأسون، فوالله ما خفقت النعال خلف رجل الّا هلك وأهلك**»[٤].

٥ ـ وعنه عليه السلام قال: «**ملعون من ترأس، معلون من هم بها، معلون من حدّث بها نفسه**»[٥].

٦ ـ وقال الامام الباقر عليه السلام: «**لا تطلبنّ الرياسة**»[٦].

٧ ـ وقال الامام الصادق عليه السلام: «**اياك والرياسة فما طلبها أحد الّا هلك**»[٧].

٨ ـ وقال الامام الرضا عليه السلام: «**من طلب الرياسة هلك، فان الرياسة لا تصلح الّا لأهلها**»[٨].

واعظم من هذا كلّه قول الله عزوجل: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾[٩].

---

(١) بحار الانوار ٧٠ / ١٤٥ ح١.
(٢) جامع السعادات ٢ / ٣٦١؛ بحار الانوار ٧٠ / ١٥٠ ح٢.
(٣) جامع السعادات ٢ / ٣٦١.
(٤) بحار الانوار ٧٠ / ١٥٠ ح٣.
(٥) اصول الكافي كتاب الايمان والكفر باب طلب الرياسة ح٤.
(٦) جامع السعادات ٢ / ٣٦١.
(٧) بحار الانوار ٧٠ / ١٥٤ ح١٢.
(٨) المصدر السابق.
(٩) سورة القصص: الآية ٨٣.

تأملت في كل ذلك، ولكن هل تكفي لتبديد الظلمات في القلب؟ رغم انني احسست بالطمأنينة تترقرق في قلبي لأيام.

وذات يوم شعرت بانني أخادع نفسي، لأنني عندما كنت أتواضع للناس فهدفي أن اجتذب محبتهم فيحترموني اكثر لهذا كنت أحيّ الجميع، حتى اخجلهم وادفعهم لمبادرتي بالسلام في المستقبل.

عندما لا يجثو أحد مريدي في حضرتي فقد كنت أشعر بالأسى في قلبي.

وعندما أدخل محفلاً ويستقبلني الناس بالصلوات كنت ابتهج فرحاً.

ذات يوم دخلت محفلاً يضم آلاف الناس الذين تجمعوا من أجل رؤيتي، نهضوا جميعاً وأطلقوا صلواتهم احتفاءً بي.

عندما تحدثت اليهم قلت: ايها الاخوة انكم تعاملونني بمحبة لست أهلاً لها..

أدركت أن كلماتي تركت أثرها العميق في نفوسهم وكأني اسمع همهمتهم وهو يقولون: ياله من تواضع.. وابتهجت لذلك.

ولكن عندما عدت الى منزلي وغصت في أعماق تأملاتي ادركت ان تواضعي لم يكن سوى هوى نفسي.

وتذكرت ما حصل في المحفل عندما جاءني رجل قروي بهي الطلعة وقال لي: لا تكن ضعيفاً الى هذا الحدّ لكي تتأثر بمشاعر الناس فتبتهج لاحتفائهم بك وتحزن لاعراضهم عنك... ليكن صدرك منشرحاً ولا تكترث لمثل هذه الاشياء.

لكني كنت سكراناً باحتفاء الناس بي وتحلقهم حولي ولم افقه كلمات الرجل القروي.. لكني استعدت كلماته في المنزل حرفاً حرفاً وادركت أن ابتهاجي لم يكن لانشراح صدري وانما لمشاعر الناس تجاهي[1].

---

(١) من دواعي دهشتي انني وقبيل ترجمة هذا الفصل (يوم واحد) رأيت في عالم الأطياف شاباً أعرفه فنقدته بمبلغ من المال، وتقبله مبتسماً شاكراً ممتناً وعندما انصرفت عنه توجهت بقلبي وبصري الى السماء وطلبت من الله سبحانه أن يعوضني عن ذلك وخامرني شعور بأنني عندما فعلت ذلك لم يكن هدفي فقط مساعدته وانما اجتذاب حبه واحترامه في المستقبل لأنه سيبدي ازائي ضروباً من الاحترام الذي أودا! المترجم.

وهنا كدت انفجر، وكدت أجن وصرخت في أعماقي متى النجاة اذن من حب الجاه والرياسة؟

بكيت كثيراً، وتوسلت وخطر في بالي فجأة أن اصلّي صلاة الاستغاثة كما وردت في الباب الثاني من كتاب الباقيات الصالحات (الصلوات المستحبة) «مفاتيح الجنـان» وهي ركعتان فيها نيّة الاسـتغاثة بالسيدة الزهراء عليها السلام، يؤديها المرء ثم يكبر ثلاث مرّات وينادي: «يا مولاتي يا فاطمة أغيثني» أي ألوذ بك من شرور نفسي،ثم وضعت خدي الايمن على التراب وناديت فاطمة بتلك الجملة مئة مرّة ومئة أخرى وأنا أضع خدي الايسر على التراب وأنا ساجد لله مئة أخرى.. لم أكد أنتهي من ذلك حتى شعرت بالنور يضيء قلبي وقد تبددت سحائب حب الجاه السوداء؛ لقد شفيت نهائياً لأنني امتحنت نفسي عشرات المرّات وكنت اجتاز الامتحان بنجاح ينبغي أن أذكر هذه النقطة الهامّة وهي أن بعض الناس يتصورون أن الشفاء من أمراض الروح أقل اهمية من شفاء الأمراض البدنية، فلو قيل إن فلاناً الأعمى استعاد بصره ببركة فاطمة الزهراء لكان ذلك في نظر الناس معجزة وكرامة كبرى، أما ان يقال إن فلاناً شفي من حب الجاه ببركتها فليس أمراً ذي بال.

لكننا لو قارنا مدى اهمية الأمرين وفق ملاك الفائدة لظهرت لنا الحقيقة.

فذلك الأعمى الذي استعاد بصره فإن فائدته القصوى هي السنوات الباقية من عمره فاذا مات تساوى الأعمى والبصير وتنتهي حينئذ فائدة البصر.

ولكن المصاب بمرض الحسد اذا شفي من مرضه فإنه سينجو من الشقاء الأبدي.

فالصفات الروحية ملازمة للروح وهي أبدية والصفات البدنية مؤقتة لأن البدن مؤقت ومحدود البقاء ولهذا لا يمكن مقارنة الأمراض الروحية بالأمراض البدنية من حيث الاهمية ذلك أن الحياة الدنيا لا تساوي أمام الأخرى الّا صفراً.

الانقطاع عن الخلق والثقة بالنفس

قال لي معلمي: ذات يوم من أيام شعبان قرأت المناجاة المروية عن أميرالمؤمنين علي عليه السلام والمعروفة بالمناجاة الشعبانية، واضطربت حالي وأنا في وسط المناجاة وذهلت عن نفسي فلم أعد أدري أين وما الذي أفعل ورأيت الله ببصيرتي وشاهدت نوره المقدس وذاته المقدسة المتعالية التي هي مصدر الفيض حتى اذا وصلت الى هذا المقطع: «**الهي بك عليك الّا ألحقتني بمحلّ أهل طاعتك والمثوى الصالح من مرضاتك، فاني لا أقدر لنفسي دفعاً ولا املك لها نفعاً.**

الهي أنا عبدك الضعيف المذنب ومملوكك المنيب، فلا تجعلني ممن صرفت عنه وجهك وحجبه سهوه عن عفوك.

الهي هب لي كمال الانقطاع اليك وأنر أبصار قلوبنا بضياء نظرها اليك حتى تخرق أبصار القلوب حجب النور فتصل الى معدن العظمة وتصير ارواحنا معلّقة بعزّ قدسك»[١].

وفي تلك اللحظات شعرت بالفناء في جمال الحق، حتى أنني لم أكن استطيع قراءة هذه الجمل بل كانت تجري في قلبي وروحي فتمزقت حجب النور وبلغت معدن العظمة والعزّة والكرامة.

---

(١) المناجاة الشعبانية مفاتيح الجنان / ١٥٦.

وفي هذه المكاشفة اكتشفت حجب النور التي لا يعرفها الكثر من الناس.

وفي هذه المكاشفة عرفت معنى الوصول الى معدن العظمة والرحمة.

وفي هذه المكاشفة ادركت معنى العبودية التامّة.

وادركت اني لا شيء في حضرة المعبود، ولعلك تسأل كيف اكتشفت ذلك في هذا المقطع من المناجاة؟

فأقول لك: ان في بعض من هذه الحالات تكون الروح في لحظات لا يمكن تصويرها حتى لو سوّد المرء مئات الصفحات أو تكلم ساعات وساعات. لكني بحول الله وقوّته سأشرح لك ما تيسر لي لتستطيع ان تفهمه.

أولاً:

ـ قلت إنني ادركت في هذه المكاشفة معنى حجب النور؛ أجل يا عزيزي ان حجاب النور يكون مرّة في هدف غير الهي لكن فيه رضا الله كما هي الحال في العبادة رهبة من النار او اداء الاعمال المستحبة التي تستجلب الرزق او عبادة لدفع البلاء.. وهذه اهداف لا توجب سخط الله سبحانه بل اننا نجد الله سبحانه في كتابه يحث الناس على ذلك، ومع هذا فان مثل هذه الأهداف لا توصل الى الله ولا تجعل صاحبها في زمرة المحبين المخلصين.

ذلك أن هدفهم ليس الله وهذه الأهداف ستكون حجاباً لأنها تتنافى مع الخلوص الحقيقي غير انها نور. فهي ليست مبغوضة من لدن الله تعالى وقد أحلها الله عزوجل، وهي متضادة مع الأهداف الشيطانية والأهداف الشيطانية حجاب ظلماني، فالاهداف الشيطانية حجب ظلمانية تجعل صاحبها يعيش في ظلمات بعضها فوق بعض[1].

ولكن الانسان عندما يمزق حجب النور يعني انه وصل مقام الخلوص

---

(١) قال الحسين عليه السلام: **«ان قوما عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار، وان قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد، وان قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار وهي أفضل العبادة»** تحف العقول / ٢٥٠ ح٥.

وأعرض عن رغباته النفسية حلالها وحرامها فلا يريد شيئاً الّا الوصل مع المحبوب، قد ملأ حب الله قلبه ولم يعد في قلبه من حب لغيره حتى قدر ذرّة.

فهو منقطع الى الله، اخترق حجب النور وحظي بوصل المحبوب وبلغ الحقيقة.

ثانياً:

قلت انني لامست في هذه المكاشفة معنى الانقطاع عن الخلق.

أجل يا عزيزي انني اجتزت حجب النور في تلك المكاشفة وحصلت على الخلوص الحقيقي وعرفت انني أحب فطرةً الكمالات الجمالية والجلالية وأنها تتجمع في نقطة واحدة هي الله تبارك وتعالى.

ان فطرتي تتجه اليه، لا من أجل النعم التي أفاضها عليَّ ولا من أجل طمع أحبه.. انني احبه لأنه محبوب وانني كنت احبه ولا أحب أحداً سواه، فكيف وأنا احتاج الى المحبوب.

ثالثاً:

قلت انني ادركت في هذه المكاشفة معنى الوصول الى معدن العظمة والرحمة.

نعم! لقد انتبهت الى ان الغاية الحقيقية من «السير الى الله» هو الوصول الى هذا المعدن والمعدن؛ يعني مركز الجواهر، الاشياء الثمينة ولا ريب انه لا شيء يفوق المعدن قيمة، ولو أن الله وهب أحدهم قدراً منها لأصبح قريباً من الله.

وقد لاحظت ان معدن الكمال الذي يتوجب بلوغه وقد بلغته هو الانوار المقدسة لأرواح المعصومين عليهم السلام لأنهم أول ما خلق الله[1].

ذلك النور الذي تتجلّى فيه صفات الكمال الالهية.

ذلك النور الذي نقرأه في المناجاة الرجبية: «**لا فرق بينك وبينها الّا**

---

(١) عن جابر بن عبدالله قال: قلت لرسول الله صلى الله عليه وآله: اول شيء خلق الله ما هو؟ فقال: «**نور نبيك يا جابر خلقه ثم خلق منه كل خلق**». بحار الانوار: ١٥ / ٢٤ ح٤٣.

أنهم عبادك وخلقك»[1].

وأخيراً ذلك النور المقدس لسيدنا محمدﷺ والمعصومين من ذرّيته، ذلك انهم معدن الرحمة الالهية وقد جاء في الزيارة الجامعة: «**السلام عليكم ياأهل بيت النبوة ومعدن الرحمة**».

وهي الرحمة التي نجدها في دعاء كميل (رض): «**وبرحمتك التي وسعت كل شيء**» وهي الرحمة التي لو وسعت حال امرئ لبلغ بها المجد والكمال.

وقد قال سيدنا عليعليه السلام في تفسير «الرحمة» انها «للمؤمنين خاصّة»[2].

وهنا قال الاستاذ: اعرف انك لا تستوعب جيداً ما أقول ولذا سأوضح لك الموضوع أكثر.

كان الله ولم يكن شيء[3] ثم خلق نور أهل بيت العصمة والرسالة[4].

وجعلهم واسطة الفيض الالهي[5] وأن الله سبحانه أعلى وأجل من أن يرتبط بمخلوقاته من الأشرار ولذا لا نجد في الشريعة الإلهية جملة الّا جاءت وحياً بواسطة النبيﷺ خاتم الانبياء والمرسلين ان غاية ومقصود جميع السالكين الى الله هو بلوغ معرفته عزوجل وكسب فيضه وأنهم مرآة ذلك كله وميزان الاعمال[6].

وفيهم صفات وخصائص معدن العظمة والرحمة، فلو أن امرءاً وصل

---

(١) مفاتيح الجنان، بحار الانوار ج٩٨.

(٢) ذيل الآية الشريفة: «بسم الله الرحمن الرحيم» تفسير البرهان ١ / ٤٠.

(٣) روي عن الامام علي عليه السلام و«**كان الله ولا شيء معه**» بحار الانوار ١٥ / ٢٧، وقول الزهراء عليها السلام في خطبتها في المسجد: «**ابتدع الاشياء لا من شيء كان قبلها وأنشأها بلا احتذاء امثلة امتثلها**» الاحتجاج للطبرسي.

(٤) روي عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**فاول ما خلق نور حبيبه محمد ﷺ قبل خلق الماء والعرش والكرسي والسماوات والأرض واللوح و...**».

(٥) «اين السبب المتصل بين الارض والسماء» دعاء الندبة.

(٦) «السلام على يعسوب الايمان وميزان الاعمال» مفاتيح الجنان زيارة امير المؤمنين ٤ / ٣٥٣.

مقصده فقد بلغ حقيقة «المناجاة الشعبانية» يعني انه اخترق حجب النور ووصل معدن العظمة والرحمة الالهية والتحقت روحه بعزّة الله.

وقد يخطر في خيالك كيف افسّر السير الى الله ببلوغ انوار المعصومين؟

واقول لك في الجواب: اطمئن ان هذا أيضاً سير الى الله، لأن المعصوم نفسه يقول: «**معرفتي بالنورانية معرفة الله عزوجل**»[1].

وقد تعلمنا بأن نخاطبهم في الزيارة هكذا: «**من عرفكم فقد عرف الله**».

ان الاقتناع بهذا الموضوع ليس عسيراً عقلياً ذلك أن صفات الله تبارك وتعالى تنحصر بذاته وهي لا تدرك، وقد نهينا حتى عن التفكير فيها، ولكن صفات افعاله ممكنة وادراكها ممكن وتجب بها المعرفة، وهي تتجلى قطعاً في قادتنا المعصومين.

وعلى هذا فان معرفة المعصومين هي معرفة الله والانطلاق الى هذا البحر من المعرفة سير الى الله.

رابعاً:

قلت: انني في هذه المكاشفة ادركت معنى العبودية التامّة وانني لا شيء ازاء معبودي.

أجل! لقد عرفت انني لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضرّا، وهو الغني المطلق وأنا الفقير، وهو الولي المطلق وأنا المسكين، فكل ما عندي منه فوجودي والنعمة التي تغمرني كلها منه وما أنا الا صفر ازاءه، فعرفت انه ليس لي الّا أن اكون عبده، اتوكل عليه واسلّم له تسليما.

ولست أريد الّا أن اذكر لك شيئين من هذه المكاشفة وانك لن تكون كاملاً حتى تعمل بهما:

الاول: انه لن نتقرب الى الله حتى تجد في نفسك الصفات الحسنة،

---

(١) قال امير المؤمنين عليه السلام: «**معرفتي بالنورانية معرفة الله عز وجل، ومعرفة الله عز وجل معرفتي بالنورانية وهو الدين الخالص**» بحار الانوار ٢٦ / ٢ ح١.

اذ كيف يتسنى لك وأنت بخيل أن تقترب من الله الرزاق الجواد الرحمن، فهل انك تجود أو تكون حسن الأخلاق مع من يسيء اليك، وكيف لك أن تكون قريباً من الله وأنت ظالم والله رحمن رحيم عادل؟

واذن اذا لم تكن اعمالك من سنخ أعمال المعصومين وصفاتهم فدونك الحجب الفاصلة.

الثاني: عليك ان تعرف انك لن تبلغ حقيقة التشيع وحقيقة الاسلام وحقيقة الانسانية حتى تفرغ قلبك من كل شيء الّا من الله وتسلم له وتحبه.

قال لي معلمي:

في محفل يضم اصدقاء كنا نتوسل بـ «بقية الله» روحي له الفداء وقد انشرحت أحوالنا فعوفي المرضى من ذلك المحفل مما جعلني اتأمل في ذلك كيف شوفي هؤلاء المرضى في امراض هي مستعصية؟!

فجأة سطع على قلبي الهام ان علّة شفائهم انهم انقطعوا لحظة عن مظاهر العالم واتصلوا بالنبع الروحي لمعدن الرحمة الالهية الذي هو «بقية الله».

وهذا الهام تؤيده آيات وروايات انقل لك بعضها:

١ ـ قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾[1].

٢ ـ ان البلاء الذي يجعل الانسان في حالة انقطاع الى الله عزوجل يؤدي الى الفرج وهناك روايات كثيرة تدل على ذلك.

٣ ـ ان المجالس التي يحصل فيها انقطاع الى الله سبحانه تشهد حالات شفاء للمرضى في ذلك المجلس، او استشمام لعبير المعنويات وشذاها، وسطوع أنوار ورؤية ارواح الأولياء.

٤ ـ ان كثيراً من المرضى يشفون عند ترددهم على أضرحة الأولياء ومشاهدهم، وعندما يسأل المرضى الذين شملهم الشفاء عن تلك اللحظات فإنهم جميعاً يقولون: إننا شعرنا بجدّ روحي وحالة انقطاع وإن قلوبنا

---

(١) سورة العنكبوت: الآية ٦٥.

توجهت نحو الله عز وجل وإنا طلبنا من الله الشفاء.

٥ ـ كثير من المرضى الذين يئسوا من طب الاطباء عندما انقطعوا الى الله وقطعوا الأمل بغير الله فتوسّلوا الى الله بوسيلته يعني ارواح المعصومين وحصلت جرّاء ذلك المعجزة.

وهذا الانقطاع الى الله أي الطاعة له دائماً يفيض عليه من قدرة الله ما يجعل ارادته من ارادة الله سبحانه وقد ورد في الحديث القدسي:

«عبدي اطعني تكن مثلي تقل للشيء كن فيكون»[١].

ولذا لا يستبعد ان نقول ان فلاناً من أولياء الله وباتكائه على قدرة الله يستطيع أن يتصرّف في الكائنات. ذلك لأننا رأينا أمثلة ذلك في كل مكان.

(١) الجواهر السنيّة في الاحاديث القدسية / ٣٦١.

الرياء

قال لي معلمي:

في أيام شبابي كثيراً ما أحببت أن يعرفني الناس بالتدين، ولذا كنت ابذل كل ما بوسعي في اخفاء ذنوبي، واظهار افعالي الطيبة وشيئا فشيئا اكتشفت بانني مصاب بالرياء.

يعني ان صلاتي في خلوتي تختلف عن صلاتي بين الناس، مناجاتي ودموعي وآهاتي في حضور الناس افضل مما كان ذلك في خلوة بعيداً عن العيون.

حتى في تناول الطعام كنت أحرص على تناول اليسير، ابدأ بالملح واختتم به وأقول بسم الله في أوله والحمد لله في آخره وبصوت يسمعه مني الناس حتى يقولوا انه يؤدي المستحبات من الاعمال الطيبة وهو ملتزم بها التزامه بالواجبات(١).

ذات يوم قال أحدهم: عفا الله عني وعنك.

ومع أني غارق في الذنوب لكني لم أسرّ بما قال، ذلك أني لا أودّ أن يعدّني من أهل الذنوب ويحشرني معه.

وذات يوم خطر في بالي أن اضغط بجبهتي على محل السجود حتى تظهر آثار السجود على جبيني، واظهر بمظهر العابد الزاهد أمام الناس.

---

(١) قال امير المؤمنين عليه السلام: **«ثلاث علامات للمرائي، ينشط اذا رأى الناس ويكسل اذا كان وحده، ويحبّ أن يحمد في جميع أموره»** بحار الانوار ٦٩ / ٢٨٨ ح٨.

وكنت أحرص على حلاقة رأسي بالموسى مع أني ما أزال شاباً.

وكنت في المحافل اذا ما جلست على المنبر اتحدث مع الناس بصوت رقيق شجي وكنت أعصر عيني فلعل دمعة تظهر أخدع بها الناس.

بل انني نصحت الناس ذات مرّة الّا يكونوا مرائين في اعمالهم فيما أنا أمارس الرياء في أفعالي.

وربما التزمت الصمت في محفل لأنه ليس لدي ما أقول فاتظاهر بصمت الحكماء.

ولعلّي سعيت بأن اظهر نفسي بمظهر يوحي الى الناس كما لو أنني على ارتباط بأولياء الله.

غير أني كنت اتعذّب. ذلك أني عندما أكون وحدي كنت أواجه نفسي اللوامة تنكل بي فأشعر بالشقاء.

ذات ليلة وقد مارست الرياء بشكل فظيع، تعرضت الى تقريع نفسي اللوامة، فتوسلت بـ «سيد الشهداء» وبكيت للمصائب التي حلّت به؛ ثم غلبني النوم فرأيت صحراء الحشر وجاء ملك يحمل قصعة أعمالي ووضعها قرب الميزان، أخرج في البداية صلواتي وكانت تشبه تفاحة قد نخرها الدود فلم يضعها في الميزان وانما رماها بعيداً[1].

ثم جاء بصومي فاذا هو كالكمثرى تملؤها الديدان فلما أراد أن يطوح به امسكت بساعده وقلت:

ان املي في هذه الصحراء الفاحلة هو أن أبيع هذه الأشياء فلعلّي أحصل على مبلغ من المال يؤمن حياتي.

قال: حسناً ولكني أعرف أنه لا يقبل بمثل هذا.

قلت: من تعني؟

قال: المشتري.

---

(١) سمعت أبا عبد الله عليه السلام قال: **«يجاء بعبد يوم القيامة قد صلّى فيقول: يا رب صلّيت ابتغاء وجهك، فيقال له: بل صليت ليقال ما أحسن صلاة فلان؟ اذهبوا به الى النار و...»** بحار الانوار ٦٩ / ٣٠١ ح٤٤.

قلت: فمن هو؟

قال: الله.

قلت: حسناً اسأله هو!

فجأة سمعت صوتاً مهيباً يقول: لأنك أشركت فيها آخر وأنا خير شريك، إجعل حصتي لشريكي فاعطها جميعاً لشريكي.

فبكيت وقلت: مولاي انه لا يملك مالاً، ولا يملك شيئاً وهو مثلي مسكين[١].

قال: هو ما أقول وكان عليك الّا تختار لي شريكاً من المساكين.

ثم خاطب الملك قائلاً: خذ أعماله وارم بها في الأزبال: أنا لا أريدها.

ونفذ الملك على الفور ذلك فأخذها الى مكان فيه زبالة وأفرغ الكيس منها وسلّمني الكيس فارغاً.

وبقيت حائراً لحظات أنظر الى تلك الفاكهة، انتبهت الى أنها لا تصلح لأخذها الى الجنّة وأنها تسبب لي الخجل. قلت: يا الهي فأعدني الى الدنيا مرّة أخرى لأعود منها بزاد سليم.

لكن الصمت كان مهيمناً فلم أسمع جواباً.. فصرخت ولم أعد أسمع سوى أصداء صوتي. بكيت، فلم يغثني أحد..

فجأة انتبهت من نومي.. ولازمني شعور كلما مارست الرياء تذكرت الرؤيا فانتبه الى نفسي وبحمد الله وفقت في ترك الرياء وها أنا أشعر بلذائذ العبادة وحيداً مستأنساً بالمحبوب.

---

(١) عن ابي عبد الله عليه السلام قال: يقول الله عزوجل: «**أنا خير شريك فمن عمل لي ولغيري فهو لمن عمل له غيري**» بحار الانوار ٦٩ / ٢٩٩ ح٣٢.

الظلم

قال لي معلمي:

من ألطاف الله سبحانه بي انني انفر من الظلم.. فلا أظلم أحداً ولا أرتضي ظلم الظالمين.. ذلك ان الظلم من اقبح الصفات وضمير الانسان ينفر منه.. ولقد لعن الله الظالمين ووعدهم عذاباً اليما[1].

فمن كانت فيه هذه الصفة الحيوانية فقد ابتعد عن الله وأوليائه مسافات ومسافات بل انه يخرج عن اطار الانسانية.

وذات يوم جاءني أحد المتنفذين وكان منصبه في الدولة ـ ومع الأسف ـ رفيعاً زارني كما يزور المريض طبيباً قال لي: لا أعرف ماذا أفعل؟ اذ كلما قدرت على أحد وددت أن اظلمه.

اردت نصحه فقال: إنني لأعرف الظلم أكثر من أي انسان آخر، وأعرف عواقبه، وأعرف منزلة الظلم والظالمين السيئة عند الله.

ولكني اطلب منك أنت لو استعطت أن تشفيني من هذا المرض المميت وتنقذني من هذا الشقاء.

قدمت له بعض النصح والارشاد وصارحته قائلاً: انه ما دامت هذه الصفة فيك فأنت بعيد عن الله قريب من الشياطين والطواغيت.

---

(١) سورة الزخرف: الآية ٦٥: ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾.

أفلا تعرف ان الله تعالى عرف نفسه بـ «الرحمن الرحيم» وهو «أرحم الراحمين» وأن كل سورة تبدأ بهذه الصفة وأننا نقرأ سورة الحمد كل يوم عشر مرّات على الأقل في صلواتنا..

ألا تعلم ان الله لا يرضى أن تكون القدرة في ايدي الظالم ولو لحظة واحدة فقال: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قال: سيدي لقد قلت إنني اعرف كل ذلك ولا احتاج وعظاً ونصيحة فلا تذر ملحاً على جراحي فان كانت لديك وصفة علاج فاكتبها لي!

قلت: لعلك لا تصغي.. ولكن لو عاهدتني على الاصغاء لكل ما أقول ولو بدا في رأيك جهلاً فساكتب لك وصفة في صباح غد.. انتظرك في الساعة الثامنة..

فودّعني وانصرف..

لعلك تسألني: لِمَ لم تكتب له وصفة العلاج في نفس الوقت؟

وفي الجواب اقول لك: لا لم أكن اعرف لحظتها شيئاً مفيداً ولذا اردت أن أطلب المدد في منتصف الليل من الائمة الاطهار فلعلهم يقدمون لي العون في ذلك.

فالدعاء بلسان الغير مستجاب أكثر. انه ظالم وآثم ولقد عصى الله بلسانه كثيراً وعذب كثيراً من الناس وإن الله لن يكترث لقلقلة لسان عاص ولن يستجيب دعاءه.

فلو دعوت الله له بلسان لم أعص به الله فان الله يستجيب. في تلك الليلة تضرعت الى الله كثيراً وانتحبت.. وأنا أضع خدي على التراب وطلبت من الله أن يعفو عنه وأن يشافيه من مرضه الروحي.

وتوسلت بالامام الحسن المجتبى لمحاسبة أعرفها فأخذتني غفوة فرأيت في عالم النوم من يخاطبني!

ـ قل له اننا سننجيه من هذا المرض فعلاً ولكن ليعلم أن الامراض الروحية كالادمان تعود لأقل غفلة.

ولذا ففي كل مرّة يغويك شيطانك ويوسوس لك بالظم، فضع نفسك مكان المظلوم.. يعني تصور نفسك في قبضة ظالم[1]. فلا ترض لغيرك ما لا ترضاه لنفسك.. وانظر الى نفسك في المرآة ونكل نفسك وذق طعم الاهانة والاذلال حتى لا تظلم الآخرين.

واعلم ايها الظالم ان كل مخلوق له ادراك وشعور وهو مثلك، فكما أنك تتململ من القهر والأذى وكما انك تتعذب في السجن والضيق فان الآخرين هم أيضاً يعتريهم مثل الذي يعتريك.. انهم أيضاً يشعرون بالألم.

فلا تظلم حتى النملة الصغيرة.

من تكون حتى تموت مئات الحيوانات من أجلك ومن أجل أن تعيش؟!

من أنت حتى تستعمل المبيدات السامة للقضاء على الذباب والحشرات فلا تزعج استراحتك في غرفتك؟!

ومن تكون حتى يسخِّر الله لك ما في السموات والأرض؟!

إلّا أن تكون رحيماً، كما ان الله رحيم.

وألّا تظلم، كما ان الله لا يظلم أحداً.

وإلّا أن تكون مظهراً لصفات الكمال وأن تكون أشرف المخلوقات.

فإن تكن ظالماً فأنت بعيد عن الله، ولو ظلمت أحداً مقدار ذرّة ابتعدت عن الله مسافات طويلة وانسلخت عن انسانيتك. وتنزلت الى درجة الحيوانية أو أدنى منها.

وعندما حل اليوم التالي كتبت له وصفة العلاج، فتأثر أيما تأثر وواظب على الصلاح، فما هي الّا أيام حتى زالت عن قلبه صفة الظلم وأصبح من الرحمة أنه لا يؤذي ذبابة أو نملة.

نعم هكذا يتخلص الانسان من صفات الحيوانية، يعني على الانسان نفسه أن يشعر بالخطر، وأن يدرك حجم الاضرار ثم ينتهج الوسيلة للخلاص

---

(١) قال ابو جعفر الباقر عليه السلام: **«اياك وظلم من لا يجد عليك ناصراً الّا الله»** بحار الانوار ٧٢ / ٣٠٨ ح١.

من الرذائل وأي وسيلة أمضى من التوسّل بأهل البيتعليهم السلام.

قال لي معلمي:

كان لي استاذ أمرني بأمر والزمني فعله اربعين يوماً كلما رمت الخروج من المنزل.

لا تظن ان ذلك كان رياضة أو ذكراً.. سأشرح ما وقع لي بعد عشرين يوماً من المداومة.

في اليوم الحادي والعشرين عرض لي أمر فلم استطع اداء ما كنت مواظباً عليه وخرجت من المنزل، فرأيت الطريق يكتظ بالحيوانات الأهلية والوحشية.. في البداية تعجبت كيف تسنى لهذه الحيوانات دخول المدينة؟

لكني تذكرت ما قاله لي استاذي، اذ قال لي ربما تنفتح عينك البرزخية وترى الناس على هيئة الحيوانات فأدركت حينئذ حالتي البرزخية.

وتذكرت ما حكى لي أحد الأصدقاء قال لي انه رأى في عالم الاطياف ان حرم الامام الرضا كان يعج بالحيوانات ولم يكن ممن على هيئة الانسان الا نفر قليل.

وعلى كل حال ذهبت في طريقي فصادفني شخص على هيئة الخنزير تقدم الي وحيّاني وسألني عن حالي قلت: لماذا أنت في هذه الحال؟!

فقال: أبحث عن شخص ثري جداً وليس له عقل كامل وهو يبحث عن بضاعة لا يملكها غيري لانني احتكرتها منذ فترة طويلة ولذا قررت ان اعثر عليه وابيعه هذه البضاعة بأضعاف قيمتها الأصلية، يعني استغل هذه الفرصة الى أقصى حد!

قلت له: لا تفعل فهذا ظلم والله لا يحبّ الظالمين.. انك لو تدري على أي هيئة أنت الآن مافعلت ذلك.

وشعرت بالدهشة لأنه قال لي: أعرف حالي الآن.

قلت: فأية حال؟

قال: مثل خنزير يلتذ بأكل القاذورات والحرام، ويلتذ بظلم الآخرين.

قلت له: يا مسكين أفلا تعتقد بالموت؟ ألا تحب أن يغيثك الله بعد الموت ويرحمك؟

ألم تسمع قول الله سبحانه في القرآن الكريم: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[1].

أما تدري قول الله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾[2].

أفلا تعلم مصيرهم: ﴿إِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[3].

وانه ﴿وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾[4].

وجرت الدموع من عينيه وأنا أقرأ عليه هذه الآيات واظهر الندم وكأنه اغتسل بالدموع فعاد الى صورته الآدمية.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٥٧.

(٢) سورة الانعام: الآية ٢١.

(٣) سورة ابراهيم: الآية ٢٢.

(٤) سورة فاطر: الآية ٣٧.

النفاق

قال لي معلمي:

كان لي صديق مبتلى بالربو وضيق النَفَس وكان يتجرّع الآلام، راجع الاطباء والمختصّين، وذهب سعيه هباءً، ثم فكر في مراجعة أحد الاولياء فقال له الرجل الصالح: إن اردت الشفاء فعليك بتلاوة القرآن، إنّ الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[1]. قلت له:

وقد جاء في الأثر ذلك أيضاً، ولكن عليك أن تفهم ان القرآن شفاء لأمراض الروح، وأن الذي نصحك بقراءة القرآن انما أوَّل هذه الآية[2] فإن أردت شفاء صدرك فاقرأ القرآن ولتكن قراءتك عن الايمان الكامل بانه كلام الله عزوجل واعمل به واعلم ان الله هو الشافي من كل الامراض، وهو قول ابراهيم كما جاء في القرآن الكريم: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾[4].

فإن شئت الشفاء من مرضك هذا عليك ان تعالج نفسك روحياً ثم

---

(١) سورة يوسف: الآية ٥٧.

(٢) روي عن العالم عليه السلام: **«في القرآن شفاء من كل داء»** وقال: **«داووا مرضاكم بالصدقة واستشفوا بالقرآن فمن لم يشفه القرآن فلا شفاء له»** بحار الانوار ١٩ / ٢٠٢ ح٢٦.

(٣) سورة الشعراء: الآية ٨١.

(٤) سورة الاسراء الآية ٨٢.

تشفى من مرضك الجسمي.

ولأن الآلام المبرّحة التي المّت به جعلته يقبل أن يكون علاجه تحت اشرافي، وكان علي أن أواجه صفات الرذيلة فيه.

وكانت أولى صفاته الظاهرة فيه هي النفاق ولذا رأيت ان أبدأ بهذه الصفة فرحت اتلو عليه...

١ ـ ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾[1].

٢ ـ ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا۟ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2].

٣ ـ ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ

---

(١) سورة سورة التوبة الآيتان ٦٧ ـ ٦٨.

(٢) سورة المنافقون الآيات ١ ـ ٨.

وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ ﴾[1].

٤ ـ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾[2].

٥ ـ ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[3].

---

(١) سورة النساء الآيات ١٣٨ ـ ١٤٥.

(٢) سورة سورة البقرة الآيات ٨ ـ ٢٠.

(٣) سورة سورة الاحزاب الآيات ٢٣ ـ ٢٤.

وعندما قرأت عليه هذه الآيات وكان يعرف العربية رأيت دموعه تموج في عينيه وكان يجهش بالبكاء كلما سمع آية فيها وعيد بالعذاب حتى رأيت اليأس يطبع ملامح وجهه لكن عندما سمع آخر آية: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾رأيت الأمل يتألق في عينيه وقال: أأنت من كان يقرأ القرآن؟!

قلت: نعم فمن تظن اذن؟

قال: لا انه كلام الله وما أنت الا شجرة كتلك التي كلّم الله بها موسى. واقول بصراحة أكثر لو انك انت الذي اخترت هذه الآيات فلماذا لم تقرأها بترتيبها القرآني؟

لقد غمرتني حالة عجيبة من أول آية قرأتها ذلك أني لم أكن أراك ولم أكن أشعر بوجودي ولا حتى هذا المكان لم أكن أرى سوى روحي المنافقة مطأطِئة الرأس في حضرة الخالق العظيم يخاطبني بهذه الكلمات.

ولذا عندما وصلت الى آيات سورة البقرة رأيتها تنطبق عليّ، حتى اجتاحتني رغبة في الصراخ من اليأس ومن الشقاء الذي أنا فيه، لكن الآية الأخيرة من سورة الاحزاب فتحت أمامي نافذة أمل وادركت ان للمنافقين كوّة من الأمل فالله غاضب عليهم لكنه غفور رحيم.

وقد صدق الرجل لم أكن قد اخترت ترتيباً للآيات لكني قرأتها كما حفظتها والترتيب القرآني يقضي بقراءة آيات سورة البقرة لكني رأيت ان التشديد عليه أفضل في العلاج فقرأتها عليه كما ذكرتها لك. أي من سورة الاحزاب ثم قرأت الآيات من سورة المنافقين وهي من أشدّ الآيات وقعاً في النفس فهي تفضحهم وتعرّيهم وتكشف عن سوءاتهم وتبعث اليأس في نفوسهم المريضة، ثم قرأت عليه الآيات في سورة النساء وكأنما تستأنف نفس التنكيل السابق، ثم جاء دور الآيات في سورة البقرة، التي فجرت الدموع في عينيه وحتى اجهش بالبكاء ووصل الى درجة الاحساس بالشقاء الأبدي، حتى اذ تلوت عليه الآية ٢٢ من سورة الاحزاب رأيت الأمل يموج في عينيه.

قلت له: لا اكتمك انني عندما قرأت ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾[1].

لم أقرأ عليك الآية التي تليها: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[2].

قال: فلم لم تقرأها؟!

قلت: اردت أن أقرها غابت عني فعلمت أن قلبك لم يلن مئة بالمئة، لكنني تذكرتها، آلان، فانظر الى آثار رحمة ربك، انه يفتح ابواب رحمته حتى أمام المنافقين ودعاهم الى الخلوص واصلاح أنفسهم.

فبكى لكن بكاءه هذه المرّة كان شوقاً وقد ولد عزم في قلبه على أن يروّض نفسه ويتوسّل بـ «سيد الشهداء» أن ينقذه من النفاق وقد وفقه الله، فكان يتلو القرآن وخاصّة سورة الحمد المباركة، فشافاه الله من الربو.

---

(١) سورة النساء: الآية ١٤٥.

(٢) سورة النساء: الآية ١٤٦.

سوء الخلق

قال لي معلمي:

في مدينة مشهد كنت أحرص على أن أكون أول من يدخل مرقد الامام الرضا ويحييه تحية الزيارة ولذا كنت أقف في الأسحار عند باب الصحن لأكون أول الداخلين.

ومع هذا كان هناك من يأتي معي أو يسبقني في الحضور، وكان هذا الرجل سرعان ما يستغرق في الصلاة والعبادة، ولذا وددت أن اتعرف عليه ذلك أني فكرت أن يكون وليا من أولياء الله.

عبادته كانت عجيبة لم يغفل عن العبادة لحظة ولم يكن يمنحني فرصة التعرف عليه والسؤال عن حاله.

ذات ليلة وفيما كان الرجل مشغولاً بالعبادة داس أحد الزوّار على سجادته دون قصد وراح يتمتم بكلمات الزيارة.

الرجل أراد أن ينبه الزائر الى ذلك فرفع صوته بالصلاة ولكن دون جدوى.

وبعد أن انفتل من صلاته صاح بصوت خشن على الزائر وخاطبه قائلاً: ارفع قدمك عن سجادتي يا ولد الزنى.

قال لي معلمي:

ذات يوم وبعد اغفاءة العصر استغرقت في التفكير في هؤلاء أعني ذوي الخلق السيء..

فجأة غمرتني حالة المكاشفة فرأيتهم في صورة حيوانات مفترسة تمضغ لحوم وجلود الآخرين وكانت روائحم النتنة تزكم الانوف.. قلت

لأحدهم: لماذا لا تعالج نفسك؟ ولماذا تظلم نفسك هكذا ولاتخرج من حالتك هذه؟

قال: وكيف لي أن أفعل ذلك واخلص من هذه السيرة؟

قلت له: تأمل وجهك كل يوم في المرآة وانظر اليه عندما تكون في حالة حسن الخلق، ثم في حالة سوء الخلق، وراجع وجدانك أي الهيئتين أسرّ.

عندما يراك الناس في هيئة سوء الخلق فأنهم ينفرون منك وإن رأوك في هيئة حسن الخلق فانهم يحبونك ويهفون اليك.

الانسان نفسه يتكدّر عندما يرى شخصاً سيء الخلق وعلى العكس لو رأى انساناً حسن الخلق.

ولهذا عندما رأيت ذلك الرجل في الحرم المطهر وبذلك الخلق السيء شعرت بالكدر رغم أني كنت قد احببته ولقد انتبهت الى ان الانسان اذا لم يصقل ذاته فانه لن يوفق الى اكتساب الصفات الحسنة ولن يعرف الله سبحانه ولن يتخلق باخلاق الله، ولن تنفعه العبادة الكثيرة ولن تكسبه فضيلة وسيبقى في درجة الحيوانية بعيداً عن الله.

واليك هذه الرواية عن الامام الباقرعليه السلام:

«كان يرى موسى بن عمرانعليه السلام رجلاً من بني اسرائيل يطوّل سجوده، ويطوّل سكوته، فلا يكاد يذهب الى موضع الّا هو معه فبينا هو في يوم من الايام في بعض حوائجه إذ مرّ على أرض معشوشبة تزهو فتأوه الرجل فقال موسى على ماذا تأوهت؟ قال تمنيت ان يكون لربّي حماراً أرعاه. فأكب موسىعليه السلام طويلاً ببصره على الأرض اغتماماً بما سمعه منه. فانحط عليه الوحي فقال له: ما الذي اكبرت من مقالة عبدي؟ أنا أؤاخذ عبادي على قدر ما اعطيتهم من العقل»[1].

أجل ان العقل الذي هو انعكاس الصفات الحسنة لأهل البيت في الروح الانسانية، فكلما كمل العقل تكامل الانسان. من هنا فان الانسان

---

(١) بحار الانوار.

كلما تكامل عقلياً وتسامى أخلاقياً وكانت علاقاته مع الناس طيبة كان أقـرب للنبي ﷺ وآله الاطهار؛ ذلك أنهم كانوا على خلق عظيم، وكانوا يواجهون المشكلات بالمقاومة والصبر ويعاملون الناس بالمحبة والود والاعداء بالمداراة فاسعوا الى اكتساب هذه الصفات[١].

(١) يحيل المؤلف القرّاء الى مراجعة كتاب «الاتحاد والحبّ».

غياب الشكر

قال لي معلمي:

كان لي صديق، وكان متديّناً نظيفاً وكان دائم العبادة، وقد توفرت له كل امكانات اختراق الحجب الظلمانية والنورانية، ومع ذلك فالحجب ظلت كما هي ولم تحصل له حالة كشف ولم يتحول قلبه الى نبع للحكمة، ولذا فكرت وإيّاه في البحث عن سرّ حالته هذه.

فوصلنا بعد أيام الى هذه النتيجة؛ وهي أنه يفتقد إحدى الصفات الانسانية الحسنة وفي مقابل ذلك لديه صفة من الصفات الحيوانية.

ربما تودّ معرفة تلك الصفة السيئة التي تمنعه من اختراق الحجب وبلوغه درجات الكمال.

سأذكر لك ذلك بالطبع، لكني اشير الى موضوع معنوي هام وعليك أن تتعلمه وهو وجود ثلاثة أنواع للصفات الروحية في الانسان:

الاول: «الصفات الحسنة الانسانية» وهذه الصفات كلما نمت اكثر تكاملت انسانية الانسان اكثر.

الثاني: «الصفات الشيطانية» وهذه يجب أن ينعدم وجودها في الانسان لأنها هي التي ستصبح حجاباً من قبيل: حب الدنيا، البخل، الخيانة، الكذب والحسد.. وغيرها.

الثالث: «الصفات الحيوانية»وهذه لا بأس من وجودها في ذات الانسان ولكن يجب أن تبقى تحت سيطرة العقل دائماً، كالغريزة الجنسية التي يتوقف استمرار النسل على وجودها، وكذا غريزتا الأكل والشرب اللتان تتوقف حياة الانسان عليهما.

الآن وقد عرفت هذا فأقول لك ان وجود صفة من هذه الصفات الحيوانية والشيطانية يعني وجود حجاب يمنعك من بلوغ الحقائق ودرجات الكمال الروحي.

وصديقنا هذا زكّى نفسه من أكثر هذه الصفات، وظلت صفة واحدة كانت حجاباً إذ لم يكن يعرف الشكر.

فهو لا يشكر الناس الذي يسدون اليه خدمة، وكان يعتبر نفسه دائناً وليس مديناً اليهم بشيء وكأنه لم يسمع هذا القول المأثور: «**من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق**»[1].

وعدم الشكر يعني كفران النعمة الذي سيمتد ليشمل النعم الالهية.

ذات يوم اردت أن اختبر الى أي حدّ تغلغلت هذه الصفة في وجوده، تحدثت معه عن طائفة من النعم الالهية. فقال: انه يجب على الله الذي خلقنا أن ينعم علينا بهذه النعم.

وعندما تكلم بهذا الكلام ظننت انه سيدعي دينا له على الله!

ولهذا ادركت ان هكذا انسان يعتبر نفسه دائماً ان له دينا على الآخرين.

ولقد كان هذا حجاباً في حياته غير انني كنت له كالمرآة التي يرى فيها عيوبه، فهو لا يغضب كالناس الآخرين اذا ما ذكرت له عيباً بل كان يرحب بذلك ويشكرني ويسألني علاجاً لهذا المرض الروحي الذي يعاني منه وهذا ما فعله. أخبرته كيف يعالج أمراض الروح، قلت له:

فإن اردت اكتب لك وصفة فأنا حاضر فلعلك تصاب يوماً بمرض روحي!

وسررت لاستعداده وقلت له: اشكرك.فيما يخص النعم الظاهرية والمادّية على المرء ان ينظر الى من لا يملكها أي ينظر الى ما دونه وليس الى ما فوقه. فإن كان المرء ثرياً فعليه أن ينظر الى حال الفقراء والّا ينظر

---

(١) عن الرضاعليه السلام قال: «**من لم يشكر المنعم من المخلوقين لم يشكر الله عزوجل**» عيون اخبار الرضا ٢ / ٢٤.

الى من هو أثرى منه وأغنى، فإذا نظر الى ما هو دونه شكر الله سبحانه على أن منحه نعمة الغنى.

وإن كان المرء صحيحاً سليماً ومعافى، فعليه أن ينظر الى المرضى والذين يعانون من علل شتى والراقدين في المستشفيات والذين يقضون الليل يتلوّون من الألم، فيتأمل في حال هؤلاء وأولئك ويشكر الله وهكذا في كل نعم الله عزوجل. والمريض المصاب بصفة الكفران عليه أن يأخذ حالته هذه مأخذ الجد ويعتبرها اشدّ فتكا من القرحة في المعدة، فكما ان القرحة تدفعه للبحث عن طبيب يعالجه ومستشفى يؤويه ويجري له الجراحة اللازمة، فكذلك المريض المصاب بالكفران عليه أن يسعى في علاج نفسه، عليه أن يعود المرضى حتى يعلم قدر نعمة الصحة والسلامة والعافية، فتتولد في نفسه صفة الشكر وشيئا فشيئاً تربو وتنمو ويهتز وجدانه ويصبح الشكر ملكة في شخصيته.

انا أيضاً أداوم على عمل كل ليلة حتى لا أُصاب بهذا المرض، وهو ان اسجد لله كل ليلة قبل أن آوي الى فراش النوم واستعرض ما اقدر عليه من نعم الله، فكلما عرضت لي نعمة وذكرتها قلت «الحمد لله رب العالمين».

ولذا فقد تستمر سجدتي طويلاً، لأن نعم الله لا يمكن احصاؤها أبداً كيف وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾[1].

كما ان الشكر يزيد في النعم وقد قال سبحانه تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[2].

وليتك تستطيع أن تتضرع الى الله عزوجل بمناجاة الشاكرين فتكون قد راعيت الأدب في الدعاء واليك هذه المناجاة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الهي أذهلني عن اقامة شكرك تتابع طولك، واعجزني عن احصاء ثنائك فيض فضلك، وشغلني عن ذكر محامدك ترادف عوائدك وأعياني عن

(١) سورة ابراهيم: الآية ٣٤.

(٢) سورة ابراهيم: الآية ٧.

نشر عوارفك توالي أياديك. وهذا مقام من اعترف بسبوغ النعماء وقابلها بالتقصير وشهد على نفسه بالاهمال والتضييع، وأنت الرؤوف الرحيم البر الكريم الذي لا يخيّب قاصديه ولا يطرد عن فنائه آمليه.

بساحتك تحط رحال الراجين وبعرصتك تقف آمال المسترفدين فلا تقابل آمالنا بالتخييب والأياس ولا تلبسنا سربال القنوط والأبلاس.

الهي تصاغر عند تعاظم آلائك شكري، وتضاءل في جنب اكرامك ايّاي ثنائي ونشري، جللتني نعمك من انوار الايمان حللا، وضربت علي لطائف برك من العز كللا، وقلّدتني مننك قلائد لا تحل وطوقتني اطواقاً لا تفلّ، فآلاؤك جمة ضعف لساني عن احصائها، ونعماؤك كثيرة قصر فهمي عن ادراكها فضلاً عن استقصائها. فكيف بتحصيل الشكر، وشكري اياك يفتقر الى شكر، فكلما قلت لك الحمد وجب علي لذلك أن اقول لك الحمد. إلهي فكما غذيتنا بلطفك وربّيتنا بصنعك فتمم علينا سوابغ النعم وادفع عنا مكاره النقم وآتنا من حظوظ الدارين ارفعها واجلّها عاجلاً وآجلاً، ولك الحمد على حسن بلائك وسبوغ نعمائك، حمداً يوافق رضاك ويمتري العظيم من برّك ونداك؛ يا عظيم يا كريم برحمتك يا أرحم الراحمين[١].

أجل أخبرت صديقي بوصفة العلاج وهو عمل بها فوفقه الله الى التخلص من تلك الصفة الحيوانية، وأصبح من اكثر الناس شكرا للناس وشكراً لخالق الناس.

قال لي معلمي: وكنت أرى في حالة المكاشفة رجلاً لا يشكر ما أنعم عليه وكان بهيئة حيوان انجس من الكلب فأقول له هذه حالك لأنك تكفر بالنعم.

وكان عليك أن تكون فيك صفة الكلاب وهي الوفاء وعرفان النعمة والاحسان.

فهزّ رأسه اذعاناً!

---

(١) الصحيفة الكاملة السجادية / مناجاة الشاكرين.

الحلال والحرام... الحقيقة والظاهر

قال لي معلمي:

ذات يوم جاءني أحد الدراويش، من الذين تعبوا في الرياضة وعلى حدّ تعبيره أنه وصل الى مراحل الكمال الروحي عن طريق الأكل الحلال الحقيقي سألني قائلاً: اليس تكليفي في الدنيا أن أمنع نفسي من الحرام.

ضحكت منه وتضاءل في عيني، مع أنه يتمتع باجلال الكثيرين ولذا لم اتحدث معه بالاحترام المطلوب.

قلت له مستاءً: ما هو الحلال الحقيقي والحلال الظاهري؟ اليس ما أحلّه الله هو الحلال الحقيقي والظاهري وما حرّمه الله هو الحرام في الباطن والظاهر؟

ولأن الدرويش نشأ في محيط تعلّم فيه أشياء خاطئة ونبتت في رأسه كما المسمار في الخشب ضحك من كلامي وقال:

كأنك تعتقد بأن لحم الغنم الميت والذي لا أدري موته، سواء مع لحم الغنم المذبوح والذي أعرف ذبحه، أي كلاهما حلال ولا فرق بينهما. يعني أن الاول في حكمه الظاهري حلال لأني لا أعلم انه خروف ميت، والثاني حلال لأني أدري ذبحه!

قلت له: من الذي يصدر الحكم الحقيقي ومن هو المخاطب في هذا الحكم؟ أليست الأحكام عن الله سبحانه للناس ونحن مكلفون بالعمل باحكام الله؟ ونحن نعرف ما جاء في الأثر عن أئمتنا: ان كل شيء حلال حتى تعلم حرمته. يعني نحن مكلفون باجتناب ما نعلم أنه حرام.

قال: يعني تعتقد أن المحرّمات الحقيقية ليس لها أثر؟

قلت: ما هو المقصود أولاً بالحرام الحقيقي؟ هل تقصد انه عندما تشرب كأساً من الخمر وأنت تظنه ماءً انك ارتكبت عملاً حراماً؟ ان هذا لم يقل به أحد ولم يفت به أحد.

قال: ألا يسكر المرء حينئذ!

قلت: أنا لا أقول ان الانسان اذا تناول المشروبات الكحولية اشتباهاً لا يسكر، لكني أقول لو أن أحد أولياء الله تناول كأساً من الخمر خطأً ثم نام سكراناً الى الصباح فانه اذا استيقظ استيقظ ولم يؤثر ذلك العمل على قربه من الله قيد شعرة.

ذلك أننا لو قلنا ان الله طرده من رحابه لهذا الخطأ فإننا ننسب الظلم ـ والعياذ بالله ـ الى الله عزوجل.

ان الله سبحانه هو الذي قال لنا كلوا كل ما عرفتم حلاله حتى لو كان في واقعة حرام لكننا لا ندري حرمته.

والسؤال هل لهذا الطعام الذي يتناوله المرء وهو لا يدري حرمته الحقيقية من أثر على الروح؟ هل يكون حجاباً يبعده عن الله؟! والجواب سلبي.

ذلك ان من يقول بذلك فقد نسب القدرة الى غير الله سبحانه وهذه مقولة فيها شرك، عندما نظن بوجود قوّة تعمل ضدّ ارادة الله مستقلة عنه.

وطبقاً لذلك لو تناول الانسان طعاماً حراماً سواء أكان مضطراً أو تقية أو سهواً أو مكروهاً أو جهلاً فانه لن يكون له أي تأثير على روحه بالرغم من وجود آثار ضارة على بدنه، كما هو الحال في تناول الائمة الاطهار طعاماً مسموماً وهو في الواقع طعام حرام.

فالانسان الذي يتناول طعاماً مسموماً عن عمد وحريّة واختيار فانه قد ارتكب عملاً حراماً.

وبالرغم من ان الطعام المسموم يميت الانسان ولكن إذا تناوله المرء وهو لا يدري أو بالاجبار فليس له أي أثر في روحه، ولن يكون حجاباً بأي حال من الأحوال.

بل انه يستحيل الى سبب في قرب الانسان الى الله سبحانه ومن هنا

وطبق ما جاء في كتب الفقه، تعتبر سيرة الائمة وقولهم وتقريرهم يعني حتى سكوتهم سنة لنا، نقتدي بها ونسير في هداها، فهم الصراط المستقيم وميزان الاعمال والمعيار في السير الى الله وتكامل الروح الانسانية، وان أقل خطوة تخالف سيرتهم سواء إفراطا أو تفريطاً يعد عملاً حراماً، وقد روي عنهم عليهم السلام: «ان الله كما يحب أن يؤخذ بعزائمه كما يحب أن يؤخذ برخصه»[1].

وقد روي أيضاً: عن أبي عبدالله عليه السلام قال: أتي أمير المؤمنين عليه السلام برجل وجد في خربة وبيده سكين ملطّخة بالدم، واذا رجل مذبوح يتشحّط في دمه فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: ما تقول؟ قال: يا أمير المؤمنين أنا قتلته، قال اذهبوا به فأقتلوه به، فلمّا ذهبوا به ليقتلوه به أقبل رجل مسرع فقال: لا تعجّلوا وردّوه إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فردّوه فقال: والله يا أمير المؤمنين ما هذا صاحبه أنا قتلته، فقال أمير المؤمنين عليه السلام للاول ما حملك على اقرارك على نفسك؟ فقال: يا أمير المؤمنين وما كنت أستطيع أن اقول وقد شهد عليَّ أمثال هؤلاء الرجال وأخذوني وبيدي سكين ملطّخة بالدم والرجل يتشحّط في دمه وأنا قائم عليه، وخفت الضرب فأقررت، وأنا رجل كنت ذبحت بجنب هذه الخربة شاة وأخذني البول، فدخلت الخربة فرأيت الرجل يتشحّط في دمه، فقمت متعجباً، فدخل عليَّ هؤلاء فأخذوني، فقال امير المؤمنين عليه السلام: خذوا هذين فاذهبا بهما الى الحسن وقولا له: ما الحكم فيهما، قال: فذهبوا الى الحسن وقصّوا عليه قصتهما، فقال الحسن عليه السلام: قولوا لامير المؤمنين: إنّ هذا إن كان ذبح ذلك فقد احيا هذا، وقد قال الله عزوجل: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾[2] يخلّى عنهما ويخرج ديّة المذبوح من بيت المال[3].

وعلى هذا فاننا في مسألة الطهارة والنجاسة والحلال والحرام يلزمنا اليقين والقطع وفي غير هذا لايمكننا أن نعتبر هذا نجساً أو نقول هذا حرام. وحتى الدقة في تحرّي الطعام الطيب يجب إلّا تؤدي إلى ارتكاب

---

(١) مستدرك الوسائل ١ / ١٨.

(٢) سورة المائدة: الآية ٣٥.

(٣) بحار الانوار ٤٠ / باب ٩٧ ص١١٥.

الحرام عندما نعرّض كرامة المؤمن للخطر أو نكون سبباً في اساءة الظن به.

يقول أحد الأولياء:

دعاني ذات يوم شخص مرابٍ لتناول الطعام في منزله فاستنكفت وترفعت عن الذهاب فجاءني بنفسه وقال: أعرف سبب استنكافك، تظن أن طعامي حرام لأنه من أموال الربا، ولكن اعلم انني اعددت الطعام من مال حلال.. من إرث وصلني من أبي.

قلت: ربما يفسر حضوري على أنه رضا بما تقوم به من أعمال الربا فيكون ذلك ترويجاً للعمل الحرام.

قال: هذا حق لكني عزمت على الاعتراف على مسمع ومرأى الضيوف واعلان توبتي فيكونوا هم الشهود على ذلك، بل وسأعيد الى الناس حقوقهم.

قلت: اذا كان الأمر كذلك فقد وجب علي الحضور.

وذهبت لتناول طعام الغداء وكانت مائدة حافلة بما لذ وطاب فقال صاحب المنزل لضيوفه: أعرف أني مشهور بالربا ولكن هذا الطعام مصدره حلال فكلوا هنيئاً مريئاً، ولأني عرفت أن المرابي عدو لله ومحارب له فأنا اتوب من هذه الساعة فادعوا الله أن يتقبل توبتي هذه.

وكانت توبته توبةً نصوحاً فلم يأكل درهماً حراماً بعدها.

وأدركت أن سوء الظن يقطع العلاقات بين الناس، وأن معاشرة الناس بالحسنى تؤدي الى ترك المعاصي والآثام.

الغيظ

قال لي معلمي:

ذات ليلة رأيت نفسي في عالم الرؤيا ممتطياً جواداً ماضياً في طريق، فجأة قام الجواد بحركة غير عادية ورماني الى الأرض، شعرت بالغضب الشديد ونهضت من مكاني وسددت سلاحي نحوه وجرحت الحيوان المسكين.

نطق الجواد وقال: لقد كنت معذوراً فيما قمت به اذ وقعت عيني على شيء أخافني ففزعت منه، أما أنت فما هو عذرك في جرحي؟ أليس شعور بالغيظ مني وهذه صفة حيوانية، فما الذي يجعلك تختلف عني اذن؟

وهنا انتبهت من نومي، وكان موعد صلاة الليل قد حان، اذ لم يبق على طلوع الفجر سوى ساعة واحدة. نهضت من مكاني واستغرقت في صلاة الليل وكنت اتضرع الى الله في قنوتي وسجودي أن يخلصني من هذه الصفة الحيوانية.

لقد أدركت ان هذه الصفة هي أحدى الحجب التي أعاني منها ومن كانت عنده هذه الصفة فهو محروم من الحكمة. وقد قال اميرالمؤمنين علي ابن ابي طالب عليه السلام: «**غير منتفع بالحكمة عقل مغلوب بالغضب والشهوة**»[1]. ولذا رحت اتضرع الى الله سبحانه في كل دعاء ومناجاة وتوسلت بـ «بقية الله» روحي فداه في الخلاص من هذه الصفة الحيوانية وارتفاع هذا الحجاب عن روحي.

---

(١) غرر الحكم.

لم اكن متأكداً من خلاصي ولكنني كيف لي أن أعرف ذلك ومن أين أبدأ؟ وذات يوم وقد عدت الى منزلي من سفر بعيد وكان قد حدث في غيابي ما عكر الصفو ولذا استلقيت في فراشي ساعتين دون أن أنام وكانت اعصابي تهتز هزات خفيفة، عشر مرّات اغمضت عيني وكانت قافلة الأعداد في مخيلتي تمضي، فلعل النوم يغلبني ولكني كنت أفتح عيني مرّة أخرى، الى أن غفوت عدّة دقائق لا أدري كيف.

فجأة رن جرس الباب، فانتفضت من نومي وبدني يرتجف لكنني وجدت نفسي في حالة غير عصبية. نهضت من فراشي وتوجهت لفتح الباب لأجد شاباً دلّ منظره أنه لم يكن في توازن عقلي قال لي، هل هذا منزل فلان؟

قلت له: كلّا لقد وقعت في خطأ.

ولم يقنع الشاب بجوابي وراح يجادلني وفي هذه الأثناء فتح جاري باب منزله وراح يتطلع الى منظرنا ضاحكاً.

وعلى اي حال أغلقت الباب وعدت أدراجي الى غرفة النوم مترنحاً وكدت اتعثر في طريقي واسقط.

وعانيت الكثير لكي انام، وفي هذه المرّة رن جرس الهاتف وكان أحد أصدقائي يسألني عن حالي! ثم قال انه سوف يتوجه الى منزلي بعد دقائق لعمل ضروري لا يمكن مناقشته عبر الهاتف، قلت له: لا بأس يمكنك المجيء.

وكان من الطبيعي أن تفر فكرة النوم من ذهني إذ لا يمكنني ذلك وحضر صديقي.

قال لي: ان فلاناً يصر عليّ أن أتزوج ابنته ولذا أطلب منك أن تكتب له رسالة أو تحدثه عبر الهاتف وتقول له عني إنني اذا تزوجت ابنته فلن اتحمل نفقتها أبداً!!

ودهشت من نفسي لأنني ما زلت متمالكاً أعصابي وأنني بامكاني أن أفهمه ان هذا الشرط غير مشروع وادركت حينئذ أن الله استجاب دعائي في كظم الغيظ وأن هذا الحجاب قد ارتفع نهائياً.

وكان تأملي في هذه الاحاديث مفيداً جداً:

١ ـ الامام الصادق عليه السلام: «**الغضب مفتاح كل شرّ**»[١].

٢ ـ امير المؤمنين علي عليه السلام: في جواب عن سؤال: من أعلم الناس؟ قال «**الذي لا يغضب**»[٢].

٣ ـ النبي الاكرم صلى الله عليه وآله: «**من كف غضبه ستر الله عورته**»[٣].

٤ ـ النبي الاكرم صلى الله عليه وآله: «**الغضب جمرة من الشيطان**»[٤].

٥ ـ النبي الاكرم صلى الله عليه وآله: «**الغضب يفسد الايمان كما يفسد الخل العسل**»[٥].

٦ ـ وسئل عليه أفضل الصلاة والسلام: ما يبعد عن غضب الله تعالى؟ قال: «**لا تغضب**»[٦].

٧ ـ الامام الصادق عليه السلام: «**من لا يملك غضبه لم يملك عقله**»[٧].

الامام الباقر عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**من كف نفسه عن أعراض الناس أقال الله نفسه يوم القيامة، ومن كف غضبه عن الناس كف الله تبارك وتعالى عنه عذاب يوم القيامة**»[٨].

قال لي معلمي:

قبل ميلاد المسيح بسنوات طويلة كان هناك رجل يدعى «عويد بن أديم» الذي عرف بـ «ذي الكفل» وكان من أقارب نبي ذلك الزمان.

ذات يوم كان جالساً الى ذلك النبي في طائفة من أصحابه فقال النبي: من يلي أمر الناس بعدي على أن لا يغضب؟ قال: فقام فتى فقال: انا، فلم يلتفت اليه، ثم قال كذلك فقام الفتى، فمات ذلك النبي، وبقي ذلك الفتى وجعله الله نبيّاً، وكان الفتى يقضي اول النهار، فقال ابليس

---

(١) بحار الأنوار ٧٠ / ٢٦٣ ح٤.

(٢) أمالي الصدوق / ٢٣٧.

(٣) ثواب الاعمال / ١٢٠، بحار الانوار ٧٠ / ٢٦٦ ح٢١.

(٤) بحار الانوار ٧٠ / ٢٦٥ ح١٥.

(٥) المصدر السابق ح٢١.

(٦) المصدر السابق / ٢٦٧ ح٢١.

(٧) بحار الانوار / ٢٧٨ ح٣٣.

(٨) المصدر السابق / ٢٨٠، ٣٤.

لاتباعه: من له؟ فقال واحد منهم يقال له الابيض: أنا، فقال ابليس: فاذهب اليه لعلك تغضبه، فلما انتصف النهار جاء الابيض الى ذي الكفل وقد اخذ مضجعه فصاح وقال: إني مظلوم، فقال ذو الكفل للحاجب: قل له: تعال، فقال لا انصرف قال: فاعطاه خاتمه، فقال: اذهب واتيني بصاحبك، فذهب حتى اذا كان من الغد جاء تلك الساعة التي أخذ هو مضجعه، فصاح: إني مظلوم، وإن خصمي لم يلتفت الى خاتمك، فقال له الحاجب: ويحك دعه ينم، فانه لم ينم البارحة ولا أمس قال: لا ادعه ينام وانا مظلوم، فدخل الحاجب واعلمه فكتب له كتاباً وختمه ودفعه اليه، فذهب حتى اذا كان من الغد حين أخذ مضجعه جاء فصاح، فقال: ما التفت الى شيء من أمرك، ولم يزل يصيح حتّى قام واخذ بيده في يوم شديد الحر لو وضعت فيه بضعة لحم على الشمس لنضجت، فلما رأى الأبيض ذلك انتزع يده من يده ويئس منه ان يغضب؛ فانزل الله تعالى قصّته على نبيه ليصبر على الأذى كما صبر الانبياء عليهم السلام على البلاء»[1].

فالغضب من الصفات التي تحتاج الى ضبط وسيطرة ولا يعني هذا ان على الانسان ألّا يغضب أبداً بل عليه أن لا يغضب في بعض الموارد فهو كقوّة انسانية يستلزم السيطرة عليه في أعماق الانسان فكما تتوجب السيطرة على الغاز في شبكة داخل المدينة، بحيث لا يتسرب منه ولو ذرّة واحدة فكذلك قوّة الغضب في داخل الانسان يجب أن تبقى في قنواتها الخاصّة ولا تتسرب من أي مكان، لأن ذلك ينطوي على مخاطر كثيرة.

أما الغضب نفسه فقد كان المعصومون يغضبون لله وفي سبيل الله وقد قال رسول الله ﷺ عن فاطمة الزهراء سيدة النساء عليها السلام: «**ان الله يغضب لغضب فاطمة**»[2].

ولذا فان الغضب من الصفات التي تحتاج الى للسيطرة والضبط لأنها قوّة من قوى الانسان لا يمكن ازالتها نهائياً، وانما يجب منعها من النفوذ الى دائرة العقل والسيطرة عليه وهذا ما تؤكد عليه الروايات.

---

(١) بحار الانوار ج١٣ / ٤٠٤، قصص ذي الكفل عليه السلام.

(٢) صحيح البخاري / باب فضائل فاطمة الزهراء عليها السلام.

الغل والعدوان

كان في محلتنا شاب معروف بالفحش والشقاوة، حتى أن أمه تقول إذا لم يتشاجر (غلام) مع أحد فيضرب أو يُضرب فإنه لا يعود مسروراً الى البيت!

الناس جميعاً يذمونه، وذات يوم رأيت غلاماً هذا وهو عرفني كما يبدو، اقترب مني وحيّاني بطريقته. فجأة شعرت بأنه وقع في قلبي موقعاً طيباً قلت له: لماذا لا تزورني يا غلام؟

قال: كيف ازورك وأنا من الفسّاق الفجّار وأنت عالم من العلماء.

قلت له: لماذا تفكر هكذا، لنذهب الآن الى بيتي ونتحدث معاً.

قال: لا يا سيدي.. دعني لحالي.. انك تتلطف معي وأنا لا استحق ذلك.. ألم تسمع الناس ما يقولونه عني؟!

قلت: ولكنني أشعر تجاهك الآن بالحب، وقد لا أحب في هذه المحلة شخصاً أكثر منك.

عندما سمع مني ذلك رأيت حبات العرق على جبينه وقال: شكراً لك ولكن.. ألا تدري مقدار أذيتي للناس؟!

ألم تسمع بمشاجراتي كل يوم.. وأنني سُجنت بسبب إشهاري السكين عدّة مرّات؟!

قلت: كل شيء قابل للاصلاح.. هذه الأمور ليست شيئاً ذا بال.. كما أن فيك صفات طيبة وأنا أحبك من أجلها.

قال: وأي صفة طيبة فيَّ وأنا لا أدري بها؟!

قلت: وهذه صفة طيبة ألّا يعلم المرء أن في نفسه صفة طيبة.

ويرى نفسه عاصياً مذنباً هذا أولاً وثانياً ان من الرجولة والشهامة ألا يكذب المرء.

وتلقّى (غلام) كلماتي بارتياح؛ نسيت أن أقول أننا كنا نتحدث ونحن في طريقنا الى المنزل.

وعندما وصلنا امتنع عن الدخول فقلت لـه: من أجل محبتي لك اترك ما أنت عليه من شقاوة!

قال: أنا لا أحب أن أكون كذلك ولكني اعتدت هذا السلوك.. لا استطيع ضبط اعصابي عندما يواجهني شيء لا ارتاح إليه. كمّ من مرة قررت أن أغير مسلكي لكن لا فائدة.

قلت له: عندي لك برنامج يساعدك على الخلاص مما أنت فيه.. أعرف انك شهم وان ارادتك ستكون أقوى في الوفاء عندما تعد أحداً.. أنا اطلب منك أن تعمل بكل ما أقول!

قال: سمعاً وطاعة يا سيدي إنني افديك بروحي!

قلت له: غلام! عندما تثور لأمر ما وأردت أن تتشاجر مع أحد فإن كنت واقفاً فاجلس وإن كنت جالساً فانهض وعندها فكر بالشجار.

قال: حاضر.

قلت: إنني آمرك بشيء وهو كلما أردت أن تفحش على أحد صلّ على محمد وآله أولاً ثم افحش.

قال: حاضر.

قلت: وأمر آخر عليك أن تنظر الى كل من تعاديه وتفكر في نفسك أن هذا الشخص من مخلوقات الله سبحانه.

قال: حاضر.

عندما ودّعني كنت متأكداً بأنه سوف ينفذ ما قلت له، كنت متأكداً من شهامته.

مضت ثلاثة أيام ثم جاءني قائلاً: لم استطع أن أتشاجر مع أحد لقد نفذت كل ما طلبته مني لكني اشعر بأنني سأنفجر.. لهذا جئت لالغاء العهد!

قلت له: اجلس ونفّس عما يموج في صدرك؛ اشتمني كما تحب حتى تستريح.. انت شهم يا غلام فلا تسيء الى شهامتك.

قال: اقطع لساني اذا شتمتك يا سيدي.. سمعاً وطاعة ان عهدنا كما هو..

قال ذلك ونهض.. ومضت أيام ثم جاء مرة أخرى وقال لقد اصبحت اضحوكة الاصدقاء.. انهم يؤذونني فاذا شعرت بالغضب جلست لحظة فيضحكون مني. وأنا أيضاً أصبحت اضحك من نفسي، ان اعصابي اصبحت باردة.. لم أعد أثور اذا شعرب بالغضب. بالأمس أردت أن افحش لكني صلّيت على النبي وآله بصوت خافت خاصّة لأن الشخص المقابل كان من ذرية فاطمة فشعرت بالخجل كيف اصلّي على النبي واشتم ذريته.

سكت لحظة واستطرد قائلاً: إن تعليماتك يا سيدي تسبب لي العناء.. لكني اشعر الآن بأنني تخلصت من عاداتي بنسبة خمسين بالمائة!

قلت له: تعال معي إذن لأشرح لك أي العادات السيئة نجوت منها.. الله سبحانه يقول في كتابه الكريم: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾(١).

ويقول تعالى: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾(٢).

وعن الإمام الرضا عن آبائه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اياكم ومشاجرة الناس فانها تظهر الغرّة وتدفن العزّة**»(٣).

وقال رسول الله ﷺ: «**لم يزل جبرئيل ينهاني عن ملاحاة الرجال كما ينهاني عن شرب الخمر وعبادة الأوثان**»(٤).

---

(١) سورة الانفال: الآية ٤٦.

(٢) سورة الحشر: الآية ١٠.

(٣) بحار الانوار ٧٢ / ٢١٠ ح٣.

(٤) المصدر السابق ح٤.

وعن الامام الباقر عن آبائه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من كثر همّه سقم بدنه، ومن ساء خلقه عذّب نفسه، ومن لاحن الرجال سقطت مروءته، وذهبت كرامته»**[1].

وقال الامام الصادق عليه السلام: **«لا يكون المؤمن فحاشاً»**.

(١) المصدر السابق.

القسوة والحبّ

قال لي معلمي:

سنوات وأنا أتمنى بلوغ الكمال الروحي لكنني لم أكن أعرف ماذا أفعل؟ خاصّة وأنني أتصور حجاباً في نفسي يعذبني، وهذا الحجاب هو القسوة ازاء الناس فلم يكن في قلبي حب للناس.. وهذه الصفة اللاإنسانية كانت تعذبني.

لقد سمعت قصصاً في حياة المرحوم «حسن مدرّس» خاصّة يوم اطلقوا عليه النار في اصفهان في مدرسة «جدّة بزرگ» والقي القبض على الفاعلين وجاؤوا بهم الى السيد، فقال لهم اهربوا الآن قبل أن تقعوا بأيدي الشرطة وقد يؤذونكم.. أنتم لستم مقصّرين أعدائي خدعوكم وأنتم لا تعرفونني.

هذه القصّة هزّت وجداني وقصص غيرها في حياة الأئمة الأطهار خاصّة قصة امير المؤمنين علي عليه السلام مع قاتله ابن ملجم؛ أشعرتني هذه القصص بالنقص الذي أعاني منه.. إن في داخلي صفة حيوانية يجب أن اتخلص منها..

ان على الانسان أن يحب ابناء نوعه.. أن يساعد الناس، وقد قال سيدنا محمد صلى الله عليه وآله: **«من أصبح ولم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم»**[1].

الحيوانات هي المخلوقات التي لا تفكر الّا في نفسها، أما الانسان فانه مسؤول أمام ابناء نوعه.. عليه أن يكون متسامحاً معهم يؤثرهم على

(١) بحار الانوار ٧١ / ٣٣٧ ح١١٦.

نفسه ويضحي من أجلهم... ويعاني من أجل أن يعيش الناس في راحة ودعة وأن يكون في خدمة مجتمعه وأمته.

ولذا ومن أجل معالجة هذا المرض الروحي عاهدت نفسي على تلاوة سورة الدهر أربعين صباحاً.. انني لم أجد في الروايات شيئاً يوحي بهذا ولكنني أعلم أن من يقرأ قدراً من آيات القرآن الكريم لقضاء حاجة قضيت له(١).

كما ان سورة الدهر بالذات تبين كرامة أهل البيت وإيثارهم ومن البديهي أن يكون لها تأثير روحي وعلاوة على ذلك كنت أسأل الله بعد تلاوتها وأقسم عليه بحق أهل البيت أن يشفيني من هذا المرض الروحي وأن يطهر روحي منه.

حتى جاء يوم كنت قد غفوت بعد تناولي طعام الغداء، فرأيت سيداً وقوراً في هيئة العالم، اقترب مني وفصّد ظهري وأخرج منه عروقه وما اسودّ ونبذه بعيداً، وأحسست بالراحة وأن قلبي مغمور بالحنان، لكني لم أعرف من يكون ذلك السيّد الوقور.

في اليوم التالي جاءني سيّد كأنه السيد الذي رأيته في المنام وطلب مني أن أقضي له حاجة، وكانت حاجته تسبب لي مشكلة، فحاولت أن اعتذر له كعادتي لكنه وعظني بجملتين أو ثلاث ونصحني ان أتخلّص من تلك الصفة.. تذكرت حلم اليوم الفائت وتدفق في قلبي حنان وحب، فنهضت لحلّ مشكلته وقد سهّل الله ذلك فله الحمد.

ومن يومها وأنا أسعى في قضاء حوائج الناس وكنت أحب المؤمنين أكثر من نفسي وأوقفت حياتي من أجل خدمة الناس.

---

(١) قال الامام الحسن بن علي عليه السلام: **«من قرأ القرآن كانت له دعوة مجابة، أما معجّلة وأما مؤجلة»** بحار الانوار ٨٩ / ٢٠٤ ح٣١.

العجلة

قال لي معلمي:

في مطلع شبابي كنت عجولاً، أي كنت أبادر إلى القيام بعمل ما قبل حلول وقته المناسب، كما كنت اتلهف لأن يُنجز لي عمل ما قبل وقته الطبيعي ومن الطبيعي أن يصاب انسانٌ كهذا بالغم والهمّ، كما أن الاعمال لن تكون الّا ناقصة.. فيخونه صبره ولا يقوى على انجاز عمل صحيح.

وعليَّ أن أوضح هنا ان معنى العجلة بأنه المبادرة الى انجاز عمل ما قبل وقته المناسب.

وعلى هذا فإن العجلة في انجاز اعمال الخير ليست عجلة وانما هو استباق محمود وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾[1].

أما العجلة فهي انجاز عمل قبول أوانه، مثل قطف الثمار قبل نضوجها أو تناول الطعام ولمّا يبرد بعد، واداء الصلاة قبل حلول وقتها فهناك أعمال ترتبط بوقت محدد.

قال لي معلمي: كانت هذه الحالة الروحية تعذبني في أوائل شبابي وكم أديت من طقوس العبادة من صلاة وصيام ودعاء، بالطبع دون الاستعانة باستاذ لكن دون جدوى، لأني أدركت أنه لا ينبغي العجلة حتى في معالجة هذا المرض النفسي.. وكان علي أن اتبع منهج المحاسبة والمراقبة للنفس شيئاً فشيئاً وبتأن وهدوء تعلمت ذلك من رجل في مكة ليلة عرفة وكان رجلاً صالحاً.

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٤٨.

كان يوم الثامن من ذي الحجة الحرام وكانت الشمس تجنح للمغيب واكثر الحجاج انطلقوا الى عرفات، كنت في زاوية من المسجد الحرام وقد أخذني النوم من شدّة التعب.

فجأة استيقظت من النوم، وكنت مرتبكاً من فرط عجلتي للذهاب الى عرفات ويحسبني من رآني في حالة غير عادية، لأنني كنت ابحث عن واسطة نقل تأخذني الى ذلك المكان الزاخر بالمعاني.

فجأة وقع بصري على رجل في وجهه سيماء الأولياء، وكان يتصرف بوقار وهدوء وتغمره السكينة كان يتجه الى المسجد الحرام لأداء الصلاة.. قلت له: ألا تذهب للوقوف في عرفات؟

قال لي وكأنه عرف مرضي: لا تعجل! نذهب غداً في الصباح.

سحبت يدي من يديه لأنني اظن نفسي قد تأخرت قلت: كل الحجاج ذهبوا.

قال لي بهدوء: انهم ذهبوا ليخلو أمامنا الطريق وسنذهب في الصباح في راحة.

قال ذلك وتوقف يعظني للحظات، وكان ما قال لي: لنفترض انك تريد الذهاب الآن فقف على جانب الطريق وانتظر السيارة ولا داعي للاضطراب.

سكت لحظة ثم استطرد:

والآن لنذهب الى المسجد الحرام لنصلّي العشاءين وبعد ذلك نقرر.

قلت: أخشى ألّا نصل الموقف في عرفات.

قال: انها خمسة عشر كليومتراً لا اكثر فحتى لو ذهبت مشيئاً فانك ستقطع هذه المسافة قبل الظهر.

وحقاً ما قال لأن الواجب هو الوقوف في عرفات، يعني ان على الحجاج أن يتواجدوا في صحراء عرفات في التاسع من ذي الحجة من الظهر الى الغروب.

وما تحرك القوافل في يوم الثامن من ذي الحجة الّا تجنباً للازدحام الذي يسبب أذى كثيراً للحجاج.

وعلى كل حال عدنا الى المسجد الحرام وصلينا العشاءين وقال لي بعد الصلاة لنذهب الآن لنتناول الطعام في مكان اعرفه.

ذهبت معه لأني أحببت مصاحبته ووجدت في أحاديثه متعة.

قال لي بعد أن تناولنا غذاءنا: انها ليلة عرفة فدعنا نبيت في المسجد الحرام قلت له: وماذا عن عرفات؟

فقال لي: انا ايضاً اؤدي مناسك الحج فاصنع ما أصنع أنا.

وافقت على ذلك دون أن أبدي رأياً.

امضينا ليلتنا هناك وأدينا صلاة الصبح، طبعاً اكتسبت طوال تلك المدّة قدراً من الهدوء، ولكن الرجل الصالح عاد الى محلّ اقامته لينام وكان قد قال لي: استرح أنت أيضاً.

وهنا شعرت بالامتعاض. قلت له: ماذا لو غلبنا النوم ولم نصل الموقف؟

قال: سوف استيقظ في الساعة الثامنة باذن الله وسنذهب في التاسعة وأنت بهذه العجلة التي عندك. أما أنه لن تنام أو لن يغلبك النوم فلماذا لا تستريح قليلاً؟

لم أقل شيئاً فمضى هو لينام أما أنا ومع اني لم اذق طعم النوم في الليلة الفائته فلم انم، وكنت أنظر الى الساعة باستمرار مترقباً حلول الساعة الثامنة..

بقيت دقائق معدودة ليؤشر عقرب الساعة إلى الثامنة، وفي تلك اللحظات استيقظ الرجل الصالح، وأخذني الى المسجد الحرام مرّة أخرى، وهناك ادّى ركعتين بطمأنينة تامة، ثم ارتدينا رداء الاحرام وانحدرنا الى الطريق.

كانت السيارات تترى تحمل المسافرين الى عرفات.

استقلينا سيارة قطعت الطريق في ساعة ونصف. ولا تزال هناك

ساعتان لبدء الوقوف وعندما وصلنا قال: هذه صحراء عرفات هنا ينبغي أن تعرف الحقائق وأنني اوصيك في هذا المكان وأقول لك لا تعجل، ففي العجلة يضيع الوقت ولا ينجز العمل تاماً، وأن العجلة من الشيطان فمن كانت فيه هذه الصفة ففيه شيطان.

وها أنا أنصحك أن تتوسل بـ «بقية الله» وهو حاضر هنا لاشك في ذلك وتطلب منه أن يخلصك من هذا المرض.

فروّض نفسك وتعلم ألّا تقوم بعمل قبل أوانه، وعليك أن تعلم بأن ذلك لن يحصل دفعة واحدة وانما تدريجياً.

شكرته وعملت بنصائحه ودعوت الله سبحانه ان يشفيني.

الكبر والاعجاب بالذات

قال لي معلمي:

كنت مستغرقاً في قراءة الزيارة في حرم السيدة فاطمة المعصومة، فجاءني رجل من الذين يعتبرون أنفسهم من أولياء الله، وكان في يده كتاب المفاتيح، ولأني كنت أحسن الظن به نهضت وسلّمت عليه وهو أيضاً أجاب سلامي، لكنني عندما نظرت اليه احسست بأن أعماقي تظلمّ وودت الفرار منه. وفي هذه الاثناء خامرني شعور أن يكون موقفي هذا وسوسة من الشيطان، فقلت في نفسي على المرء الّا يسيء الظن. فجلس الى جانبي ولا زلت غير مرتاح إليه، ولم أكن اريد النظر اليه لحظة واحدة. قلت في نفسي: ما دمت في صدد معالجة أمراضي الروحية فلتكن هذه تجربة لي فهل أنا مريض روحياً أم هو ينطوي على أحدى الصفات الروحية القبيحة لكي انفر منه؟

وعلى كل حال اجبرت نفسي على الحديث معه فتحدثنا قليلاً عن درجات الكمال ومراتبه وكان يعتقد في نفسه بأنه طوى جميع مراتب الكمال!

وقال لي في معرض كلامه: لا يعني ان يكون المرء من ذرّية النبيﷺ لكي يحوز جميع هذه الفضائل التي ذكرتها.

قال لي أيضاً: ان الانسان ما لم يعبد الله فانه لا يعرف العبودية، وأنه لا قيمة له عند الله ما لم يؤد النوافل ما امكنه.

وقال لي: ان الكمالات الروحية تعني اداء الواجبات وترك المحرمات كما أوضح لي ذلك بالامثلة المفصّلة..

لكنه كان في كل حديثه متكبراً متعالياً وكنت مجبراً على سَماعِ حديثه ولا انبس بكلمة واحدة.. ثم وجدت نفسي مضطراً لأن أساله: لو أن شخصاً لديه صفات حيوانية ولكنه كان يؤدي واجباته ويترك المحرّمات فهل أنه يكون قد بلغ الكمالات الروحية؟

قال: انتم المعممين لا يمكن الحديث معكم، كلما قلنا شيئاً اشكلتم علينا.. ان الانسان الذي لا يؤدي واجباته ولا يجتنب المحرّمات فهو حيوان.

قلت: اوافقك على هذا ولكن اذا كان هناك من يؤدي الواجبات ويبتعد عن المحرمات ولكن في سيرته صفات الحيوانية، فهل يكون قد وصل الكمال الروحي؟

قال: آه كم انتم جهلة.

ثم اشاح بوجهه عني وقال: كان عليك ألّا تدرس فلا تظهر عندك هذه الحجب فلا تدرك موضوعاً واضحا كهذا، وهنا التفتُّ الى أن هذا المسكين مصاب بمرض الكبر والاعجاب بالنفس والانانية، فهو في جهل مركّب وعليَّ أن ابتعد عنه، لأن افراداً مثل هؤلاء لا يمكن اصلاحهم بل انهم يشكلون خطراً على الاسوياء.

قال لي معلمي:

ذات يوم ومن أجل الاطلاع على حياة من اتصل بالامام المهدي في غيبته الكبرى رحت اطالع في كتاب «النجم الثاقب» فقال لي شخص كان مغروراً بما تعلّمه من الفلسفة: انت بهذه المنزلة من العلم والدراسة من العيب عليك أن تطالع مثل هذه المسائل وتصدّقها.

قلت: يعني أنت تحتمل وضعها من قبل المرحوم الحاج نوري وهو من تعرف منزلته ومقامه العلمي والروحي؟!

قال: انني لا أؤمن بهذه المواضيع كيف لنا ونحن بهذه المنزلة من العلم ولا نرى الأمام بينما يراه البقالون والحمالون والاميون مثل «الحاج علي البغدادي» و«اسماعيل الهرقلي» و«علي بن مهزيار الاهوازي».

وكان جواب سؤاله هذا واضحاً ولذا أعرضت عن الجواب، لكنني

انتبهت الى أن اكثر الحجب خطورة هو الاعجاب بالذات والتكبّر، فمهما نال الانسان من درجة فهو يبقى بالنسبة الى الله فقيراً ومحتاجاً ولا يمكن ان يعدّ نفسه غنياً مهما كان؛ ذلك ان الله سبحانه يقول: ﴿أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾[1].

إنّ من يدرك حقيقة العبادة والاعمال والقوانين الالهية، سيكتشف ان نتيجة كل ذلك شيئان: أولهما ان الله هو العظيم والغني وأن الانسان محتاج وفقير وهو لا شيء بالنسبة الى الله.

ولذا فان ذرة واحدة من مشاعر التكبر والاعجاب بالذات تعني ان هذا الانسان لم يصل بعد الى حقيقة العبودية وأنه يعاني من أسوأ الحجب التي تبعده عن الله.

وان علاج مثل هذا المرض يكمن في التأمل في فلسفة العبادة وادراك حقيقة العبودية وتزكية النفس من الانانية.

يروي الامام الرضا عن آبائه عن الامام علي بن ابي طالبعليه السلام قوله: «**وحسبك من الجهل ان تعجب بعلمك**»[2].

ويقول الامام الصادقعليه السلام: «**لا جهل أضرّ من العجب**»[3].

ويقول الامام عليعليه السلام: «**اعجاب المرء بنفسه دليل على ضعف عقله**»[4].

قال لي معلمي:

في يوم الأحد الذي هو يوم أمير المؤمنين كما جاء في الروايات وفي الساعة الأولى منه وطبقاً لبعض الأحاديث[5] كنت مشغولاً بزيارته فجأة وكما لو أنني استغرقت في النوم أو الأفضل أن أقول انني لا أدري نفسي في أيّ حال إذ رأيت حجباً تنزاح عن عيني وأنني أرى جمعاً من الناس

---

(١) سورة فاطر: الآية ١٥.

(٢) وسائل الشيعة ١ / ٢٩.

(٣) بحار الانوار ٧٢ / ٣١٥.

(٤) وسائل الشيعة ١ / ٧٥.

(٥) جمال الاسبوع / ابن طاووس عن ابن بابويه.

مثل النمل يسحقون تحت اقدام الآخرين خاصّة ذلك الرجل الذي أعرفه وكان مصاباً بمرض التكبّر والغطرسة وكان يمشي بطريقة عجيبة! رجله فوق عاتقه ويتقلّع في المشي سألته: ماذا جرى عليك حتى اصبحت بهذه الصورة وما الذي دعاك لمغادرة وكرك لكي يدوسوا عليك؟ رفع رأسه بكبرياء وغرور ونظر اليّ بغطرسة وقال: لم أخرج لكي أرى التافهين من امثالك انتم تسيئون الى سمعة البلد.. نحن وحدنا يحق لنا التجوال في شوارع البلاد وازقتها.. نحن الرجال المحترمون يحق لنا ذلك!

افقت وعدت الى حالتي الأولى وصادف انني ذهبت الى مرقد الامام الرضا فرأيت ذلك الرجل في أحد الأزقة فنظر اليّ بكبرياء وقال لرفيقه الذي كان يساعده على المشي: مادام هؤلاء في البلاد فليس لنا نصيب في الحضارة والتقدم.

في اليوم التالي سألت رفيقه الذي كان معه: لماذا كنت تساعده على المشي هل كان مريضاً لا سمح الله؟

قال: كلّا لكنه شرب كثيراً في الليلة الماضية وعندما عاد الى منزله لم تكن زوجته وابناؤه في البيت ولم يكن معه مفتاح البيت فاضطر للجلوس في الزقاق.. فجاءه بعض شباب المحلّة وكانوا يكرهونه بسبب أذاه لهم وانهالوا عليه ضرباً مبرحاً حتى ازرق جلده وربما كُسرت عضده فأخذته الى الطبيب لاجراء الفحوصات ونرى ما حصل له.

وهنا تذكرت حديثاً مروياً عن الامام الصادق عليه السلام يقول فيه: «**ان المتكبرّين يجعلون في صور الذّر يتوطأهم الناس حتى يفرغ الله من الحساب**»[1].

قال لي معلمي:

كان لأحد الأولياء بصيرة وكان يرى بعض الناس في حقيقة سلوكهم أخبرني مرّة: أنه رأى أحد علماء الحوزة وأساتذتها الكبار في هيئة حيوان مفترس تقدم مني فخفت في البداية منه ولكنه راح يتضاءل ويتضاءل حتى

---

(١) بحار الانوار ٧٠ / ٢١٩ ح١١.

خفت أن أدوسه بقدمي.. ثم أفقت من تلك الحالة ورأيته في هيئته العادية وكان ينظر اليّ متكبراً وينتظر أن أبدأه بالتحية فقلت له: ما هي مرتبتك التي تتكبر بها على الآخرين؟ اذا كان ذلك بسبب مقامك وتنتظر من الناس أن يعظّموك فالنبي أولى ألا يتواضع لأي أحد.

يقول العلامة المجلسي في كتابه:

«وما أسرع الكبر الى العلماء ولذلك قال ﷺ: آفة العلم «الخيلاء» فهو يتعزّز بعزّ العلم ويستعظم نفسه، ويستحقر الناس وينظر اليهم نظره الى البهائم ويتوقع منهم الاكرام والابتداء بالسلام ويستخدمهم ولا يعتني بشأنهم، هذا فيما يتعلق بالدنيا وأما في الآخرة فبأن يرى نفسه عند الله أعلى وأفضل منهم، فيخاف عليهم أكثر مما يخافه على نفسه، ويرجو لنفسه أكثر مما يرجو لهم وهذا بأن يسمى جاهلاً أولى من أن يسمّى عالماً».

قال لي معلمي: ذات صبح كت جالساً تحت قبة مرقد السيدة فاطمة المعصومة وكان رجل مسنّ قد فرغ تواً من صلاة الليل وجلس الى جانبي وكان ينظر الي متكبراً وقال: ما الذي تفعله هنا يا ولد؟ (وكنت في وقتها شاباً) فسلّمت عليه بأدب وقلت له: أقرأ دعاء الحزين. قال: وهل صليت صلاة الليل؟

قلت: نعم.

قال: سوف يرتفع أذان الصبح فلا تأتم بهؤلاء العلماء.

قلت: لماذا؟

قال: انهم ليسوا من أهل العبادة.

ثم اشار الى عالم كان يصلّي وقال: أنا منذ ساعة اصلّي وقد جاء فلان هذا الآن ثم تريدني أن أصلّي خلفه؟

قلت: فلعله يؤدي النوافل سرّاً.. وربما صلّى صلاة الليل في منزله في خلوة من الناظرين، لا يعلم به الّا الله ثم جاء لأداء الفريضة في الحرم.

قال: لا يا ولدي لو كان من أهل العبادة ما سمن هكذا وعظمت رقبته.. وكان من الأفضل له أن تسيل دموعه مثلي وليس على جبينه آثار السجود هؤلاء من الهالكين لأنهم لا يعبدون.. الله سبحانه وتعالى لن يسأل

يوم القيامة عن حسب ونسب ويسأل عن مثل هذه العبادات وهناك يعرف من يحتاج من!

كان يتحدث ويشير الى ذلك الرجل البدين المسكين الجالس في مصلّاه لأداء الفريضة جماعة.

ومع أنني كنت شاباً ولكن كان لي استاذ يرفع اليَّ في كل يوم علماً وكان مما علّمنيه رواية عن النبي ﷺ وقوله: «**التقوى ههنا وأشار الى القلب**»[1]. فاذا سمعتم أحداً يقول هلك الناس فإنه أسرعهم هلاكاً.

انزعج من كلامي وقال: ان عيبكم أيها الطلبة هو كثرة جدلكم. قال ذلك وأعرض عني... وكنت اذا صادفته يعرض عني.

وربما رأيته في المحافل العامة عابساً لكأنه غاضب على الجميع.

وكان اذا تهامس الناس فيما بينهم وتجاذبوا أطرف الحديث قال بعصبية: هذا لغو والمؤمن مطالب بالاعراض عن اللغو.

وكان عليه أن يدرك أن الورع والتقوى ليسا في ظهور آثار السجود على الجبين أو في ملامح الوجه العابسة أو في التعالي على الناس، فالورع والتقوى في القلب كما قال رسول الله ﷺ.

قال لي معلمي:

قال لي سيّد وقور وكنت أعرف له حسباً ونسباً وعلماً وفضلاً: إنني فخور بحسبي ونسبي.

وكان بالقرب منا رجل جاهل، فأراد الجاهل أن يعظه لأنه تصوّر أن هذا السيد يتباهى وهو يزكي نفسه متكبراً على الآخرين، فقال لذلك السيد الجليل: ان التفاخر بالأصل والنسب نوع من التكبر وهذا لا يليق بك.

شعرت بالألم من هذا الكلام وقلت له: انك سمعت بأن التفاخر

---

(١) المحجة البيضاء ٥ / ٧٨.

بالحسب والنسب تكبر ولكنك تجهل أن الانتساب الى النبيﷺ وأمير المؤمنين يرفع الانسان درجة تؤهله للسعادة وهذا السيد لا يتباهى ولكنه يحدّث بنعمة الله ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ فالانتساب الى النبي وآله نعمة كبرى والحديث عن النعم مستحب.

وقد روى الامام الصادقعليه السلام قال: «**أتى رسول اللهﷺ رجل فقال: يا رسول الله أنا فلان بن فلان حتى عدّ تسعة فقال رسول اللهﷺ اما انك عاشرهم في النار**»[١].

فالتكبر هو نسبة الكبر الى الذات وهو إن كان ذاتياً عدّ عظيماً وكبيراً واصطلاحاً ولغة ولا يقال لمن كان فيه هذا متكبراً.

قال لي معلمي: النساء عادة يتباهين بجمالهن الظاهري، وأنا أعرف امرأةً اجتازت كل الحجب ولكن لكونها جميلة جداً وتلفت أنظار النساء في المحافل لشدة حسنها، جعلها تتكبر وكان هذا هو، الحجاب الوحيد الذي تعاني منه.

ولذا فان من عوامل التكبر في الانسان هو جماله الظاهري، ولو أنه التفت الى ان الجمال نعمة من نعم الله سبحانه حباه بها دون الآخرين، وأن هذه النعمة تستحق الشكر لأدرك أن شكرها ما هو الّا التواضع.

قال لي معلمي:

ذات يوم كنت اتوسّل بـ «بقية الله» ارواحنا فداه في رفع الحجب المعنوية عن روحي وقلبي، ثم انتبهت الى أن تصرفت بنوع من التكبر مع انسان فقير وشعرت أن الظلمة تملأ روحي وقلبي، وادركت حينئذ ان ابتعادي عن الحقيقة كان بسبب ذلك.

من أجل هذا توسلت بالامام ووجوده المقدس في اضاءة هذه الظلمات بعد أن عاهدته على أن أكون متواضعاً أمام الفقراء.

---

(١) بحار الانوار ٧٠ / ٢٢٦ ح١٩.

روي عن الامامين الباقر والصادقعليهما السلام قولهما: «**لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر**»[1].

وعن الامام الصادقعليه السلام قوله: «**ما من رجل تكبر الا لذلّة وجدها في نفسه**»[2].

وعنه عليه السلام قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله من يستكبر يضعه الله**»[3].

قال لي معلمي:

كان لي استاذ كبير الروح والمعنويات، ولذا كنت اتخذه أنا وجماعة مرشداً لنا وشيخاً لطريقتنا ومعلماً لنا، ولأنني كنت الأقرب اليه فقد تحلق مريدوه حولي بعد وفاته رحمه الله وتصوروني خليفته، وقد سررت لذلك. من أجل هذا كنت انطلق يومياً الى المكان الذي كان يجلس فيه واجلس بنفس الطريقة التي كان عليها واستقبل الناس واحداً واحداً بشيء من التكبر لأجيب عن اسئلتهم.

واستمر الوضع هكذا، ولكن لأني اشتغلت مدّة عند استاذي بتزكية نفسي لذا كانت نفسي اللوّامه تعنفني، كلما خلوت الى نفسي واكاد اسمع ما تقوله لي وتكرره علي: أنت لا تليق بهذا المقام!

أنت المريض وتريد أن تعالج الآخرين؟!

كيف تريد تطهير نفوس الناس وأنت ساقط في براثن التكبر؟

اجل كانت تلومني باستمرار، لكن نفسي الأمارة بالسوء لم تكن تدع لي مجالاً لأثوب الى رشدي.. كانت توسوس لي قائلة:

انت لم تسع الى هذا المقام، لقد جاء بنفسه اليك وهذه فرصتك فاستغلها.. ربما لن تسنح لك فرصة غيرها في المستقبل وعندها لن تستطيع هداية الناس.

وكان الشيطان يلقي اليّ ويزيّن لي ما أنا فيه، كان يريد خداعي والّا فأنا أعرف بنفسي، وأعرف أنني لست من أهل هذا المقام السامي.

---

(١) بحار الانوار ٧٠ / ٢٢٥ ح٦.

(٢) المصدر السابق ح١٧.

(٣) المصدر السابق / ٢٣١ ح٢٣.

وهكذا كانت حالي، كنت اتراجع روحياً يوماً بعد آخر حتى عبادتي فقدت روحها. والأسوأ من كل هذا إن صفة التكبر بدأت تأخذ بخناق روحي وشيئاً فشيئاً كدت أصدق بأني فوق الآخرين وأفضل منهم. من حسن الحظ انفجر ذات ليلة بركان الحزن في روحي وبدأت ابكي بمرارة ورأيت نفسي في صراع ونزاع كيف أزهد في هذا المقام وكيف يتأنى لي أن أجيب الله سبحانه غدا وقد جلست في مكان هو ليس مكاني ومقام هو ليس مقامي، فأضلّ وأضلّ جمعاً من عباد الله!!

وأخيراً قررت في اليوم التالي أن أذهب مع مريدي الى بستان في خارج المدينة وأن أقوم بأعمال ليس فيها خلاف للشريعة لكنها تنزل من شأني.

في البداية ظنوا انني اهدف الى تأديب نفسي وبقيت في نظرهم كما أنا ولياً لله ولكن استمراري في القيام بتلك الأفعال جعلهم يشكون فيّ، فافدت من هذه الفرصة وجلسنا في زاوية من زوايا البستان ورحت اتحدث اليهم.. وجلسوا اليَّ كما يجلس المريد الى معلمه وراحوا يصغون اليّ قلت لهم: اخوتي انكم لطيفون بي اذ تعدّوني افضل منكم واني لأشكر مودّتكم وحسن ظنكم. لكني اقسم بالله العظيم انني لست أهلاً لهذا المقام فأعالج أمراضكم الروحية ووالله لأنتم أفضل مني واسمى وأكمل، ولذا فأنا اطلب منكم العون لأعالج نفسي.

في البداية لم يصدّقوا ولم يقتنعوا لكني بقيت اوضح لهم وأقسم حتى آمنوا وصدّقوا بما أقول.

وكان فيهم شخص أعرف فيه الفراسة فأراد أن يستفيد من هذه التجربة فقال: والآن حدّثنا كيف أقنعت نفسك بالتخلي عن الكبر فارتضت التواضع؟

قلت له: بالأمس عنفتني نفسي اللّوامة قالت: انك بهذه التصرّفات تنازع رداء الله عز وجل.. ألم تسمع ما قاله الامام الباقر عليه السلام: **«العز رداء الله والكبر ازاره فمن تناول شيئاً اكبّه الله في جهنم»**[1].

---

(١) بحار الانوار ٧٠ / ٢١٣ ح٢.

ثم قالت لي: لأنت أذل وأضعف حتى أمام الشيطان ونفسك الأمارة بالسوء فلم تستطع الاستقامة ومن لم يستطع الاستقامة فلا شأن له ولا قيمة.

ثم ألم تسمع قول الله عزوجل: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ * مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ * مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ * ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ * ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ﴾[1].

وقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**عجبت لابن آدم أوله نطفة وآخره جيفة، وهو قائم بينهما وعاءً للغائط ثم يتكبّر**»[2].

ومن ذلك اليوم وأنا افكر في مكافحة صفة التكبّر من روحي، والحمد لله اصبحت أتواضع كثيراً للناس يعني أكون أول من يبادر للسلام والتحية ولا اسمح لأحد أن يقبّل يدي وكنت أطلب من الجميع الدعاء لي وأنه لولا عفو الله ورحمته لكنت من الخاسرين، ومثل هذه الأمور تقضي على نزعة التكبر وتقضي عليها.

---

(١) سورة عبس: الآيات ١٧ ـ ٢١.

(٢) بحار الانوار ٧٠ / ٢٣٤ ح٣٣.

الحب والاشتياق

قال لي معلمي:

ذات يوم جاء أحد الطلبة من الذين امتلأت قلوبهم بحب الله رأيت وجهه مخطوف اللون، وكانت ملامحه تكشف عن سهره ونعسه سألته: ما الذي حصل؟ قال: منذ ليالي وأنا استيقظ من النوم وقد نام الناس جميعاً فتهمل عيناي دموعاً وقد هاجني الشوق الى الله فأنا مشغول بذكره.

قلت له: واي ذكر تكثر من ترديده؟

قال: لا استطيع ذكر الحقيقة فأنا اكاد اجنّ فمثلاً أكرر مئات المرات: الله روحي! الله روحي! الله روحي! فجأة ينتشر غبار أمام عيني فأرى كلمة روحي ترتسم بخط مضيء فتشع مدّة حتى يغمى عليّ.

قلت له: روي عن الامام الصادق عليه السلام قوله: «**كان فيما ناجى به الله عز وجل يموسى بن عمران عليه السلام (الى أن قال له) ـ يا بن عمران ـ كذب من زعم انه يحبني فاذا جنّه الليل نام عني، اليس كل محب يحبّ خلوة حبيبه؟ ها أنا يابن عمران**»[1].

أجل كيف ينام العاشق والنوم على العشاق حرام

وجاء في الأخبار عن داود النبي عليه السلام: يا داود ابلغ أهل ارضي اني حبيب من احبني[2].

وقال الامام الصادق: «**المشتاق لا يشتهي طعاماً ولا يلتذ بشراب ولا**

---

(١) بحار الانوار ٦٧ / ١٤ ح٢.

(٢) المصدر السابق / ٢٦ ح٢٨.

يستطيب رقاداً ولا يأنس حميماً ولا يأوى داراً ولا يسكن عمراناً ولا يلبس ليناً ولا يقرّ قراراً ويعبد الله ليلاً ونهاراً راجياً أن يصير الى ما اشتاق اليه ويناجيه بلسان شوقه معبراً عما في سريرته»[1].

وقابلت رجلاً آخر من أولياء الله فسألته: كيف أنت مع حب الله؟

قال: أحبه كأقوى ما يكون.. أودّ لو أدور في الشوارع والازقة واهتف بحبه وادعو الناس الى حبّه.

قلت: هذا عمل الانبياء فهم يدعون الناس الى حب الله.

قال: اننا انبياء اذا احببنا الله.

قلت: فما تصنع بهذا الشعر:

من علموه اسرار الحق ختموه وخاطوا فمه[2]

فسكت ولم ينبس بكلمة.. ثم رأيته بعد أيام فسألته عن حاله.

قال: منذ أيام وأنا أطلب من الله أن يأخذني من هذه الدنيا. يحلّ عني القيود والأغلال ويمنحني لقاءه والعودة اليه[3]. ان حبّي له يفقدني الصبر وما الدنيا الّا أساس الغفلة والنسيان فهي تبعدني عن محبوبي.

قلت له: أنت لم تنضج بعد وما يزال أمامك الكثير في مدرسة العشق الالهي.

وقد روى الامام الصادقعليه السلام عن جدّه رسول اللهصلى الله عليه وآله عن جبرئيل عن الله عزوجل قوله: «**ما تحبب اليّ عبدي بشيء أحب اليّ مما افترضته عليه**».

وجاءني ذات يوم شاب وكان مغموماً لأنه لم يجعل كل حبّه لله[4] فيحبّه وحده قال لي: ماذا افعل لكي اجعل كل حبّي لله؟

فخطر في بالي قول الله عز وجل لداود: «**احببني وحببني الى خلقي**.

---

(١) بحار الانوار ٦٧ / ٢٤ ح١٤.

(٢) من أشعار حافظ.

(٣) سورة الجمعة: الآية ٦.

(٤) بحار الانوار ٦٧ / ٢٢ ح٢١.

قال يا رب نعم أنا احبك فكيف احبّبك الى خلقك؟ قال: اذكر ايادي عندهم فانك اذا ذكرت ذلك لهم أحبوني»[(١)].

هو الله الذي خلقنا من العدم، وهو الذي ارسل الينا الانبياء معلمين ومرشدين؛ هو الله الذي يحفظنا من شرور الدنيا وهو الذي نقصده في حاجاتنا وأنزل الينا القرآن هدى ورحمة وهو الذي يعفو عن ذنوبنا وخطايانا ووهبنا العقل والبصيرة فكيف يمكننا الّا نحبه ونعشقه؟

قال لي معلمي:

كثيرون سمعوا انني على اطلاع قليل في علم الاخلاق وتزكية النفس فكانوا يفدون عليَّ ويطلبون مني الارشاد غير أنني لا أجيب إلّا من أجد في قلبه الحب فالطريق إلى الله طريق مليء بالأخطار، يتطلب الحركة واليقظة والصبر وطريق الكمال لايسلكه إلّا العاشقون الوالهون.

ومحال على غير هؤلاء أن يبلغوا مقام أهل المعرفة ويكونوا من أولياء الله عز وجل، ولقد جرّبت في حياتي ان أهل الحب حتى المجازي منه هم وحدهم الذين يسلكون طريق الكمال، أما الذين يركنون إلى حياة الدعة والراحة وليسوا من أهل العشق، فإنهم حتى لو كانوا من أهل العبادة فهمهم الراحة يوم المعاد، فهم لا يحملون في قلوبهم هموم الكمال.

والعاشق المبتلى بالعشق المجازي ينطوي على صفة السلوك الكبرى لكنه لم يجد الذي يكشف له عن المحبوب الحقيقي ويرشده إليه، فهو ينطوي على طاقة العشق لكنه يخطىء في المصداق.

أما الذي لا تتوهج في أعماقه جذوة الحب، فهو يفتقد هذه الصفة التي تضعه في طريق الحب الالهي.

ومن لا يجد في اعماقه جذوة الحب، فهو لا يكترث لكل شيء حوله وهو في الحقيقة جثة تتحرك بين الاحياء.

لفترة طويلة كان همي أن أقدم النصح لبعض الشبان وادعوهم لحب الله. وعندما كنت اسمع بشاب مبتلى بحب مجازي كنت اذهب على الفور

---

(١) بحار الانوار ٦٧ / ٢٢ ح١٩.

وادعوه إلى الحب الحقيقي.. ربما لا يسمع مني في البداية لكني استمر في دعوته إلى أن يستجيب..

والآن اصغ إلى هاتين الحكايتين فهما تكشفان لك جانباً هاماً من هذه المسألة.

حدثني أحد الاولياء ـ وكنت قد تتلمذت على يديه سنوات ـ عن قصّة وقعت له فقال:

ذكر لي والديّ انني ومنذ طفولتي كنت ودوداً آنس بالناس جميعاً وابدي لهم المحبّة لكني لا أذكر الّا ما حصل لي يوم كنت في التاسعة عشرة من العمر.

غادرت مع والديّ موطني متوجهين الى مشهد لزيارة المرقد الطاهر للامام علي الرضا‌عليه‌السلام.. جلس والديّ في المقاعد الامامية.

وعندما تحركت بنا السيارة صوب مشهد لتقطع المسافات الطويلة نهضت من مكاني مدفوعاً بقوة الحبّ للناس ورحت ادور عليهم ملبيّاً حاجاتهم اجلب الماء لمن يريد الماء وقد يطلب أحدهم من السائق شيئاً فلا يبلغ صوته فأحمل رسالته، اليه وهكذا لأي شيء يطلبونه وكانت هناك فتاة كقرص الشمس تشعّ بهاءً وجمالاً وكان وجهها المضيء يظهر تارة ويختفي أخرى خلف «الشادور» كشمس تحجبها الغيوم حينا ثم تشرق حينا آخر.

كانت تجلس خلفي،وشدهت لشدة حسنها حتى انني احسست بأن طاقة الحبّ التي انطوي عليها تتمركز كلها هنا خلف هذا الشادور.

ولكن ماذا بوسعي أن أفعل غير الجلوس في مكاني والتفكير في وسيلة للتحدث اليها.. وبرقت في ذهني فكرة ان اسألها ما إذا كانت تحتاج شيئاً وهذا ما فعلته..

وكم سعدت عندما اجابت: نعم اريد قدحاً من الماء لو سمحت.

وشعرت ان حبي لها يتضاعف وأنا اسلمها القدح.. وشرعت الدموع تتجمع في اعماقي ثم تصّاعد لتتفجر من عيني مدرارة.. لا اريد أن أشرح

لك هنا لماذا يبكي العاشقون، وأي داء هو الحب وماذا يصنع بصاحبه! يكفي أن أقول لك ان جميع المسافرين ادركوا اني وقعت في حب تلك الفتاة، من حسن الحظ اننا اقتربنا من مشهد.. وكنت لا انفك عن البكاء بصمت.

ادرك والديّ قصتي ولذا أرادا أن يصنعا لي خيراً فبدءا ينسجان علاقة مع والدي الفتاة. ومن حسن الحظ أيضاً انّ أسرة الفتاة تقطن مشهد ولذا دعتنا الأسرة الى منزلهم.

والذي حصل لي في الأيام الاربعة الاولى أن وزني نقص خمسة كيلو غرامات.

كنت امضي الوقت من الصباح وحتى الغروب أحوم حول منزلها وعندما آوي الى فراشي وبمجرد أن أغمض عيني تتجسم صورتها أمامي فأبكي.

في ليلة وصولنا الى مشهد ظللت في مرقد الامام الرضا ساهراً حتى الصباح.

وكنت قد صادفت والدي الفتاة في تلك الليلة فجدّدا الدعوة وأكدا على حضوري وقالا إننا نحبك.

في الصباح وكان صباح الجمعة غلبني النعاس فغفوت ورأيت في عالم النوم شخصاً لا أعرفه وكان قلبي اصبح مصباحاً يضيء فأراد الشخص ان يوجه نور قلبي صوب السماء اعترضت وقلت لماذا تفعل ذلك؟

قال: من الحيف أن يشع باتجاه هذه الزاوية.

قال ذلك وأشار الى نقطة فرأيت تلك الفتاة بنفس الهيئة التي كنت رأيتها في السيارة.

مرّة أخرى أراد أن يوجه قلبي المضيء باتجاه السماء، فطلبت منه أن لا يفعل ذلك.

في هذه المرة قال: دعني اوجه قلبك نحو السماوات فان لم يرق لك ذلك اعدته الى حالته الأولى.

قلت له بشدّة: لست على استعداد أن تفعل ذلك لحظة واحدة انني اريده باتجاه هذه الفتاة!

لم يلتفت اليّ ولم يكترث وراح يوجه مصباح قلبي مستخدما قوته نحو السماء.. واتجه بصري باتجاه النقطة التي راح يشع اليها.. فجأة رأيت شيئاً لا استطيع وصفه رأيت الجمال المطلق والكمال المطلق..

وشدهت بكل ذلك الجمال المدهش ساعات وأنا انظر مأخوذاً فطلبت منه أن يثبت اتجاه المصباح بحيث لا تتغير زاويته الى الابد.

وفعل ذلك وهو يقول: ان اردت أن يستمر الاشعاع فلا تغفل عن صلاة الليل!

وتوسل بـ (بقية الله)، تحكم ببصرك ولا تعص ربك.

وماتراه اليوم من درجات الكمال التي بلغتها فبسبب اصغائي لنصح ذلك الشخص الذي رأيته في المنام.

حكاية أخرى: رأيت شخصاً ومن فرط خلوه من طاقة الحب أتصوره ميتاً يمشي بين الاحياء. سألته: ألا تحب شيئاً في حياتك؟ قال: كلا.. لم أحب شيئاً ولم أتعلق بشيء أحب فقط ان يساعدني الله وعباده.. العباد لتأمين دنياي وربي لتأمين حياتي في الآخرة.

وفي غير ذلك اكره جميع الاشياء.

قلت له: الناس يعدونك من العلماء واذا كان تفكيرك هذا صحيحاً فما معنى هذه الروايات؟

ورحت اروي له ما جاء في الأثر:

قال الامام الصادق عليه السلام: «**المحبّ في الله محبّ لله، والمحبوب في الله حبيب الله، لأنهما لا يتحابّان الّا في الله**»(١).

عن ابي عبدالله عليه السلام قال: «**كان فيما ناجى الله عز وجل به موسى بن عمران عليه السلام أن قال له: يا بن عمران: كذب من زعم انه يحبّني فاذا جنه الليل نام عنّي أَليس كل محب يحبّ خلوة حبيبه؟ ها انا ذا يا بن عمران**

---

(١) بحار الانوار ٦٦ / ٢٥١ ح ٣٠.

مطلع على احبائي إذا جنّهم الليل حوّلت أبصارهم من قلوبهم، ومثلت عقوبتي بين أعينهم. يخاطبوني عن المشاهدة ويكلّموني عن الحضور، يا بن عمران هب لي من قلبك الخشوع، ومن بدنك الخضوع، ومن عينك الدموع في ظلم الليل، وادعني فانك تجدني قريباً مجيباً»[1].

والى ذلك أشار الامام الرضا عليه السلام في قوله: «**كن محباً لآل محمد وان كنت فاسقاً ومحبّاً لمحبيهم وإن كانوا فاسقين**»[2].

عندما ذكرت له هذه الاحاديث قال: ادع الله لي أن يقذف في قلبي الحب والعشق فالحب لا يباع في الاسواق.

وصدق الرجل وفي رأيي أن أسوأ الامراض الروحية أن يفقد الانسان الحب.

ذلك أن اسوأ الصفات واقبحها تجعل المرء يندفع الى ضدها إذ يدفعه في ذلك الحب فالمرء الذي يفتقد هذه الطاقة فمشكلته مستعصية ولعل الله ينجيه إن استغاث بـ (بقية الله) روحي وأرواح العالمين لتراب مقدمه الفداء. وكرامة هذا الامام لدى الله لأجلّ من أن توصف.

---

(١) بحار الانوار ٧٩ / ١٤.

(٢) المصدر السابق ٦٦ / ٢٥٣ ح٣٣.

ضيق الصدر وفقدان الانشراح

قال لي معلمي:

من ألطاف الله عزوجل بعبده أن يهب الانشراح.. انشراح الصدر فيتحمل المرء الآخرين.

وقد عدّ الله سبحانه انشراح الصدر من نعمه الكبرى فقال مخاطباً رسوله محمدﷺ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝﴾[1].

ولذا فإن من الامراض التي ينبغي على السالك الى الله معالجتها هو فقدان الانشراح، ومن يشرح الله صدره فانه لا يغتاب حيث الغيبة من الكبائر.

وغياب الانشراح مصدر لكثير من الأمراض الروحية الأخرى.

قال لي معلمي:

ذات يوم كنت في مجلس ضم كثيراً من العلماء وكان الحديث ذا شجون وكان من بين الجالسين أحد علماء النفس سأل أهل المجلس قائلاً: لو أن الله سبحانه أحل أحد الذنوب والمعاصي وترك اختيار هذا الذنب لكم فأي الذنوب تختارون؟

فقال كل واحد شيئاً، وأجاب أحد الاولياء قائلاً: «إنني لن اختار أياً من الذنوب أبداً.. ذلك أن الانسان لو أدرك حقيقة المعصية وادرك مدى قبحها فأنه لن يجد في نفسه الميل لارتكابها».

ولم يجد كلام الرجل الصالح وقعاً حسناً لدى الآخرين. قال آخر:

---

(١) سورة الشرح: الآية ١.

أنا اختار «الغيبة» فأنا أحب ان اغتاب الناس كثيراً، فضحك منه بعض أهل المجلس وقالوا: أتترك الذنوب التي فيها اللذائذ وتختار الغيبة؟!

قال: أنا أقول الحقيقة انني أجد في الغيبة من اللذة ما لا أجده في غيرها!

كنت صامتاً وهمّي أن استفيد من الآخرين ولذا سألت ذلك الرجل الصالح الذي قال انه لن يختار اياً من الذنوب قلت له: كيف وصلت الى هذه المرتبة فلا تجد في الذنوب لذة؟

قال: اذا كان الانسان عبداً لله عز وجل وزالت عن روحه الحجب ووعى الضرر والنفع لأدرك معنى الدعاء الذي جاء فيه: «**اللهم أرنا الاشياء كما هي**»[1].

وفي هذه الحالة فانه يجتنب ما يضرّه سواء أحلّه الله أم حرّمه.

قلت: الموضوع الثاني الذي أردت سؤالك عنه هو لماذا اختار ذلك السيّد الغيبة ووجد فيها لذة له وترك سائر الذنوب؟!

قال: أرى من الأفضل أن نشركه في الحديث حتى لا يكون في حديثنا غيبة له.

استدعيته الى زاوية في المجلس وجلسنا نحن الثلاثة لنتحدث في هذا الموضوع.

قال الرجل بعد أن تجاذبنا أطراف الحديث: أظن ان علّة ذلك هو ما لحقني من الأذى من الناس، حتى تعقدت منهم فلا أجد اللذة الّا باغتيابهم والبحث عن سقطاتهم وفضحهم.. أعرف أن هذا مرض روحي وكم أود أن أشفى منه.. انني اعتقد فيكما الإخلاص والمحبة ولذا اطلب منكما العون لي.

قال الرجل الصالح: عندي لك وصفتان فإن عملت بهما نجوت.

---

(١) أمالي الصدوق / ٢٠٤.

الأولى: ان تعلم أن الأشرار من الناس ومنذ أن خلق الله آدم عليه السلام ينقمون على الانبياء والرسل والأولياء بل وينقمون حتى على الله عز وجل فأنت لست وحدك في هذا الأذى من الناس.. والمؤمن ممتحن وأن الله سبحانه يمنح عبده انشراح الصدر فلا يأبه لأذاهم.

وفي أيام دراستي كتب لي أحدهم رسالة ملأها شتماً وفحشاً وسلمها اليّ بنفسه، وقد استأت من ذلك كثيراً فلم أصبر وانطلقت الى المرحوم آية الله البروجردي وشكوت اليه ذلك واطلعته على الرسالة. فما كان جوابه الّا أن نهض وجاء لي برزمة من الرسائل وهي ملأى بالوقاحة ورأيت فيها ما انساني همّي وغمي وادركت ان الانسان مهما تسامى فمن الممكن أن يكثر عداء الناس له.

قال النبي صلى الله عليه وآله: «**المؤمن يعمل لله كأنه يراه فان لم يكن يرى الله فانّ الله يراه، وأن يعلم يقيناً أنّ ما أصابه لم يكن ليخطئه، وان ما أخطاه لم يكن ليصيبه**»[1].

قيل لابي عبدالله عليه السلام: «**من أكرم الخلق على الله؟ قال: من اذا أُعطي شكر، واذا أُبتلي صبر**»[2].

فهل سلم الانبياء والاولياء من أذى الناس، حتى الله سبحانه ما سلم من الاتهامات. وطبقاً للقانون الطبيعي الذي يقول: (البلية اذا عمت طابت) يتحمل الانسان المؤمن الاذى ولا يتململ منه «وقد قيل لأحدهم من أين تعلمت الأدب؟ قال من عديمي الأدب». فهو يسعى لأن يتحمل الناس بسعة صدر وطيب خاطر.

الثانية: ان تعلم أن الغيبة جهد العاجز وأن المغتاب يقوم بعمل يشبه أكل الانسان لحم أخيه ميتاً[3].

والقرآن وصفها بهذا الوصف المقزز لما فيها من هتك حرمات الناس

---

(١) بحار الانوار ٧٠ / ١٧٣.
(٢) بحار الانوار ٧٠ / ١٨٤ باب اليقين والصبر على الشدائد في الدين.
(٣) سورة الحجرات الآية ١٢.

وفضحهم وتمزق العلاقات الاجتماعية وهدر لكرامة الناس واستشراء الحقد والضغينة بين المغتاب وضحايا الغيبة.

ومن أضرار الغيبة أن يخسر المرء حسناته فتصبح من نصيب ضحايا الغيبة.

يقول أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام: «**من ذكر رجلاً من خلفه بماهو فيه مما عرفه الناس لم يغتبه، ومن ذكره من خلفه بما هو فيه مما لا يعرفه الناس اغتابه ومن ذكره بما ليس فيه فقد بهته**»[1].

(١) بحار الانوار ٧٢ / ٢٤٥ ح٦.

حــب الشــهرة

قال لي معلمي:

لا ادري لماذا يحب البعض الشهرة بالرغم من الاضرار التي تلحقهم بسببها، وغياب المنفعة من ورائها؟!

انهم يحبون أن يكونوا معروفين بين الناس والأعجب من هذا أن بعضهم مفتون بالشهرة الى حد يودّ أن يكون مشهوراً ولو بالصيت السيء، فهم يتباهون بمعروفيتهم بين الناس.

وهذا مرض ولا ريب.. مرض نفسي يجب علاجه خاصّة لمن يريد السير الى الله وأن يبلغ الحقيقة والحق.

ذات ليلة رأيت في عالم الاطياف نفسي في حضرة «بقية الله» روحي فداه وطلبت منه ان أحظى بقربه قلت له: أريد أن اكون معك يا سيدي دائماً.

قال لي: لا. لأنك أصبحت مشهوراً ومعروفاً بين الناس، ولو أخذتك معي لحدثت ضجة بين الناس وتساءلوا: ماذا جرى لفلان؟ وهذا لا ينسجم مع خطّي، ولو كنت في مثل زمان طفولتك غير مشهور بين الناس لاصطحبتك معي.

قال لي أحد العلماء: منذ بداية حياتي وأنا لا أعمل عملاً الّا كان نصفه من أجل الشهرة.. أريد أن أكون معروفاً يعرفني الناس، والآن وقد بلغت مرادي ادركت ان أسوأ الاشياء أن يكون الانسان معروفاً ومشهوراً.. لأن الانسان المشهور يخسر فيما يخسر حرّيته... وسيقصده الناس بما لا يُحتمل ولا يطاق والاسوأ من كل هذا أن هذه الشهرة ستكون سدّاً في

طريق تكامله الروحي وسترّسخ حب الجاه في نفسه.

ولذا اذا أراد المرء ان يطوي طريق التكامل بحرّية، فعليه أن يبتعد عن حب الشهرة منذ شبابه ولا يدع للشهرة طريقاً تسلكه اليه.

وقد قال الامام الصادق عليه السلام لمعروف الكرخي: «**أقلل معارفك**»[1].

(١) مجمع البحرين مادة معروف الكرخي.

الحسد

قال لي معلمي:

كان لي صديق يفوقني فضلاً وقابلية وذاكرة وهنداماً وأخلاقاً وثروة وخلاصة يفوقني في كل شيء.. وكنت أرافقه في كل محفل ومجلس، ومن الطبيعي أنه كان يشدّ اليه الانظار وهذا ما يضطرني الى احترامه، ثم اكتشفت شيئاً فشيئاً مشاعر الحسد في نفسي تجاهه.

لهذا بدأت أقلل ثنائي له ومدحي اياه، بل لو أن أحداً مدحه أمامي فإني اشعر بعدم الارتياح وهكذا كنت مدّة من الزمن.

وتدريجياً بدأ الحبّ الذي كان في قلبي تجاهه يستحيل الى عداء وبدأت لا أطيق رؤيته سعيداً فارغ البال بل واصبحت لا أطيق رؤيته على الاطلاق!

وهنا انتبهت الى أنني مريض روحياً وأنني اصبت بمرض يصعب علاجه هو مرض الحسد..

وحزمت حقيبة السفر فوراً وكان علي أن اطوي المسافات الطويلة الى حيث يقطن استاذي.

وعندما وصلت هناك عرضت عليه علّتي فقال لي: حسناً فعلت لأنك بادرت الى العلاج.. يتوجب عليك أن تمكث هنا ثلاثة أيام حتى أهيىء لك وصفة العلاج.. فعلاجك يكمن في روايات عن أهل البيت في هذا المرض الخطير سأجمعها لك.

وها أنا سأروي لك ما حدثني به استاذي فقد ينفعك في حياتك الروحية.

ولا أنسى أن اذكر لك أنه حثني على الاكثار من قراءة سورة (الفلق) خاصّة عندما اتقابل وجهاً لوجه مع صديقي المحسود، وأن ابادر الى تأييد مدح المادحين له وأن اشيد به باستمرار وأن اتنزل له واتواضع في حضرته..

وفي تلك الأيام الثلاثة جمع لي باقة من احاديث أهل البيت من كتاب بحار الانوار اذكر لك بعضها:

١ ـ الامام الباقر عليه السلام: **«وان الحسد ليأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب»**[١].

٢ ـ الامام الصادق عليه السلام: **«آفة الدين الحسد والعجب والفخر»**[٢].

٣ ـ رسول الله صلى الله عليه وآله: **«قال الله عزوجل لموسى بن عمران: يا بن عمران لا تحسدنّ الناس على ما آتيتهم من فضلي ولا تمدنّ عينيك الى ذلك ولا تتبعه نفسك فان الحاسد ساخط لنعمي صاد لقسمي الذي قسمت بين عبادي ومن يكن كذلك فلست منه وليس مني»**[٣].

٤ ـ لقمان الحكيم لابنه: **«للحاسد ثلاث علامات يغتاب اذا غاب ويتملّق اذا شهد ويشمت بالمصيبة»**[٤].

٥ ـ الصادق عليه السلام: **«لا راحة لحسود»**[٥].

٦ ـ **«ولا لحسود لذة»**[٦].

٧ ـ الامام علي عليه السلام: **«صحة الجسد من قلّة الحسد»**[٧].

٨ ـ **«ما رأيت ظالماً اشبه بمظلوم من الحاسد، نفس دائم وقلب هائم وحزن لازم»**[٨].

---

(١) بحار الانوار ٧٠ / ٢٣٧ ح١.
(٢) المصدر السابق / ٢٤٨ ح٥.
(٣) المصدر السابق / ٢٤٩ ح٦.
(٤) المصدر السابق / ٢٥١ ح١١.
(٥) المصدر السابق / ٢٥٢ ح١٢.
(٦) المصدر السابق.
(٧) المصدر السابق ٢٥٦، ح٢٨.
(٨) المصدر السابق ح٢٩.

٩ ـ «يكفيك من الحاسد انه يغتم في وقت سرورك»[١].

١٠ ـ لقمان الحكيم لابنه: «اياك والحسد فانه يتبيّن فيك ولا يتبيّن فيمن تحسده»[٢].

ومضت الايام الثلاثة وشعرت انني استأصلت المرض من جذوره فقد هزتني احاديث أهل البيت واضاءت روحي المعذبة فعدت الى موطني معافى.

(١) المصدر السابق ٢٥٧، ح٢٩.

(٢) المصدر السابق ٢٥٧ ح٢٩.

البخل

قال لي معلمي:

كنت معسراً في بداية حياتي ولأني فقير لا أعرف معنى التوكل فقد ابتليت بمرض البخل الخطير..

كنت ولمدة لا أتصور نفسي بخيلاً، بل أعدّ ذلك قناعة وتدبيراً للمعاش ولهذا كنت أرفض الانفاق على أي أحد وكنت اسعى في جمع النقود ليوم الحاجة والعوز.

ولكن ذات ليلة انتبهت الى ان مرض البخل مثل السرطان بدأ يستشري في كل وجودي وأن جذوره بدأت تكبلني وتمنعني من إبداء قدر من الجود والكرم والسخاء.

أصل القضية

كانت تلك الليلة ليلة جمعة وكنت قد قرأت دعاء كميل وغمرتني حالة من البكاء.. رجوت الله العفو عن ذنوبي ورفع الحجب عن روحي لأبلغ درجة الفناء في الله والوصول الى الكمال الروحي.

فجأة وقعت عيناي على مبلغٍ من النقود كنت قد عزلتها لطعام اليوم التالي من غداء وعشاء.

وكان هناك طالب حجرته قريبة من حجرتي، فطرق عليّ الباب وعندما دخل الحجرة قال انني بحاجة الى مبلغ من النقود وذكر لي المبلغ نفس الذي وضعته على الرف.

في البداية تصورت انه طمع بالمبلغ بعد أن وقعت عيناه على الرف،

وكان هذا سوء ظن مني، وفي كل الأحوال لم يسمح لي البخل واعتذرت اليه قائلاً: وأنا ايضاً ليس عندي ما تحتاج من النقود..

فغادر الحجرة دون أن ينبس بكلمة واحدة.. وقتها ادركت اني مصاب بمرض البخل وان هذا المرض قد يقضي عليّ ولذا بادرت في الليلة نفسها الى مطالعة ما جاء عن البخل في كتاب بحار الانوار، فاذا بي اواجه هذه الاحاديث:

الامام الصادق: «**إن كان الخلف من الله عز وجل حقاً فالبخل لماذا؟!**»[1].

النبي الاكرمﷺ: «**اقل الناس راحة البخيل**»[2].

الامام الصادقعليه السلام: «**عجبت لمن يبخل بالدنيا وهي مقبلة عليه، أو يبخل بها وهي مدبرة عنه، فلا الانفاق مع الاقبال يضرّه، ولا الامساك مع الادبار ينفعه**»[3].

النبي الاكرمﷺ: «**قال الله عزوجل: حرمت الجنّة على المنّان والبخيل والقتّات**»[4].

النبي الاكرمﷺ: «**ما محق الايمان محق الشح شيء**»[5].

«**خصلتان لا تجتمعان في مسلم: البخل وسوء الخلق**»[6].

الصادقعليه السلام: «**شاب سخي مرهق في الذنوب احب الى الله عز وجل من شيخ عابد بخيل**»[7].

أمير المؤمنين عليعليه السلام: «**البخل عار**»[8].

---

(١) بحار الانوار ٧٠/ ٣٠٠ ح١.
(٢) المصدر السابق ح٢.
(٣) المصدر السابق ح٣.
(٤) المصدر السابق/ ٣٠١ ح٦.
(٥) المصدر السابق ح٨.
(٦) المصدر السابق ح٩.
(٧) المصدر السابق ح٣٤.
(٨) المصدر السابق ح٣٦.

الصادق: «**خياركم سمحاؤكم وشراركم بخلاؤكم ومن خالص البرّ بالاخوان السعي في حوائجهم**»[1].

الصادق عليه السلام: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: البخيل بعيد من الله بعيد من الناس قريب من النار**»[2].

وعندما تأملت في هذه الروايات انتبهت الى نفسي واستغفرت الله عن كذبي على ذلك الطالب المحتاج.

وبكيت وتوسلت بـ«بقية الله» روحي فداه فلعل الله يشفيني من هذا المرض.

وشعرت بقوّة تدفعي للنهوض وأن آخذ النقود الى ذلك الطالب واعتذر اليه..

ثم تعلمت شيئاً آخر انه كلما واجهت في حياتي معضلة انفقت في سبيل الله مما رزقني.

في البداية كان ذلك شاقاً عليّ ولكنَّ عزماً في نفسي كان يدفعني للصراع مع هذا المرض.. ورحت انفق حتى في أيام العسر.. بحيث كنت ابيع بعض كتبي.

وقد لامني بعض الاصدقاء على ذلك وقالوا ان في هذا الانفاق إشكالاً وانك تبسط يدك كل البسط والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾[3].

غير أني كنت أفعل ذلك من أجل اقتلاع البخل من جذوره وكما قيل في الامثال: أُري نفسي الموت لترضى بالحُمىّ.

ولا تظن أني فعلت ذلك من نفسي بل هو ما أشار عليّ به استاذي وكان قد أكد على انه اذا أردت معالجة مرض ما فقم بما يخالفه ويناقضه لأن ذلك يعالج المرض من أساسه وينفي الصفة القبيحة من النفس.

---

(١) المصدر السابق ح٣٤.

(٢) المصدر السابق ح٣٩.

(٣) سورة الاسراء: الآية ٢٩.

وهكذا بقيت مستمراً على ذلك عدّة شهور حتى شعرت بأن ذرّة من صفة البخل لم تبق في روحي ونفسي.. حتى انه اهداني أحدهم مسبحة ثمينة جداً لكني أعطيتها لوليّ من الاولياء لم تكن لديه مسبحة، كما قمت بامتحان نفسي واختبارها فرأيت بحمد الله اني قد شفيت وعوفيت وأن صفة البخل في نفسي استحالت الى سخاء.

ولا أنسى أن اذكر لك انني طالما كنت أنوح في الليالي واردد هذا الذكر: «**اللهم قني شح نفسي**»[1].

وهذا الدعاء تعلمته من رواية تقول إن أبا قرة رأى الامام الصادق عليه السلام يطوف حول الكعبة في جوف الليل حتى الفجر وكان يردد اللهم قني شح نفسي وعندما سأله عن سرّ ذلك قال له الامام وهل هناك ما هو أسوأ من البخل في نفس الانسان وقد قال الله تعالى: ﴿ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[2].

---

(١) تفسير البرهان / تفسير سورة التغابن الآية ١٦ وسورة الحشر الآية ٩.

(٢) سورة التغابن الآية ١٦، وسورة الحشر: الآية ٩.

الخيانة

قال لي معلمي:

ذات يوم انقطع رسن حصان فدخل منزلاً لأحد الاثرياء وكان هناك بيت زجاجي جمعت فيه الورود والازهار النادرة فعبث بها الحصان واكل بعضها وحطم مزهريات كثيرة، وكنت حاضراً في المنزل اذ طلب مني صاحبه أن اتحدث في موضوع أخلاقي فقلت:

ان هذا الحيوان له صفة وهذه الصفة هي التي جعلته يعبث بالزهور ويأكل الورود، وهذه الغريزة الحيوانية أودعها الله سبحانه فيه وفي الانسان أيضاً وتدعى «غريزة جلب المنافع».

وهذه الصفة يضبطها الدين ويسيطر عليها العقل فلا تتجاوز حدودها وحقوقها فيكون الانسان قد زكى نفسه من صفة حيوانية.

ولكن لو حصل العكس فتجاوزت هذه الصفة الحدود واعتدت على حقوق الآخرين حيث تدفع الانسان بدافع جلب المنفعة، فلا تفرق بين الحلال والحرام وما لها وما ليس لها اصبح الانسان خائنا في نظر العقلاء.

ويجب على الانسان الذي يروم السلوك الى الله وبلوغ مرحلة الفناء في الله أن يتخلص من هذه الصفة ويزكي نفسه منها.

وطريق العلاج من هذا المرض الروحي هو تعزيز الايمان وأن يعلم المرء أن الله سبحانه ورسوله والائمة الاطهار من آله والمؤمنين يرون اعماله والاحترام يوجب عليه ألّا يخون الله والرسول.

وأن عليه أن يجعل هذه الآيات الكريمة ورده الدائم من أجل مكافحة هذه الصفة الحيوانية! قال تعالى:

﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾[2].

---

(1) سورة التوبة: الآية ١٠٥.

(2) سورة الفجر: الآية ١٤.

الحياء

قال لي معلمي:

الحياء هو امتناع الانسان عن الفحش في القول والعمل أمام الناس، وكذا احترام حقوق الآخرين ومراعاة الأدب في حضورهم، ومن ليست فيه هذه الحالات كان عديم الحياء.

فالذي لا يرعى حقوق الناس كان عديم الحياء، والذي لا يرى لله وقاراً هو عديم الحياء.

والمسلم من آمن بالله ورسوله وآمن ان الله ورسوله والمعصومين يشهدون اعماله بل وما يموج في خاطره فإذا كان كذلك ثم ارتكب عملاً سيئاً كان عديم الحياء.

أما الذي لا يستطيع استرداد حقه أو الدفاع عن حقوق الآخرين فهو خجول، والذي يتلعثم اذا تكلم ويرتبك اذا تحدث أمام الآخرين فهو خجول وليس ذلك من الحياء.

قال لي معلمي:

ذات يوم كنت في مجلس ضم جمعاً من العلماء وذوي الشأن وكانت مناسبة جعلتني احضر المجلس ذلك.

وكان من بين الحاضرين عالم أصغر الحاضرين سناً وأكثرهم بهاءً واشراقاً اقتربت منه لأعرف الصفة التي جعلته محلاً لألطاف الله فبلغ من المهابة ما بلغها؟

تعرفت عليه منذ سنوات وكان فيه من الصفات الطيبة الكثير، ولكن اعظم ما فيه حياؤه.. هذا الحياء الذي حصّنه من الوقوع في الذنوب وجعله موفقاً في رعاية الآداب الاجتماعية.

فلم يحدث ولو مرّة واحدة أن ارتكب ما يخدش حياءه بل كان متسامياً في علاقاته الاجتماعية وفي سلوكه بين الناس.

جلوسه كان جثواً على ركبتيه مركزاً نظره في نقطة واحدة فلا يلتفت يمينا ولا شمالاً.. في كفه منديل ابيض ناصع البياض، فإذا سعل او عطس وضع المنديل على فمه ليخفف ما استطع من صوت سعاله وعطاسه.. وكان نظيفاً جداً..

فاذا تحدث ابتسم ونظر باحترام عميق الى من يتحدث اليه.

حتى الكلمات التي تخرج من فمه كانت محسوبة ومنتقاة بعناية فهو لا يلغو في حديثه.. لا يمزح كثيرا ولا يذكر انساناً بلقب سيء بل انه يضفي على محدثه القاباً تدخل البهجة في قلبه.

يبادر لتحية من يصادفه ويفشي السلام يعني يسلّم بصوت مرتفع. لا يحدّق في وجه محدّثيه وينطبق عليه وصف الفرزدق الشاعر للامام السجاد في قوله: يغضي حياءً ويغضى من مهابته .. فلا يكلم الا حين يبتسم.

وكان لا يتخفف من حلته الرسمية أمام أي انسان تدانى في منزلته الاجتماعية؛ يعني أنه يحترم انسانية الانسان لا مقامه ونفوذه الاجتماعي.

وسلوكه هذا اصبح ملكة من الملكات وعادة من العادات وطبعاً من طباعه ما ارتكب شيئاً خالف العرف فيه أو خدش في مروءته ..

وقد وصل به الأمر انه اذا سافر الى قرية أو مدينة ولم يكن لديه اطلاع على آداب وعادات تلك القرية أو المدينة سأل أهلها.

وكان ايمانه بالله راسخاً وقد منعه الحياء من خالقه وربّه أن يعصيه أو يرتكب ذنباً في حضرته مهما تضاءل في صغره.

وحياؤه هذا جعلني اعتقد فيه الايمان الكامل، ذلك ان حياءً بهذه

الدرجة لا يصدر الّا عن ايمان كامل، وقد جاء في الروايات عن الامام الصادق عليه السلام قوله: «**الحياء من الايمان والايمان في الجنة**»[1].

«**والحياء من الايمان**» جملة طالما نجدها متكررة في الروايات بهذا المضمون فالذي لديه صفة الحياء، يعني انه ينظر الى الله ببصيرة من قلبه فهو يرعى حدود الأدب في رحاب الله.

ولهذا لم يكن يرتكب ذنباً لا في خلوة ولا أمام الناس؛ رحمه الله وحشره مع الاولياء والصالحين.

وها أنا أقول لك ان استطعت ان يكون لك حياء كهذا الحياء فبادر اليه ولا تتأخر، لأنك بهذا تكون قد قطعت خطوة كبرى في طريق تزكية النفس.

---

(١) بحار الانوار ٦٨ / ٣٢٩ ح١.

الاسراف

قال لي معلمي:

كان لي صديق تاجر من تجار طهران وكان رجلاً طيباً محسناً. تبرع مرّة بعشرات الملايين لبناء مستشفى وملايين أخرى انفقها على طبع ونشر الكتب الدينية.

ذات يوم اجتمعت معه ومع اثنين من الاصدقاء وكنا قد عقدنا العزم على الذهاب الى مسجد جمكران، كنا اربعة والسيارات التي عادة ما تنقل المسافرين تتسع لخمسة اشخاص؛ قال التاجر اسمحوا لي بتحمل النفقات ما دمت معكم، رفضنا ذلك ولكنه أصرّ على تحمل النفقات فوافقنا على مضض.

فقد اتخذنا أماكننا في السيارة والتفت السائق ينتظر الأجرة، ودفع التاجر الاجرة وكانت توماناً واحداً عن كل شخص قال السائق اذا حسبتم أجرة الشخص الخامس سنتحرك في الحال، والّا عليكم انتظار مسافر خامس ليكتمل النصاب.

قال الرجل الطهراني التاجر: لسنا في عجلة من أمرنا ننتظر حتى يأتي مسافر تعجب السائق وكذا نحن ايضاً ولم نكن نتوقع من التاجر هذا الكلام وقال أحد الاصدقاء للسائق: سأدفع لك أجرة الخامس.

تدخلت وقلت: الأفضل أن ننتظر كما قال صديقنا وفي هذه الأثناء لمحنا احد الطلبة يتقدم صوبنا وكان يحث الخطى حتى لا تفوته السيارة.

وهكذا انطلقت بنا السيارة تنهب الطريق نحو مسجد جمكران.

وحتى لا تنطبع صورة سيئة عن التاجر في الاذهان رحت اعدد بعض مآثر التاجر الطهراني.

قال السائق: ان رجلاً يفعل ما يفعل من الخيرات وينفق ما ينفق كيف يبخل بتومان واحد من أجل الوصول الى مسجد في وقت أقل؟!

وهنا تدخل التاجر وامسك بطرف الحديث فقال: اتظن يا أخي ان الله منحني هذه الثروة ولن يحاسبني عليها؟.. هذه الثروة أمانة في يدي وسيحاسبني الله عليها.. سيسألني عن كيفية انفاقها.. اسأل هؤلاء وهم علماء ألم يأت في الروايات أن في حلالها حساب؟ فبماذا أجيب اذا سألني الله سبحانه لم انفقت هذا التومان في غير ما ضرورة ولم تصبر حتى يأتي زائر آخر يقصد بيتي، ولو أنك صبرت كنت وفرت مالك ومنحت غيرك فرصة الزيارة.. نعم لقد انفقت الملايين في سبيل الخير ولكن كان الانفاق وفق حساب وكتاب، أما هذا التومان فلم أر له وجهاً في الانفاق سوى الاسراف.

قال لي معلمي: لقد استفدت من ذلك الحديث ايما استفادة وادركت ان الله سبحانه لا يمنح عباده ثروة سدى، وان هذا التاجر يعمل بهذه الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾[1].

وجاء في الروايات عن الامام الصادق قوله: «**ان القصد أمر يحبه الله عز وجل، وان السرف يبغضه حتى طرحك النواة**»[2].

وقال الامام الرضاعليه السلام مخاطباً أحد اصحابه: «**يرحمك الله اما تعرف ان الله عز وجل كره الاسراف وكره الاقتار**».

والاسراف هو الانفاق بلا حساب وبعثرة الأموال عبثاً، فهو صفة سيئة في النفس وعلى الانسان الذي يريد تزكية نفسه أن يتخلص منها وأن علاج هذا المرض أن يدرك الانسان أنه ليس المالك المطلق لما يملك

---

(١) سورة الفرقان: الآية ٦٧.

(٢) بحار الانوار ٦٨ / ٤٣٦ ح١٠.

وأنه مجرّد أمين على المال وهو محاسب عليه.

وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[1].

وقال عز وجل: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾[2].

---

(١) سورة الكهف: الآية ٤٩.

(٢) سورة الزلزلة: الآية ٨.

الحرص

قال لي معلمي:

الحرص هو تفاقم حس طلب الدنيا وتضخم الأماني الطويلة والاطماع.

ولكن هناك حرص ايجابي يتمثل في طمع الانسان في هداية اخوانه الى الطريق القويم، فهذا حرص حسن يسهم في تكامل نفس الانسان الحريص.

ومثل هذا الحرص من ابرز صفات سيدنا محمدﷺ وقد ورد في القرآن الكريم ثناء على النبي فقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

غير أن الحرص اليوم اذا ما اطلق على شخص، فان الذهن ينصرف الى المعنى السلبي منه وهو التهالك على الدنيا فهذا مرض روحي.

قال لي معلمي:

كان شاب ظل يتردد علي صباحاً كل يوم وكان يسألني النصيحة والموعظة وكنت احدثه عن بعض الروايات والاحاديث وكان يصغي الي ثم ينهض على عجلة من أمره وينصرف.

---

(١) سورة التوبة، الآية ١٢٨.

وذات يوم رويت لـه احاديث عن الحرص منها: قول الصادق عليه السلام: «**ان كان الرزق مقسوماً فالحرص لماذا؟**»[1].

وقوله عليه السلام: «**قال النبي صلى الله عليه وآله: اغنى الناس من لم يكن للحرص اسيراً**»[2].

وسأل رجل شامي أمير المؤمنين عليه السلام: أي ذلّ أذلّ؟

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «**الحرص على الدنيا**»[3].

وعن النبي صلى الله عليه وآله قال: «**يهرم ابن آدم ويشبّ منه اثنان: الحرص على المال والحرص على العمر**»[4].

وفي هذه المرة قال الشاب: اريد أن تشرح لي هذه الأحاديث لأعرف معنى الحرص المذموم.

فقلت: ان الرزق مقسوم في الدنيا ومقدر.. ولكل انسان رزقه بل لكل كائن من الكائنات رزق مقسوم قال تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾[5].

وهذا المعنى يزخر به القرآن الكريم في كثير من الآيات والمسلم المؤمن ينبغي أن يطمئن الى هذا الأمر، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى ان العمل والكدح من أجل المعيشة واجب كما الصلاة والصيام وهذه العبادات واجبات عينية، على الانسان اداؤها ولا يمكن لأحد أن يصلّي أو يصوم نيابة عن الآخر. أما الكسب والعمل فهو وإن كان واجباً عينياً فهو في حالة عدم قيام آخرين بهذا العمل ويؤدي ذلك إلى حصول ضيق في حياة الناس.

فالعمل واجب الهي والانسان يقوم به اداءً للتكليف، وأما الرزق فهو يأتي من الله سواء بسبب هذا العمل أو من طريق آخر. واذا كان الامر

---

(١) بحار الانوار ٧٠ / ١٦٠ ح١.

(٢) المصدر السابق ح٢.

(٣) المصدر السابق/ ١٦١.

(٤) المصدر السابق/ ح٧.

(٥) سورة الذاريات الآية ٢١.

كذلك فلماذا الحرص على جمع المال والتهافت على الدنيا؟

قال الشاب: ماذا يفعل الانسان المبتلى بهذا المرض لكي يشفى؟

وبصراحة أنا مصاب بهذا المرض.. بل انك حدثتني قبل أيام عن حب الدنيا وكنت الوم نفسي على ذلك وأريد أن اتخلص من ذلك، ولكن شيطاني يمنعني ويسد عليّ الطريق، بل ويشوش على فكري.

قلت له: أقرا سورة التكاثر ورددها باستمرار واطلب من الله سبحانه أن يشفيك؛ واقرأ ايضاً سورة القيامة مرّة واحدة في كل يوم على الأقل وتأمل في معانيها ومراميها.

واصغ الى سيدنا الصادق في قوله: «**لا تحرص على شيء لو تركته لوصل اليك، وكنت عند الله مستريحاً محموداً بتركه ومذموماً باستعجالك في طلبه وترك التوكل عليه والرضا بالقسم، فان الدنيا خلقها تعالى بمنزلة ظلك: ان تبعته اتعبك، ولا تلحقه ابداً وان تركته تبعك وانت مستريح**»[١].

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾[٢].

---

(١) بحار الانوار ٧٠ / ١٦٥ ح٢٦.

(٢) سورة الروم الآية ٤٠.

الطمع

قال لي معلمي:

ذات ليلة وقد أدّيت نافلة الليل رحت اردد آية النور: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ...﴾.

ورحت أتأمل في أغوارها.. فجأة انزاحت الحجب عن عيني ورأيت جمعاً من الناس سكارى ورأيت آخرين يعذبون. وقال شخص موكل بعذابهم.. إن هؤلاء سكرى بشراب شيطاني وإنهم لن يفيقوا حتى يعذبوا بهذا العذاب.

سألته: وما هو شراب الشيطان هذا؟

قال: الطمع.. ومعنى الطمع أن يمدّ المرء عينيه الى مال الآخرين يريد الاستيلاء عليه بانتزاعه منهم!

يقول الامام الصادقعليه السلام: **«بلغني انه سئل كعب الاحبار ما الأصلح في الدين؟ وما الافسد؟ فقال: الأصلح الورع، والافسد الطمع. فقال السائل: صدقت ياكعب الاحبار. والطمع خمر الشيطان يستقي بيده لخوّاصه فمن سكر منه لا يصحو الّا في عذاب الله أو مجاورة ساقيه، ولو لم يكن في الطمع الّا مشاراة الدين بالدنيا كان عظيماً. قال الله عزوجل: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾»**[1].

(١) بحار الانوار ٧٠ / ١٦٩ ح٦.

ويقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**تفضل على من شئت فأنت اميره واستغن عمن شئت فأنت نظيره وافتقر الى من شئت فأنت أسيره**»[1].

فالطمع يسلب الانسان الايمان وهو لا يدري، ذلك أن الطمع يصنع هوّة وفاصلة بين الانسان وربّه.

لأن المؤمن من يعتقد بخزائن الله التي تملأ السموات والأرض فكيف يمدّ عينه ويطمع بما عند الآخرين؟

ثم ان الله سبحانه هو الرزّاق الكريم ورزقه حلال طيب، أما ما في أيدي الناس فقد اختلط غثه وسمينه، طيبه ونتنه.

فالايمان لا ينسجم مع الطمع لأن الايمان يخلق عند الانسان طمأنينة بما عند الله وقناعة بما رزقه الله.

يقول الامام السجاد عليه السلام: «**رأيت الخير كلّه قد اجتمع في قطع الطمع عمّا في أيدي الناس**»[2].

وقال الامام الصادق عليه السلام: «**ما أقبح بالمؤمن أن تكون له رغبة تذلّه**»[3].

قال لي معلمي:

من يريد القربى من الله والاقتداء بالائمة الاطهار فلا يمدنّ عينيه الى ما في أيدي الناس.

فالطمع يذل الانسان ويفسده ويقضي على التوكل الذي هو سند الانسان الوحيد في هذه الدنيا وبغيره يفقد الانسان شعوره بالطمأنينة والاستقرار.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق / ١٧١ ح ١٠.

(٣) المصدر السابق ١٧٠ ح٨.

القسوة

أعرف شخاصاً من القسوة بحيث لو عذب الناس جميعاً عذاباً أليماً حتى الموت لما تأثر لذلك أبداً.. وعندما تأملت في سيرته وسلوكه رأيته بهيئة حيوان كاسر قبيح المنظر.

وبلغ بي شعوري بالوحشة منه أنني لو كنت جالساً في مكان عام ثم مرّ بالقرب مني لوليت منه فراراً ولملئت منه رعبا.

وصادف أن تسنَّم هذا الرجل منصباً في مباحث أمن الدولة، فكان يمارس تعذيب البشر ومات تحت يديه بعض الابرياء فيما كان مصير الآخرين السجن لمدد طويلة.

يقول استاذي في درس الأخلاق: ان قسوة القلب هي حجاب من الظلمة بحيث يعيق حركة الانسان نحو الكمال ولا يدعه يخطو خطوة واحدة أبداً.

يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**لمّتان لمّة من الشيطان ولمّة من الملك، فلمّة الملك الرقة والفهم، ولمّة الشيطان السهو والقسوة**»(١).

وكان «فيما ناجى الله عزوجل به موسى عليه السلام: والقاسي القلب مني بعيد»(٢).

---

(١) بحار الانوار ٧٠ / ٣٩٧ ح٢.

(٢) المصدر السابق ٧٠ / ٣٩٨ ح ٣.

قال لي معلمي:

ان القسوة تنشأ بسبب بعض الاعمال اللانسانية، والاعمال التي تؤدي الى اضمحلال وتفاؤل حس الرحمة والشفقة.

وقد قيل مثلاً ان الصيد وقتل الحيوانات يولد حالة من القسوة، إذ يفترض في الصيد أن يتجاوز المرء آلام الحيوان قبل أن يلفظ انفاسه الاخيرة.

وأيضاً قيل ان منصب القضاء والحكم قد يفرز حالة من القسوة لأن القاضي مطالب بتجاوز ظاهرة بكاء وآهات أفراد الأسرة التي حكم على ربّها بالاعدام أو بحكم آخر شديد، وما الى ذلك من الامور التي تؤدي الى بروز القسوة في القلب.

ولذا فان تجاوز الألم الانساني والحيواني يؤدي شيئاً فشيئاً الى بروز القسوة في قلب الانسان، وباشتداد القسوة تضعف احتمالات استعادة حس الشفقة والرحمة والعاطفة الانسانية النبيلة.

ولكن لو أن المرء وهو يقوم بهذه الأعمال كالصيد مثلاً ويتأثر لآلام الحيوان الذي اصطاده غير أن وجود مبررات أخرى تدفعه الى ذلك كاشباع بعض الجياع وهم أيضاً لهم آلامهم، فان الآثار السلبية التي تنجم عن عملية الصيد تنتفي تماماً، ويحفظ الانسان بهذا عاطفته الانسانية.

وهذه المشاعر أعني التأثر لآلام الحيوان سوف تقلل من فكرة الصيد لبواعث ترفيهية.

فاذا كان قاضيا أو حاكماً ثم أراد اصدار حكم اعدام بحق انسان أو القاءه في السجن، فأنه سيتأثر لما سيحلّ بأسرة المحكوم بالإعدام أو السجن لكنّه في الوقت نفسه سيفكر بآلام المجتمع والمعاناة التي يتسببها وجود أحد المجرمين طليقاً. وستكون التضحية بآلام مجموعة محدودة جداً من البشر من أجل حفظ سلامة واستقرار المجتمع وهو مجموعة كبيرة جداً أمراً منطقياً، وسيحتفظ القاضي وفق هذه المشاعر بانسانيته.

واضافة الى كل ذلك فان هذا الصياد أو القاضي أو الحاكم سيكون دقيقاً في عمله وفي حالة خطئه مرّة فأن هذا الخطأ سيفجّر في نفسه الألم ومن ثم العزم على عدم تكرار ما حصل من خطأ في المستقبل.

قال لي معلمي:

كان لي صديق في أيام الشباب يذهب أحيانا للصيد في الصحراء قال لي يوماً: لنذهب معاً الى الصيد. قلت له: ان لي استاذا في الأخلاق يشرف عليّ، ويجب أن آخذ أذنه في هذا الموضوع.

قال: لا بأس.

وذهبت الى استاذي لكنه لم يأذن لي وقال: لأن صيد الحيوانات يؤدي الى القسوة، والقسوة تبعد الانسان عن الله وهي حجاب كثيف ينزل على قلب الانسان. أفتريد أن تضيف الى حجبك حجاباً آخر؟!

بالطبع أطعت استاذي واعتذرت الى صديقي.

قال الصديق وهو يحدثني عن إحدى رحلاته: أنت تدري أنني لا اذهب للصيد ترفيهاً. وقد اصبت مرة حيواناً في بطنه، وظل يجري مسافة طويلة الى أن سقط على الأرض وقد استغرقت في تتبع أثر الدماء فترة طويلة الى أن عثرت عليه وكان في الرمق الأخير فاستللت سكينا كانت معي وذبحته ليرتاح من الألم.وقتها بكيت من أجله لقد تعذب كثيراً وتألمت ولمت نفسي لأني لم أُحسن التهديف واصابته في مكان مؤثر في الحال وعندما علمت انه انثى وحامل تألمت أكثر فربما أصبت الجنين ولم يكن في نيتي اصطياد حيوان بهذه الظروف.

وانقطعت عن الذهاب الى الصيد مدّة حتى اضطرتني الأحوال الى ذلك.

قال لي معلمي: قبل أعوام كان لي صديق، وكان من الرحمة والشفقة بحيث لا يودّ الحاق الأذى حتى بالنملة، وكم من مرّة رأيته يطرد الذباب من حجرته ولم يستخدم وسائل مكافحة الذباب من مبيدات وغيرها.

ثم مرّت أعوام رأيت فيها هذا الصديق العطوف والرحيم جداً قاضياً!

فإذا به يقول: الآن اصبحت مهماً لا اشعر بالراحة حتى اصدر احكام الاعدام!

وكان الأولى به وبغيره الّا يتحرّج عن قتل ذبابة أو يقدم على اصدار حكم الاعدام ببرود قاتل وربّما بتلذذ. فهذا تفريط وإفراط وعلى المرء أن يسلك طريقاً وسطاً وأن يكون متعادلاً ومتزناً.

ومن يريد الكمال عليه الّا يدع القسوة تلج قلبه أبداً، ومن ولجت قلبه القسوة فعليه أن يتوسل بأهل البيت، ويحاول أن يتصور نفسه مكان الضحايا ويدرك آلامهم ويشارك الآخرين.

كمان أن تلاوة سورة نوح في معالجة مرض القسوة نافع ان شاء الله.

الشهوة الجنسية

قال لي معلمي: على المرء أن يكبح جماح الغريزة الجنسية ولا يعني هذا القضاء على هذه المنحة الالهية التي أودعها الخالق تبارك وتعالى في ذات البشر.

لأن عملاً كهذا يؤدي الى انقطاع النسل والحرمان من أكثر متع الدنيا لذة.

ومن هنا فان على المرء أن يجعل قياد نفسه الى عقله وأن يعزّز ارادته لكي يتمكن العقل من السيطرة على الغريزة الجنسية ويجعلها في الطريق القويم.

ولأن الشريعة عيّنت الحلال وشخّصت الحرام فالعقل يقود الغريزة في مسالك الحلال بعيداً عن الحرام وعندها يلتذ الانسان ويشبع شهوته الجنسية ويستمر النسل.

قال لي معلمي:

كنت أعرف شاباً اشتغل مدّة في تزكية نفسه قال لي يوما: لقد نجحت في ضبط نفسي، واستطعت الابتعاد بها عن الصفات الحيوانية لكني أخفقت في ضبط غريزتي الجنسية وقد جرّتني مع الأسف الى المعصية والغفلة عن الله.

قلت له: اتعرف لماذا فشلت في ذلك؟

قال: لا ولقد جئت اليك استمدك العون.

قلت له: ان فشلك يعود الى خطأ في رؤيتك لهذه الغريزة انك تتصورها صفة حيوانية يتوجب القضاء عليها تماماً، ليكن في علمك أن هذه

الغريزة كلما قويت في ذات الانسان كان سليما معافى فهي كالبصر والشم والذوق وسائر الحواس فكلما كانت قوية كان الجسم صحيحاً سليما.

ودينِنا لم يأمرنا بمحاربة غريزة الجنس والقضاء عليها. فكما أنه ينبغي السيطرة على ابصارنا فلا نرى فيها الحرام واسماعنا نمنعها عن الاصغاء للحرام فكذا شهوة الجنس يتوجب السيطرة عليها فلا توقعنا في الحرام.

ولذا لو وقعت عين أحد على حرام كالنظر الى غير المحارم فهل عليه أن يطمسها؟ فكذا غريزة الجنس اذا أوقعته في حرام فلا ينبغي أن يقضي عليها وانما عليه أن يكبح جماحها ويسيطر عليها.

وكما أن الانسان يشكر الله سبحانه اذا منحه نعمة البصر الحادّ فعليه أن يشكر الله عز وجل اذ منحه هذه الغريزة القوية والمطلوب منه هو أن لا يجعلها تجرّه الى الحرام.

من هنا فانك خاطئ لو أردت القضاء على شهوتك الجنسية، فلا تقل إني أريد القضاء عليها وقل انما أريد تهذيبها وأن تكون نفسي تحت قيادة عقلي وأن غريزتي حرّة ما دامت تتحرك في دائرة الحلال ولن أتعرض لها بالمنع الّا في حالة تجاوزها حدودها الشرعية.

قال الشاب: الآن ادركت خطأي في القضاء على الشهوة وقد قال رسول الله ﷺ: «**النكاح سنتي فمن رغب عن سنتي فليس مني**»[١].

قلت له: وما أكثر الروايات والاحاديث في الحض على الزواج والترغيب فيه ولو جمعتها لكانت كتاباً مستقلاً وكم من الروايات التي تنفر من العزوبية والاعراض عن الحياة الزوجية المشتركة التي تصل الى حد اعتبار منكرها منكراً لضرورات الدين.

ان طريق النجاح في تزكية النفس هو في اخضاعها لمنطق العقل ويكفي زجرها عن الحرام، فلا تقع فيه ولذا قال الله سبحانه في صفات المؤمنين:

---

(١) بحار الانوار ١٠٠ / ٢٢٠ ح٢٣.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾[1].

قال لي معلمي:

كان لي تلميذ من أهل العبادة وكان لا يقوى على كبح جماح شهوته الجنسية ومع أنه متزوج فقد كان كثيراً ما يقع في الحرام وشيئاً فشيئاً بدأ يستسهل هذه المعصية ويعتبرها شيئاً هيناً ثم راح يتأمل في ما ورد من الأخبار حول ذلك فانتبه الى نفسه واصبح بحمد الله يتقزز من عمل الحرام.

يقول الامام الباقر عليه السلام: **«ما عبد الله بشيء أفضل من عفة بطن وفرج»**[2].

وقال عليه السلام: **«إن أفضل العبادة عفة البطن والفرج»**[3].

وقال سيدنا محمد صلى الله عليه وآله: **«ثلاث أخافهن بعدي على أمتي: الضلالة بعد المعرفة ومضلات الفتن وشهوة البطن والفرج»**[4].

وقال الامام الصادق عليه السلام: **«برّوا آباءكم يبرّكم ابنائكم، وعفّوا عن نساء الناس تعفّ نساؤكم»**[5].

وروى أنس قال: «خرج رسول الله صلى الله عليه وآله على أصحابه فقال: **«من ضمن لي اثنتين ضمنت له الجنة»**.

فقال أبو هريرة: فداك أبي وأمي يا رسول الله أنا أضمنها لك، ماهما: فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«من ضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه ضمنت له الجنّة»**[6].

---

(١) سورة المؤمنون: الايتان ٥ ـ ٦.
(٢) بحار الانوار ٦٨ / ٢٦٨ ح١.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق.
(٥) المصدر السابق / ٢٧٠ ح١٠.
(٦) المصدر السابق / ٢٧٢ ح١٨.

النميمة

قال لي معلمي:

اعتدت عندما ادعو للآخرين أن ابدأ دعائي لمن يحضر في ذهني أولاً. وعندما لا يجب أن أدعو لأحدهم فأني ألهم بعدم دعائه.

وذات ليلة عندما كنت اقنت في صلاة الوتر حاولت أن ادعو لشخص كنت قد عزمت على الدعاء له لكني لم استطع أن ادعو له ولو بجملة واحدة، وكأن هناك من يأمرني قائلاً: لا تدع له لأن الله لن يغفر له.

فكرت في نفسي لعل هذا من وسوسة الشيطان! لكني كنت ادرك الفرق بين الوسوسة والالهام، وادركت ان هذا لم يكن وسوسة أبداً..

فكرت لعله ارتكب عملاً، استوجب فيه سخط الله عليه ولهذا لم أوفق في الدعاء له!

ودفعني حب الاستطلاع الى أن أعرف ماذا فعل هذا الرجل؟

صاحبته أياماً لكني لم أقف على شيء طبعاً.

أخفقت لأن التجسس على أحوال الناس حرام ومحاولة معرفتي بأخلاقه أمر غير محمود.

على أيّ حال في ليلة من الليالي وضمن مناجاتي دعوت الله أن يشمله بلطفه، وأن يغفر ذنبه إن كان له ذنب.. فجأة انتبهت الى أن له صفة قبيحة اذا لم يتركها فلن يشمله الله برحمته.

علماً انني لا أدعو لأحد بأن يزيده من بهارج الدنيا وماديّاتها ودعائي لأصدقائي في أن يشملهم الله برحمته.

وعلى أيّ حال وجدت نفسي مضطراً لأطلعه على ما حصل لي ليلة الدعاء له وانصرافي القلبي عن ذلك ثم لأسأله عن الصفة القبيحة التي جعلته محلاً لسخط الله؟

قال بعد أن أصغى متأثراً: نعم أنا مبتلى بصفة شيطانية وكلما حاولت الخلاص منها فشلت وأخفقت في تزكية روحي منها..

ولأني أخجل من أن أقول ذلك لأحد.. لكني بكيت قبل ليال وسألت الله أن يحل مشكلتي هذه وأشعر الآن بان الله قد شملني برحمته وارسلك لمساعدتي.

قلت له: ما هذه الصفة السيئة التي لا تستطيع الخلاص منها؟

فأنا لي تجربة في الأمراض الروحية والمهم معرفة المرض لأن تشخيص جذوره يسهل علاجه.

قال: أنا أعرف مرضي ولهذا اتعذب بسببه، لكني لم استطع ـ كلما حاولت ـ الخلاص منه.. ومرضي الروحي هو «النميمة».

يلذ لي أن أوقع بين اثنين متحابين واشعر بالمتعة عندما انقل حديث هذا لذاك وذاك لهذا، لتوتر العلاقة بينهما.

صدقني أردت أن اتخلص من هذا المرض لكن دون جدوى! حتى انني قررت الابتعاد مدّة عن معاشرة الناس والاختلاط بهم ولكني وفي أول فرصة وعندما أرى صديقين حميمين أبدأ ديدني في الايقاع بينهما فلا يفترقان حتى يتشاجران!

قبل مدّة كنت في مجلس وبدأت بذم رجل من رجال الله الصالحين حتى يصبح في نظر الناس شيطاناً رجيماً ثم سمعت أن الناس راحوا يؤذونه ايّما إيذاء!

حتى هذه اللحظة أنا أفكر أن أوقع بينك وبين فلان (وذكر لي صديقاً تربطني به علاقة حميمية) وأتفرّج على تشاجركما.

شعرت بالرهبة من هذا الانسان الذي نفذ إلى روحه الشطان، لكني كتمت مشاعري عنه وقلت لعل الله ارسله اليّ فأكون سبباً في علاجه وشفائه.

لهذا قلت له: أتعرف أن النمام بمستوى من يعلن الحرب على الله عز وجل؟ ذلك ان الله سبحانه هو الذي يلقي الألفة والمحبة بين الناس.. أما أنت فتريد أن تحطم أواصر هذه المحبّة والألفة بين القلوب.. إنك تريد أن تغير هذه المحبة الى كراهية، وهذه الألفة الى أحقاد وضغينة.

ألا تريد أن تعرف مصير النمامين في يوم القيامة؟ اذن فاسمع أولاً وأصخ سمعك.

قال النبي ﷺ: لما أسري بي رأيت امرأة رأسها رأس خنزير وبدنها بدن حمار وعليها ألف ألف لون من العذاب فسئل ما كان عملها؟ فقال: انها كانت نمامة كذابة[١].

وثانيا إن النمام مكروه من قبل الناس وهو أسوأ الخلق عند الله. وقد روى الصادق عليه السلام عن آبائه سلام الله عليهم أجمعين قال: قال النبي ﷺ: **«المؤمن غرّ كريم والفاجر خب لئيم، وخير المؤمنين من كان مألفة للمؤمنين ولا خير فيمن لا يؤلف ولا يألف»**[٢].

وقال رسول الله ﷺ: **«شرار الناس من يبغض المؤمنين وتبغضه قلوبهم المشاؤون بالنميمة، والمفرّقون بين الاحبة، الباغون للبراء العيب أولئك لا ينظر الله اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ثم تلا ﷺ قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾»**[٣].

وقال الامام الصادق عليه السلام للمنصور: **«ان النمام شاهد زور وشريك ابليس في الاغراء بين الناس»**[٤].

وعنه عليه السلام قال: **«لا يدخل الجنة سفاك دم ولا مدمن الخمر ولا مشّاء بنميم»**[٥].

وقال سيدنا محمد ﷺ: **«لا يدخل الجنة قتات»**[٦]. والقتّات هو النمام.

---

(١) بحار الانوار ٧٢ / ٢٦٤ ح٧.

(٢) المصدر السابق ح٩.

(٣) المصدر السابق ح٩.

(٤) المصدر السابق ح٣.

(٥) المصدر السابق ح١١.

(٦) المصدر السابق ح٨.

وقد عدّ الاسلام النميمة من الكبائر فقال تعالى يصف أحد رؤوس الكفر من أعداء الله ورسوله: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ۝١١﴾[1]. ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝١٣﴾[2].

فالنمام اذن شريك ابليس وهذا ثالثاً، ورابعاً أنه لن يدخل الجنة شأنه شأن المدمن على الخمر وخامساً أنه بمنزلة ابن زنى. يقول الشهيد الثاني قدس الله روحه في رسالته حول الغيبة في عدّ ما يلحق بالغيبة: أحدها النميمة والنميمة، احدى المعاصي الكبائر قال تعالى: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ۝١١﴾ثم قال: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝١٣﴾. قال بعض العلماء: دلّت هذه الآية على أن من لم يكتم الحديث ومشى بالنميمة ولد زنى لأن الزنيم هو الدعيّ[3].

وقد نهى الاسلام المؤمنين عن تصديق النمام لأنه فاسق وقوله مردود وقد قال تعالى: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾[4].

بل ان الشريعة حثت الانسان اذا ما رأى نماماً أن يبادر الى نصيحته، فمن المحتمل أن يثوب الى رشده، فإن تمادى فإن الإعلان عن الاستياء منه سيؤثر فيه، لأن النمام عدو الله وعلينا أن نتخذ موقفاً حازماً ممن يعادي الله عز وجل.

عندما تحدثت الى ذلك الرجل بكى واجهش بالبكاء وقال: اشعر ان قلبي يغتسل بهذه الكلمات وقد عقدت العزم على ترك النميمة.

وانصرف ليعود بعد أيام قائلاً: ان حالي أفضل بكثير مما كنت عليه لكني لم اشف من المرض مئة بالمئة وما زال الشيطان يوسوس لي قلت له: إن أردت الشفاء التام، فعليك إذا ما وسوس لك الشيطان أن توقع بين اثنين أن تفعل العكس، حاول أن تعزز بينهما عرى المحبة والالفة وتزيد في تآخيهما.

---

(١) سورة القلم الآية ١١.

(٢) سورة القلم: الآية ١٣.

(٣) بحار الانوار ٧٢ / ٢٦٨.

(٤) سورة الحجرات: الآية ٦.

يعني اذا وسوس لك الشيطان أن تتحدث بالسوء عن شخص فأفعل العكس تماماً حاول أن تثني عليه وتمجده فاذا رأيت أحداً يذم أحداً أمامك فامدح ذلك الشخص واثن عليه بما يغير من انطباع هذا الشخص عنه، حتى لو أوقعك هذا الفعل في الكذب، فلا بأس به لأن ذلك مما يعزز من روح الأخوة والتآلف بين الناس.

ولا تنسَ أن تقرأ سورة القلم ثلاث مرّات يومياً واطلب من الله العون في الشفاء وتوسل بالامام الهادي عليه السلام في ذلك.

والحمد لله مضت مدّة وجاءني الرجل يبشرني بشفائه الكامل من هذا المرض الروحي الفتاك.

الوسواس

قال لي معلمي:

عندما كنا في المدينة نطلب العلوم الدينية كان بيننا طالب معروف بالوسواس. وكان وسواسه أن يتحدث الشيطان معه رسمياً وهو أيضاً يتحدث معه!

اذكر جيداً أنني ذهبت مرّة الى المراحيض.. وسمعت في المرحاض المجاور شخصاً يتحدث بصوت مسموع جيداً.. تصورت أنهما شخصان يتحدثان وكأن أحدهما يقول للآخر: كفى.. لقد قمت بما يجب.

لم يخطر في بالي أنه ذلك الموسوس.. ولذا عندما خرج سألته مع من كنت تتحدث؟

قال: مع نفسي.. مع شيطاني الذي يوسوس لي ويأمرني، لقد مرّت ساعة كاملة وأنا في المرحاض..

أقول يكفي هذا لقد تطهرت وهو يقول: لا ما يزال ناقصاً.. ولا أدري ماذا أفعل؟!

فيما مضى كان الوسواس في قلبي واشعر به يوسوس لي، كنت ازجره في قلبي أيضاً: أقول له: كفى.. ثم لم أعد اضبط نفسي وشيئاً فشيئاً صرت اتحدث معه بصوت مسموع وها أنت قد سمعت مني ما جرى وتسألني مع من كنت أتحدث؟

قلت له: منذ سنوات وأنا أحاول أن أعرف كيفية الوسوسة فهل لك أن تساعدني في ذلك؟

قال: لا مانع لـدي ولكن أخشى عليك من العدوى.. وربّما تريد السخرية مني!

قلت: الله يعلم إني لا أقصد ذلك أبداً وأسأل الله أن يوفقني في دفع هذا المرض عنك فأكون قد ساعدتك.

سُرّ لكلامي وقال: اذن فهيا الى حجرتي سأحدثك بالتفصيل عن مرضي.

عندما ذهبنا هناك بدأ يشرح لي بداية ظهور أعراض المرض الروحي فقال: لقد بدأ ذلك يوم سخرت من أحد الوسواسين فتأثر مني وابتليت من وقتها بالوسواس!

سألته: هل إن وسواسك في التطهر أم في العبادة والشؤون الأخرى أيضاً؟

قال: في البداية كان في مسائل الطهارة والنجاسة ثم بدأ يسري الى العبادة وسائر الاشياء الأخرى بل وصل المرض الى عقائدي.

قلت: عندما تريد أن تطهر مكاناً نجساً وفق الحكم الشرعي، فما الذي يحصل لكي تعيد عملية التطهير مرة أخرى؟!

قال: لا استطيع الآن أن أصف الحالة بدقة ولكن حالتي تشبه حالة جندي في حضرة قائد مطاع يخشى سطوته.. انه يقوم بما يريده القائد وإن كان في قلبه غير راض.

قلت: كيف يصدر هذا القائد أوامره لك؟

قال: عشرة أضعاف أقوى وأرهب من أوامر الضابط، حتى انني وعندما أحاول عدم تنفيذ أوامره، فأنه يصرخ بي بصوت مرتفع فأشعر أن ارادتي مهزومة فأنفذ ما يريد، مع تململ في قلبي من ذلك.. ولعل الوسوسة أفضل تعبير عن هذه الحالة. هذه باختصار الاحاديث التي تبادلناها ذلك اليوم وقد خلصنا الى نتيجة واحدة؛ ان هذه الحالة تشبه حالة من لا يؤمن بشيء ولكن عشرات الاشخاص يفرضوه فرضاً عليه، فيجد نفسه مضطراً للعمل به فيسلم جوارحه اليهم.

وهنا اجد من الضرورة الاشارة الى هذه النقاط.

الأولى: استاذي كان يقول انه في الوقت الذي نعرف فيه الشيطان يمكننا أن نعرف فيه الله أيضاً. فالانسان المصاب بالوسواس يدرك أنّ قوة غامضة تتلبس كل كيانه وتسيّره، فما نقوله عن الشيطان بانه يجري في الانسان مجرى الدم في العروق ويجرّه الى الآثام والمعاصي. فكذا الالهام شأنه شأن الوسواس الّا في مصدره فالوسواس من الشيطان والالهام من الله عز وجل.

فان استطاع الانسان ان يحلّ الرحمن محل الشيطان اصبح عبداً لله خالص العبودية.

الثانية: ربما يتعاون الشيطان مع النفس الأمارة حيناً ويعمل مستقلاً حينا آخر ولمعرفة استقلال الشيطان في فعاليته، هو في جنوح النفس الى الدعة والراحة مثلاً تقول النفس: لا تصوم، لا تصل، ولا تقم بالعمل العبادي القرآني لأنه شاق. وهنا يأتي الشيطان ليعزز هذا الميل في نفس الانسان ويوسوس له بالراحة والدعة.

لأن النفس لا تقول كرر صلاتك عشر مرّات لكي تكون قد صلّيت حقاً ولا تقول له: اغسل يدك عشر مرّات لتطهر حقاً، فمثل هذه وغيرها هي وسوسة الشيطان؛ يعني ان الشيطان يعمل في ذلك مستقلاً وخلاف هوى النفس.

الثالثة: ان المصابين بالوسواس يدركون معنى ولاية الشيطان ويعرفون كيف يمكن تقبل ولاية موجود غير قابل للرؤية.

الرابعة: المصابون بالوسوسة يدركون معنى الالهام وهو سماع حديث يصدر من غير أدوات الفم والشفاه واللسان وأمواج الهواء ويدركون أيضاً أن الذين يخضعون لولاية الله يشملهم الالهام أي أن الله يتحدث اليهم.

عليك أن تعرف هذا فقد تصاب بالوسواس فلا تستطيع معالجة نفسك لأنك لا تعرف حقيقة الوسواس، لقد زودت صديقي ببعض الارشادات وها أنا أختصرها لك فقد تبتلى يوماً بالوسواس فتعرف حينئذ كيف تداوي روحك.. فلتعرف أولاً معنى ولاية الشيطان.

أولاً: قلت له عليك أن تسلم نفسك لي مائة بالمائة لعدة أيام فتنفذ كلَّ ما آمرك به.

قال: ربما تطلب مني الّا يراودني الوسواس وهذا أمر يخرج عن ارادتي لكني على استعداد لتنفيذ أوامرك الأخرى.

قلت له: كلا لن اقول لك ذلك إذ لو قلت لك ذلك لكنت كالطبيب الذي يأمر المريض ويقول لا تمرض.. هذا خطأ.. لكني اطلب منك ان تنفذ ما آمره بك حتى لو جهلت فلسفة ذلك.

قال: لا مانع في هذا.

ولأنّا كنا في مدرسة واحدة فقد تيسر لي مراقبته والتزامه بالبرنامج الذي حددته له.

ثانياً: قلت له يتوجب أن يكون لديك حلتان إحداها نجسة تماماً وأخرى طاهرة تماماً ترتدي الأولى دائماً أما الثانية فلا ترتديها الّا في الصلاة.

قال: حسنا جداً سأفعل ذلك.

ونتيجة هذا هو انتفاء نفوذ النجاسة الى الروح.

وقد استمر في هذا العمل اسبوعين حيث كان يحتفظ بحلته الطاهرة فوق سجادة الصلاة فلا يرتديها الّا من أجل الصلاة حيث يخلع أولاً حلته النجسة ثم يعود الى ارتدائها بعد أداء الصلاة.

ثالثاً: قلت له بعد اسبوعين: عندما تريد الذهاب الى المرحاض فاذهب بحلتك النجسة ولا تتقيد بالغسل يمكنك فقط ازالة عين النجاسة بالماء أو بمنديل ورقي وارتد حلتك.

قال: هذه مشكلة فكيف اصلي اذن.

قلت: اغتسل قبل الصلاة وارتد حلتك الطاهرة.

قال: حسنا سأفعل ذلك.

واستمر على هذا البرنامج مدة اسبوع ونتج عن هذا حالة من الادراك للنجاسة الحقيقية.

وأعقب هذا تعليمات معنوية غاية في الجدّية.. فقد حدّثته عن ارادة الانسان القوية وأنه لا ينبغي أن يقوم بأعمال غير منطقية ثم قرأت عليه بعض الروايات التي تذم الوسوسة أنقل لك طائفة منها:

قال الامام الصادق عليه السلام: «**لا يتمكن الشيطان بالوسوسة من العبد الّا وقد أعرض عن ذكر الله واستهان بأمره وسكن الى نهيه**»[1].

وعنه عليه السلام: «**أنه كيف يكون المرء عاقلاً وهو يطيع الشيطان**»[2].

وجاء في الأثر: «**سألت العالم عن الوسوسة إن كثرت قال: لا شيء فيها يقول: لا اله إلا الله**»[3].

وروي أن رجلاً قال للعالم: يقع في نفسي أمر عظيم؟ فقال: قل لا اله الّا الله. وفي خبر آخر: ولا حول ولا قوة الّا بالله[4].

وروي أيضاً: «**اذا خطر ببالك في عظمته وجبروته أو بعض صفاته شيء من الاشياء فقل: لا الله الّا الله محمد رسول الله وعلي أمير المؤمنين**»[5].

وروي عن سيدنا محمد صلى الله عليه وآله في مثل هذا: «**قل: لا حول ولا قوة الّا بالله العلي العظيم**»[6].

وفي حديث آخر عنه صلوات الله عليه: ادع بهذا الدعاء: «**اللهم ان ابليس عبد من عبيدك يراني من حيث لا اراه وأنت تراه من حيث لا يراك وأنت أقوى على أمره كله وهو لا يقوى على شيء من أمرك.**

أللهم فأنا استعين بك عليه يا رب، فاني لا طاقة لي به ولا حول ولا قوة لي عليه الّا بك.

اللهم ان ارادني فارده وان كادني فكده، واكفني شرّه، واجعل كيده في نحره.. برحمتك يا ارحم الراحمين، وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين»[7].

---

(١) بحار الانوار ٦٩ / ١٢٤ / ح٢.

(٢) اصول الكافي / باب العقل والجهل.

(٣) بحار الانوار ٦٩ / ١٢٧ ح١٣.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق / ١٢٨.

(٦) المصدر السابق ٩٢ / ١٣٦ ح١.

(٧) المصدر السابق / باب الوسواس.

وادرك ذلك الصديق ما حل به فنهض بجد واجتهاد لمكافحة الوسواس لأن الالهام لا يدخل قلبا احتلته الوسوسة.. والملاك لا يدخل مكاناً يسكنه عفريت.. وتمرّ الأيام ويعافى صاحبنا من مرضه فله الحمد أولاً وآخراً.

سوء الطبع

كثيرون أولئك الذين يتمتعون بحسن طباع جعلتهم محبوبين عند الله، فهم متعففون اغنياء النفس لا يمدّون أعينهم الى ما عند غيرهم.

وهؤلاء الناس حتى لو كانوا فساقاً أو كفاراً فهم أحب الى الله من غيرهم من الكفار والفساق.

قال لي معلمي:

أعرف شخصا كان سيء الطبع.. يعني شحاذاً بطبعه ومع ثرائه الواسع فهو يفرح اذا ساعده أحد.

وعندما كان يأتي عندي كان لا يمتدح الّا الذين أعطوه شيئاً ما وكانت عينه ممدودة على ما في أيدي الناس، فهو يترقب منهم هدية أو مساعدة.

وهذه حالة حيوانية تشبه كلباً يهز ذيله عندما ترمى اليه كسرة خبز.. فهذه الحالة حجاب تمنعه من السير في طريق التكامل.

تحدثت اليه يوماً عن ذلك وذكرت له روايات واحاديث مؤثرة، فطلب مني أن اعالجه من هذا المرض الروحي.. فلعله ينجو من شر هذا الطبع السيء الذي جعله اشبه ما يكون بالشحاذين منه الى الموسرين.

ولذا قلت له: لقد ورد في الأثر: «**ان تفكر ساعة خير من عبادة سنة وانما يتذكر أولو الألباب**»[1].

عليك يا صديقي وانت تأوي الى فراشك في الليل، أن تفكر في هذا

---

(١) بحار الانوار ج٦٨ / ٣٢٧ ح٢٢.

الأمر انت بحمد الله ترى موسراً وحتى لو لم تكن ثريا فان الغنى غنى النفس، فصرف النظر عما في ايدي الناس يكسبك ثقتهم واحترامهم وهذا اعظم ما يحصل عليه المرء في حياته الاجتماعية.

ان المؤمن بالله لا يفكر الّا به ولا تشغله عن ذكره أمور الدنيا الزائلة ثم من قال إن المال يجلب السعادة.. ان أساس السعادة هو القناعة وغنى النفس.

يقول الامام الصادق عليه السلام: «**غنى النفس أغنى من البحر**»[1].

وعنه أيضاً ان جبرئيل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وآله: «**شرف المؤمن قيام الليل واستغناؤه عن الناس**»[2].

وعنه أيضاً قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: «**خير الغنى غنى النفس**»[3].

وقال رجل للنبي صلى الله عليه وآله: علمني شيئاً اذا أنا فعلته أحبني الله من السماء واحبني الناس من الأرض؟ قال: «**إرغب فيما عند الله يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبّك الناس**»[4].

بل ان طبع الاستجداء مع وجود الثروة يؤدي بالانسان الى الشقاء.

وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله دعاؤه: «**اللهم ارزق محمداً وآله محمد العفاف والكفاف، وارزق من بغض محمداً وآل محمد المال والولد**»[5].

مرّت على صديقي أيام عسيرة، لأنه ليس من السهل التخلص من طبع ترسّخ في اعماقه، لكنه كان ذا ارادة قوية وعندما انتبه الى ما فيه من سوء طبع فانه كان يجاهد ببسالة من أجل أن يزكي روحه..

---

(١) المصدر السابق ٧٢ / ١٠٥ ح١.
(٢) المصدر السابق / ١٠٩ ح١٤.
(٣) المصدر السابق / ١٠٦ ح٥.
(٤) المصدر السابق / ١٠٧ ح١٠.
(٥) وسائل الشيعة ١٥ / ٢٤٣ ح٣.

ولذا راح يقدم على اشياء كأنه يسبح ضد التيار، فبدل أن ينتظر هدية من هذا او ذاك بادر هو الى تقديم الهدايا واصبح يتصدّق على المحتاجين كثيراً..

وراح ينظر الى من هو ادنى منه مالاً، فيشكر الله سبحانه لأنه وهبه الغنى..

فلم تكد تمضي مدّة حتى زال عنه هذا السوء من الطباع، ليحل مكانه الغنى.. غنى النفس.

قال لي معلمي:

يقول الشهيد الثاني: «فمما يلزم كل واحد منهما (العالم والمتعلم) بعد تطهير نفسه من الرذائل المذكورة وغيرها توجيه نفسه الى الله تعالى والاعتماد عليه في أموره وتلقي الفيض الالهي من عنده، فان العلم كما تقدم من كلام الصادقعليه السلام ليس بكثرة التعلم وانما هو نور من الله تعالى ينزله على من يريد أن يهديه.

وأن يتوكل عليه ويفوض أمره اليه ولا يعتمد على الاسباب فيتكل اليها وتكون وبالاً عليه لا وعلى أحد من خلق الله تعالى، بل يلقي مقاليد أمره الى الله تعالى في أمره ورزقه وغيرها، يظهر عليه حينئذ من نفحات قدسه ولحظات أنسه ما يقوم به أوده ويحصل مطلبه ويصلح به أمره. وقد ورد في الحديث عن النبيصلى الله عليه وآله: إن الله قد تكفل لطالب العلم برزقه عما ضمنه لغيره، بمعنى أن غيره يحتاج الى السعي على الرزق حتى يحصل غالباً، وطالب العلم لا يكلف بذلك بل بالطلب وكفاه مؤونة الرزق إن احسن النية وأخلص العزيمة.

وعندي في ذلك من الوقائع والدقائق ما لو جمعته بلغ ما يعلمه الله من حسن صنع الله تعالى بي وجميل معرفته، منذ اشتغلت بالعلم وهو (مطلع عام ٩٣٠ هـ) الى يومي هذا وهو منتصف رمضان سنة (٩٥٣ هـ)»[١].

---

(١) الشهيد الثاني، منية المريد / ٦١.

قال لي معلمي:

وأنت ايها الطالب عليك قبل غيرك أن تكون حرّاً في حياتك عزيزاً في نفسك..

يقول أمير المؤمنين في الديوان المنسوب اليه:

لنقل الصخر من قلل الجبال أحبّ اليّ من منن الرجال
وذقت مرارة الاشياء طرّاً فما طعم أمرّ من السؤال

الانتقام

قال لي معلمي:

اعرف سياسياً عانى ما عانى في حياته السياسية من سجن وتعذيب وامضى سنوات طويلة من عمر في رحلة من العذاب، ثم دار الزمن فإذا به يمسك بزمام القوة والنفوذ والسلطان وسلطه الله على أعدائه.. قال لي يوماً: الآن وقد مكنني الله كيف أنتقم من أعدائي؟

قلت له: أنت مسلم ويجب عليك أن تتأسّى بقائد الاسلام سيدنا محمدﷺ فانظر ما فعل النبيﷺ بأعدائه عندما انتصر عليهم ومكنه الله منهم، وافعل مثله!

ان الله لا يحب الذين ينطوون على أحقادهم ويضمرون الانتقام لأعدائهم لأن الله يعفو عن المذنبين ويحب الذين من شيمتهم العفو.

قال: ألا تحدثني قليلاً عن نبينا عليه الصلاة والسلام فيما يخص هذا الموضوع على الأقل!

قلت: انت تعرف أن أبا سفيان كان من ألد أعداء رسول اللهﷺ فلما كان فتح مكة، كان اللقاء بينهما فماذا كان موقف رسول اللهﷺ من عدوّه.. لنترك التاريخ يحدثنا عن ذلك..

أخذه العباس الى النبيﷺ وقال لرسول الله: يا رسول الله، ولم يقل النبيﷺ شيئاً عما فعله أبو سفيان من جرائم.. لم ينتقم منه ولم يطرده بل قال له: أما آن لك يا أبا سفيان أن تؤمن انه لا اله الّا الله؟

قال أبو سفيان: لو كان مع الله اله آخر لأغاثنا في بدر.

فقال النبيﷺ: أما آن لك أن تؤمن أني رسول الله.

قال أبو سفيان: بأبي أنت وأمي ما زال في نفسي شيء من هذا.

ولم يؤمن أبو سفيان الّا ظاهراً فقد انتهره العباس قائلاً: ويلك إشهد والّا ضربت عنقك.

وأراد النبيﷺ أن يريه قوة الاسلام فأمر العباس أن يأخذه الى المرتفعات ليرى بنفسه جيوش الاسلام وكتائب جنوده..

وتقدمت كتائب الاسلام وأبو سفيان ينظر ويسأل عن كل كتيبة حتى جاءت الكتيبة الخضراء فقال أبو سفيان: من هؤلاء؟

فقال العباس:

ـ هذا رسول الله في المهاجرين والأنصار.

وشعر أبو سفيان بالذلّ فقال:

ـ ما لأحد بهؤلاء طاقة!

ثم قال بحقد وضيق:

ـ لقد أصبح ملك ابن اخيك اليوم عظيماً؟

فالتفت العباس اليه وقال: انها النبوة يا أبا سفيان.

فرد أبو سفيان مهزوماً.

ـ نعم.

وقال العباس للنبيﷺ:

ـ يا رسول الله ان أبا سفيان رجل يحب الفخر في قومه.

فقال النبيﷺ:

ـ من دخل دار أبي سفيان فهو آمن.

ومن دخل المسجد فهو آمن.

ومن أغلق عليه بابه فهو آمن.

وعندما اقتربت جيوش الاسلام من مكة كان سعد بن عبادة هو حامل الراية وكان يطلق صيحات الانتقام هاتفاً.

ـ اليوم يوم الملحمة اليوم تسبى الحرمة.

واستغاث أبو سفيان بالنبيﷺ فأمر النبيﷺ بأخذ الراية من سعد وسلمها الى ابن عمه علي بن أبي طالبعليه السلام وانطلق عليعليه السلام يهتف: اليوم يوم المرحمة..

ودخل المسلمون وهم يرددون كلمات النبيﷺ: لا اله الله وحده وحده.. انجز وعده.. ونصر عبده.. وهزم الاحزاب وحده[١].

فالنبيﷺ لم يكن يفكر بالانتقام الشخصي وانما كان يفكر في أهداف الاسلام العليا.. ولهذا لم يدع على قومه.. كان يحب الناس جميعاً ويحب لهم الهداية والنور والحياة الطيبة وكان يعاني في ذلك الكثير، حتى خاطبه الله سبحانه قائلاً:

﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢﴾[٢].

واسلم أهل مكة وكان من بين الذين جاؤوا ليعلنوا اسلامهم «عبدالله بن أبي امية» وهو أخ ام المؤمنين أم سلمة فقد رفض النبيﷺ اسلامه، فذهب عبدالله الى أخته أم سلمة وحدّثها بما جرى فانطلقت هي الى النبيﷺ تحاوره في ذلك فقال لها النبي: لقد كذبني بما لم يكذبني به أحد، فقالت: اليس قلت الاسلام يجب ما قبله؟

قال: بلى. قالت: فاقبل اسلامه. فقبل اسلامه وعفا عنه[٣].

فاعف يا صديقي عن اعدائك وسامحهم.

اعف عنهم حتى ينتبهوا الى خطاياهم.

---

(١) تاريخ الطبري حوادث سنة ٨ هـ.
(٢) سورة طه الآيتان ١ ـ ٢.
(٣) بحار الانوار ٢١ / ١١٤ ح٨.

اعف عنهم لتكسب صفة من صفات الله عزوجل.

اعف عنهم عفا الله عنك.. وارحم من في الارض يرحمك من في السماء.

وعفا صديقي عن جميع اعدائه واصبح تسعون بالمئة منهم اصدقاء له ومحبيّن يفدونه بأرواحهم.

أما ما تبقى منهم فلم يكن لهم من الشأن ما يستطيعون به الحاق أقل ضرر به.

الصبر

قال لي معلمي:

عندما كنت في مدينة النجف الاشرف كنت دائم التردد على مرقد الامام علي عليه السلام وزيارة مرقد سيد الشهداء في كربلاء..

وما اكثر الاوقات الطيبة التي أمضيتها في هذين الحرمين الشريفين.

وكنت في تلك الأيام أرى شاباً، يتردد على الزيارة. مرّة أراه في النجف وأخرى في كربلاء وما رأيته الّا باكياً حتى كنت أخشى عليه، وعجيب أن يبكي شاب في السادسة عشرة من عمره، تبدو عليه سيماء العبادة... دائم الذكر لله سبحانه مستغرق في الصلاة والدعاء رأيته يوماً في حرم أميرالمؤمنين علي عليه السلام جالساً في زاوية ويبكي، حتى أوشك على الاغماء فبادرت اليه ووضعت رأسه في حجري ومسحت دموعه، حتى إذا افاق من غشيته قال: سامحني يا سيدي..

قلت له: لماذا أراك مضطرباً؟ ولم كل هذا البكاء؟ ما الذي تريده من الله لم يمنحك إياه وأنا اسمعك تعاتبه؟!

قال: قرأت مرّة دعاء الفرج.. فجأة تفجر نبع حب في قلبي لـ«بقية الله» روحي فداه وبدأت معاناتي من تلك اللحظة.

قلت: فما تريد الآن؟

قال: أن اكون مع ولي العصر في كل وقت.

قلت: اذا سمعت كلامي وتصبرت قليلاً وابعدت عن نفسك الاضطراب فسأرشدك الى من يوصلك الى مرادك.

لقد قلت له هذا مع أنه لا يتيسر ذلك لمن كان في سنّه، ثم ان

ملازمة ولي العصر لا تتيسر لـه ولا لغيره، لكني أخذت بعين الاعتبار شبابه فأردت أن ابين له كيف يصبر وكيف يدرك أن روح ولي العصر في كل مكان وانه يستطيع الاتصال به متى شاء.

تحدثت اليه ذلك اليوم كثيراً وبدأ يصغي ويدرك اهمية الصبر وأنه من صبر ظفر وان الصبر رمز الموفقية والنجاح.

وقد اثنى الله عز وجل على الصابرين والذين تحملوا المشاق وقاوموا وعدّهم من المؤمنين الحقيقيين.

ومن لم يصبر ويتحمل، لن يستطيع أن يطوي مراحل التكامل وتزكية الروح.

فاصبر يا بني وتحمل ولا تفعل شيئاً يعقبه سخط الهي وارض بما منحك الله من نعمة الحب، حب «بقية الله» روحي فداه واقرأ يا بني سورة العصر المباركة كثيراً.. يمنحك الله الطمأنينة والسكينة.

اللجاجة والانكار

قال لي معلمي:

أعرف رجلاً خبيثاً في زمن الطاغوت وكان من اعوان الظلمة.. وكثيراً ما كان يظلم الناس ويؤذيهم وينسب الى الابرياء ما ليس فيهم ولا من شأنهم.. ظلمني مرّة وآذاني فسألته وقد وجدته هادئاً بعض الشيء: هل صادف واحترق قلبك من أجل مظلوم؟

قال: في البداية كنت أتألم لحال بعض المظلومين.. فمثلاً جاؤوا بامرأة حكم عليها بالسجن وكانت لها ابنتان احداهما في الثانية عشرة والأخرى ما تزال رضيعة.. ذات يوم جاؤوا بالرضيعة وطلبوا زيارة السجينة؛ ولأن اللقاء كان من خلف الحاجز الزجاجي وما إن وقعت عينا البنت على أمها حتى اضحى حالها كحال سمكة رميت خارج الماء، فهي تطلب ثدي أمها وتصرخ حتى ترضعها.

الأم أخرجت ثديها والصقته بالزجاج والطفلة المسكينة وضعت فمها على الجانب الآخر من الزجاج.. فاحترق قلبي على البنت وسمحت بلقاء البنت مع أمها في مكتبي حتى يمكن للأم ارضاع ابنتها..

وفي هذه الأثناء دخل رئيسي علينا وسأل عن حال المرأة وعندما أخبرته صرخ في وجهي قائلاً: علينا أن نطلق كل يوم سجينا من أجل قلبك!!

رأيت أن الحق معه فقررت من تلك اللحظة الّا اكترث لمثل هذه الأمور وتحقق ما أردت.. فلو قطّعوا أمامي العشرات إرباً ارباً ما تأثرت أبدا.

قلت: فهل هذه الصفة التي عندك حسنة ام سيئة؟

قال: انها تنسجم مع طبيعة عملي؟

قلت: اذا كنت تعمل عملاً غير هذا فما ترى في هذه الصفة؟

قال: اعتبرها صفة غير طيبة لأن الناس تستضعف ذوي القلوب الرحيمة.

قلت: فهل هذه الصفة في الحيوانات اكثر أم في الناس؟

قال: في الحيوانات.

قلت: فهل على الانسان أن يكون حيواناً في صفاته؟

وهنا سكت ثم استدرك قائلاً: لا أدري ولكن فيما يخصني فلولا هذه الصفة فيّ الآن لفقدت عملي.

قلت: فارق عملك اذن!

قال: وكيف لي أن أعيش اذن؟

قلت: الرزق على الله.

قال: لو كنت مؤمناً بالله ما اصبح حالي كما ترى.

وانتهى الحديث، ولم يعترف أبداً بأن الظلم صفة سيئة وانه لا ينبغي أن يظلم الناس.. لقد كان عنيداً جداً مكابراً.

وادركت وقتها ان العناد واللجاجة والمكابرة، من الحجب الكثيفة التي تحجب قلب الانسان عن الله.

كيف يمكن لمن لا يعرف سيئة الظلم وينكر وجود الله أن ينجو من براثن الحيوانية الى عالم الانسانية النبيل؟

ومثل هؤلاء المرضى ميؤوس من شفائهم وقد قال عز وجل ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[1].

وهذه الدرجة من العناد والانكار، تحيل الانسان الى مخلوق مخيف

---

(١) سورة البقرة: الآية ٦.

وخطير.. وهكذا انسان تتضاءل احتمالات خلاصه مما هو فيه من تردٍ وهبوط الى حضيض هو أسفل السافلين.

وهذه الحالة هي جهل مركب يصعب علاجه.. ولكن في حالة وجود رغبة في العلاج فأول خطوة هو وضع العناد جانباً وأن يصغي بعقله الى منطق هؤلاء الآية في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾[1].

فالذين يعقلون هم من يأخذون بالقول الحسن ويصغون للمنطق الصحيح الصائب.

فأول خطوة هو التأمل في ما يقال لهم (واكثرهم يعرضون من غير تأمل وتفحص وتحليل) فهذه خطوة لأنه من غير المنطقي رد كلام له حجته وبرهانه ودليله، ومن يفعل ذلك فهو مصاب بداء العناد والمكابرة واللجاجة، هذا أولاً وثانياً على من يريد الشفاء ان يلتزم برنامج العلاج ويطبقه بحذافيره وفيه ان يراجع وجدانه وضميره ويصغي الى أي كان من الناس وأن يترك الغرور جانباً وعلى الناس في تعاملهم مع هؤلاء المرضى ألا يكترثوا لهم فيجترونهم الى المزيد من المكابرة والعناد واللجاجة.. وعليهم والّا يستفزوا غرورهم وكبرياءهم فمداراتهم واجبة علينا كما هي واجبة مدارة أي مريض في جسمه.

ومن أراد العلاج لنفسه فليكثر من تلاوة سورة الكافرون.. وأن يطلب من الله الشفاء.

---

(١) سورة الزمر: الآية ١٨.

الكذب

قال لي معلمي:

كان في حيّنا رجل لا يعرف الكذب.. ولذا كان يصدّق كل ما يقال اذكر مرّة انني وبعض أهل المحلّة ذهبنا الى كربلاء للتشرف بزيارة مرقد سيد الشهداء الحسين عليه السلام.. وكان هو معناه أيضاً فلما عدنا قال له بعضهم في الطريق: هل حصلت يا «مشهدي علي» على صك الخلاص من نار جهنم.. لقد أعطانا الامام الحسين ورقة مكتوب فيها نجوتم من النار.. فهل عندك مثل هذه الورقة؟!

قال حزيناً: كلا.. ولكن لماذا حرمني سيد الشهداء من ذلك؟ لماذا ميز بيني وبينكم..

وعاد باكياً الى حرم سيد الشهداء.. أراد أحد الرفاق أن يرجعه أن يقول لـه: ان ذلك مجرد مزاح.. واننا كذبنا عليك ولو كانت عندنا ورقة من هذه لابرزناها.. تدخلت وقلت: دعوه وشأنه كان الافضل الّا تكذبوا عليه الآن وقد كذبتم فدعوه يزور مرّة أخرى فلعل قلبه يرتاح.

ومضت ساعتان ونحن ننتظر ثم عاد البناء مبتهجاً.. لقد حصلت على الورقة ولكن سيدي قال لا تبرزها لهم فقد يحزنوا.

كان «مشهدي علي» صادقاً وأنك لترى نور الاخلاص يشع من وجهه ولكن كان هناك رجل كذاب طالما كان يؤذيه.. وكان ذلك الرجل شقياً خسر ثقة الناس به.. أما «مشهدي علي» فقد كان غنياً موسراً وسعيداً في حياته.

وطالما كنت أفكر في هذين الرجلين وادركت أن صدق مشهدي علي جعله قريباً من الله وكانت ثقته بالله تصل إلى، درجة اليقين حتى أنه اذا طلب من الله أعطاه، فهو سعيد في الدينا مطمئناً الى مصيره في الآخرة، أما ذلك الكذاب فبعيد عن الله والله سبحانه لا يحب كل كذاب.. والله سبحانه لا يريد لعبده الكذب ولذا جاء في الروايات الكثير من الذم لهذه الصفة القبيحة والمرض الروحي الخطير.

فالكذب على الله سبحانه وعلى الانبياء والائمة الطاهرين يبطل الصوم.. بل انه اذا أعلن واعترف أمام الملأ أنه قد كذب على الله ورسله وان ما قاله عن الانبياء لا حقيقة له، لا يصح منه الصوم وعليه القضاء.

ولذا على الكتّاب والخطباء أن يتحرّوا الحقيقة والحق في كلامهم خاصّة فيما يتعلق بالآيات والروايات.

وقد قال أميرالمؤمنين علي عليه السلام: **«كذبُ السفير يولد الفساد ويفوت المراد ويبطل الحزم وينقص العزم»**[1].

والأسوأ من الكذب على الله سبحانه هو التكذيب به وبالانبياء والائمة الاطهار.

لأن تكذيب المؤمن يعني تسقيطه اجتماعياً وهو أسوأ من أمر لا حقيقة له.

وجاء في الأثر أن محمد بن الفضيل أحد أصحاب الامام الكاظم دخل عليه وقال له: جعلت فداك الرجل من أخواني يبلغني عنه الشيء الذي اكرهه فأسأله عن ذلك فينكر ذلك، وقد اخبرني عنه قوم ثقاة؟

فقال لي: يا محمد كذب سمعك وبصرك عن أخيك فان شهد عندك خمسون قسامة وقال لك قولاً فصدقه وكذبهم، لا تذيعن عليه شيئاً تشينه به وتهدم به مروته فتكون من الذين قال الله في كتابه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾»[2].

---

(١) غرر الحكم الفصل ٦٩ الكلمة ٤٠.

(٢) الكافي ٨ / ١٤٧.

واذا كان الكذب على الله ورسله يبطل الصوم فان التكذيب بالله وانبيائه كفر يخرج بالانسان من دائرة الايمان.. وقد انذر الله سبحانه المكذبين بعذاب اليم: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝١٥﴾[1].

(١) سورة المرسلات: الآية ١٦.

حقيقة الزهد

قال لي معلمي:

أعرف درويشاً يتصور نفسه ارتدى سبعة خرق تركية وترك كل شيء وراء ظهره كان يتردد عليّ مدّة من الزمن وقال في ما قال لي: لماذا يذمّ أهل المعرفة الزهّاد ويسخرون منهم؟

قلت له: «الزهد» اذا كان معناه الزهد بالدنيا والاعراض عن زخارفها وان لّا يكون المرء اسيراً لها تابعاً ذليلاً لاغرائها، ثم يكون في مقابل ذلك توجه الى الله عزوجل وايمان به سبحانه، فهذا أعظم ما يحصل عليه المرء في حياته الانسانية وهو زاد الانسان وقوّته في طريق التكامل والرقي الروحي.

أما اذا كان معناه الكسل وعدم الاكتراث لما يجري من حوله والاتكاء في أداء طقوس العبادة وقشورها وانتفاء الحب الالهي في كل ذلك فهذا معنى سلبي وخاطئ للزهد وأهل المعرفة يذمون هذا التصور ويذمّون من كان زاهداً بهذه الطريقة، لأنهم لا يعرفون معنى الحقيقة والحب والعرفان.

يقول الامام الصادقعليه السلام: «**ليس الزهد في الدنيا باضاعة المال ولا بتحريم الحلال، بل الزهد في الدنيا أن لا تكون بما في يدك أوثق منك بما في يد الله عز وجل**»[1].

---

(١) بحار الانوار ٦٧ / ٣١٠ ح٤.

وعن حفص قال: قلت لابي عبدالله الصادقﷺ: «جعلت فداك ما حدّ الزهد في الدنيا؟ فقال: قد حدّه الله في كتابه فقال عزوجل: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ان اعمل الناس أخوفهم بالله وأخوفهم له أعلمهم به واعلمهم به ازهدهم فيها»[1].

وقال سيدنا محمدﷺ: «**اذا رأيتم الرجل قد أعطي الزهد في الدنيا فاقتربوا منه فانه يلقى الحكمة**»[2].

قال الدرويش: اذا كانت دائرة الزهد تتسع لكل شيء حسب ما قلت بحيث لا يفرح بما أوتي فانه لن يكترث حتى أين سيكون مصيره في الجنة والنعيم أم في جهنم والجحيم.. ولن يكترث حتى لو خسر حب الله وأوليائه وهذا أسوأ من حالنا في الزهد! قلت: هنا يكمن خطأكم عندما تتصورون ان الزهد هو الاعراض عن كل شيء حتى عن الهدف الحقيقي وهو الوصول إلى مرحلة الفناء والقرب الالهي.. كلا ليس الزهد كما تتصور لأن الزهد ليس في ذاته هدفاً وانما هو وسيلة من أجل بلوغ القرب الالهي والفناء في الله.. نزهد في الدنيا لنربح الآخرة.

نعرض عن حب الدنيا لنفوز بحب المولى ولأن حب الدنيا لا ينسجم مع حب المولى ولأن الملاك لا يدخل مكاناً يعشعش فيه العفريت، علينا أن نزهد في الدنيا ولا نفتتن بزخرفها وهذا هو الطريق لبلوغ الفناء في الله فيكون حبنا في الله وبغضنا في الله.

ولذا جاء في الروايات عن السلف الصالح ان المعنى الحقيقي في الزهد يوجد في هذه الآية: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾.

فمعنى الزهد أنه لو خسر المؤمن الدنيا كلها بما فيها من أجل الوصول إلى الكمال الروحي فهو لا يأسى على شيء منها ومن كان هكذا لايفرح بما أوتي في دنياه لأنه لا يوجد في قلبه ذرة حب للدنيا.

---

(١) المصدر السابق / ح٨.

(٢) المصدر السابق / ح٩.

الزهد ومعناه الخاطئ

قال لي معلمي:

صادفت ذات يوم في الشارع صبياً عاقاً مع ابيه، عرفت ذلك من سلوكه مع والده.. قال له أبوه: لماذا فعلت هذا؟ وهو يجيب: لأنه يعجبني!

وعندما قال أبوه لماذا لم تفعل العمل الفلاني؟ قال الابن بوقاحة: لأنه لا يعجبني!

وهكذا استمر الأب مع ابنه، فالأب يقول شيئاً وهو لايجيب بأكثر من ذلك: يعجبني ولا يعجبني!

وتكدرت لهذا المشهد بشدّة.. كنت يومها شاباً ولذا عزمت في تلك اللحظة الّا أجيب أحداً بهذا الجواب أبداً.. وفي ليلتها رأيت في عالم الرؤيا شخصاً يقول لي: ان قبح العمل الذي قام به الصبي في شيئين:

الأول: عليه الّا يقوم بمايعجبه لأن قلبه في هذه السن لا يدرك النافع والضار من الاشياء ولأن النفس تجنح بطبيعتها إلى الراحة فإنها تجر المرء في أغلب الأحيان إلى ما يضرّه[1].

---

(١) عن الامام الكاظمعليه السلام قال: **«وكان أبو عبد الله عليه السلام يقول: لا تدع النفس وهواها فان هواها في رداها وترك النفس وما تهوى اذاها وكف النفس عما تهوى دواؤها»** جامع أحاديث الشيعة ١٣/٢٥١ ح٣٦.

الثاني: ان هذه الطريقة في التحدث مع الاكبر يعوزها الأدب، كما ان ترجيح المطلب الذاتي على مطلب الأب، أمر سيء جداً بل ويبعث على النفور.

والآن لو كان الطرف الآخر هو الله سبحانه وتعالى، يعني الخالق الذي لا يأمر بشيء إلّا فيه نفع للانسان ولا ينهى عن شيء إلّا وفيه ضرر عليه، تتضح لدينا الوقاحة أكثر.

وعندما نؤكد على أن الاحترام يتناسب تناسباً طردياً مع منزلة الانسان فان احترام الانسان لله، سيكون مطلقاً لأن الله هو الاكبر المطلق ولابد للانسان هنا إلّا أن يتلاشى أمام الله، يعني أن يتلاشى هواه الذاتي أمام إرادة الله سبحانه، وألّا يعصيه قيد شعرة ومقدار ذرّة..

هذه الكلمات سمعتها من شخص لم أعرفه في المنام.. فجأة وفي الحلم رأيت نفسي في بستان كبير مليء بأنواع الفاكهة ولأني كنت جائعاً جداً فقد رحت ألتهم الفاكهة الشهية.. فاكهة لم آكل مثلها أبداً!

وهناك تذكرت حديثاً لسيدنا محمدﷺ يقول فيه: «**طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعود لم يره**»[١].

وادركت حينها أن ذلك البستان هو ما وعدنا الله سبحانه يوم القيامة من أجل ترك الهوى.

لا استطيع أن أصف لك كم هي لذيذة تلك الفاكهة.. ما ازال أشعر بلذتها حتى الآن.

والأكثر من هذا هي تلك النشوة، التي غمرت روحي، لأني أدركت انني في بحبوحة من رضا الله سبحانه.. كما شعرت للحظات بأنني لديّ من القوّة ما استطيع أن أفعل كل شيء لأني استند إلى قدرة الله المطلقة.

وكأني بصوت العظمة الأحدية تدوّي في أعماقي: «**وعزتي وعظمتي**

---

(١) بحار الأنوار ٧٠/٧٤ ح١.

وجلالي وبهائي وعلوّي وارتفاع مكاني لا يؤثر عبد هواي على هواه إلّا جعلت همه في آخرته وغناه في قلبه وكففت عليه ضيعته وضمنت السموات والأرض رزقه وأتته الدنيا وهي راغمة»[١].

وفي هذه اللحظة انتبهت من نومي وكنت ما ازال اشعر بالكلمات تبعث في اعماقي الروح.. روح الحب الالهي.

قال لي معلمي:

كان شاب ما نفك يتودد اليّ ويطلب أن يكون تلميذاً عندي لتنمو روحه قال لي يوماً: لست لطيفاً بي ولا ادري لماذا؟ فأنت لا تعلمني شيئاً يساعدني في كبح شرور الهوى.. لا تعلمني ذكراً ودعاءً أو ورداً أستطيع به ترويض نفسي فلا تجرّني إلى المعاصي.

قلت له: أنت لاتعرف حتى الآن حقيقة نفسك ولا تعرف مدى قوتها فكيف تريد صراعها؟

ان من لا يعرف مدى قوة عدوه كيف يستطيع منازلته؟

النفس قوّة كبيرة تستطيع جرّ الانسان إلى الخطيئة.. النفس عفريت لا ينام. حتى الانبياء مع ما هم فيه من قدرة روحية يخشون نفوسهم ويستغيثون بالله من شرورها[٢].

ويقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: «ان رسول الله صلى الله عليه وآله بعث سريّة فلما رجعوا قال: مرحباً بقوم قضوا الجهاد الاصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر قيل: يا رسول الله وما الجهاد الأكبر؟ قال جهاد النفس ثم قال صلى الله عليه وآله: «**أفضل الجهاد من جاهد نفسه التي بين جنبيه**»[٣].

وعلى هذا فإن اردت جهاد نفسك فعليك أن تستعد بأكثر من هذا ولقد كان لي صديق سافر إلى الهند وذهب إلى المرتاضين هناك والتقى

---

(١) المصدر السابق ٦٧/ ٧٧ ح٨.

(٢) يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: **«ان نفسك لخدوع ان تثق بها يقتدك الشيطان إلى ارتكاب المحارم. ان النفس لأمارة بالسوء والفحشاء، فمن ائتمنها خانته ومن استأمن اليها أهلكته ومن رضي عنها وردته شرّ الموارد. وان المؤمن لا يمسي ولا يصبح إلّا ونفسه ظنون عنده فلا يزال، زاوياً عليها ومستزيداً اليها»** جامع أحاديث الشيعة ١٣/ ٢٤٦ ح١٢.

(٣) بحار الأنوار ٦٧/ ٦٥ ح٧.

معلماً لبعضهم فسأله: كيف يبدأ تلامذتك رياضتهم وما هي تعليماتك لهم؟ قال: اننا نختبر التلميذ في الأشياء التي يحبها أكثر والاشياء التي ينفر منها اكثر.. وعندما يتضح لدينا ذلك تأتي التعليمات بضد ذلك.. انظر إلى هذا مثلاً ـ وأشار إلى تلميذ بيده ملعقة كبيرة يحرك بها محتوى قدرٍ مليءٍ بالعذرة ـ انه حساس جداً يكاد يتقيأ اذا وقعت عينه على لعاب انسان.. لا يتناول طعامه إلّا بالشوكة والسكين وهنا أنت ترى كيف يعمل وفق هذه التعليمات لكي يتمرن على تحكمه بنفسه لا العكس!!

وهذا الآخر متكبّر ومغرور بثروته جاءنا وعرض علينا مالاً كبيراً مقابل تعليمه ورداً يستطيع أن يكبح أهواءه قلنا له: المال لا يصنع لك شيئاً إذا اردت أن تقهر نفسك فعليك أن تجلس في باب شركتك وتسأل الناس أن يتصدقوا عليك، أن تتسول من أجل تمريغ غرورك الفارغ بالتراب..

لهذا قلت للشاب.. هكذا يفعل المرتاضون الهنود وكل هذا من أجل تقوية أرواحهم وهم يفعلون ذلك عن طريق غير مشروع.. فإن اردت النجاح في جهاد نفسك عن طريق مشروع فما عليك إلّا أن تقاوم رغبات نفسك واهواءها.

وتعاليم الاسلام ليست اعقد مما يفعلون، سواء أكانت في اتجاه ايجابي يعني أداء الواجبات والمستحبات أو الاتجاه السلبي وهو ترك المحرمات والمكروهات.

كما ان هذه التعاليم الاسلامية مفيدة وتقرب الانسان من الله زلفى وتوفقه ليكون من شيعة أهل البيت عليهم السلام حقاً ومن انصارهم في الدنيا واحبابهم في الآخرة، وتزيل عن قلب الانسان الحجب الظلمانية وتضع خطاه في الصراط المستقيم وتوصله إلى المقصود.

وقرر الشاب أن يبدأ جهاده الاكبر، بشهامة الشباب المؤمن وقال: سأقوم بكل ما من شأنه أن يكبح هوى النفس، حتى لو اضطرني ذلك إلى القيام بما يقوم به الهنود..

قلت له: ان أردت أن تغلب هواك فكن شديداً على نفسك، لان سيدنا محمداً صلى الله عليه وآله يقول: «**لا يكون العبد مؤمناً حتى يحاسب نفسه اشدّ من**

محاسبة الشريك شريكه والسيد عبده»[1].

ويقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: **«غالب الهوى مغالبة الخصم خصمه وحاربه محاربة العدو عدوّه لعلك تملكه»**.

قال لي معلمي:

كنت ليلة مستغرقاً في صلاة الليل.. لا ادري اذا كنت في صلاة الوتر أو نهضت لاقامتها.. شعرت بأن ريحاً تهبّ خارج البيت وكانت شدّتها تزداد وتزداد حتى استحالت إلى عاصفة...

اقتربت من النافذة فاذا الاشجار القديمة تكاد تجتث من مكانها.. (بقية الحكاية لا ادري اذا كانت في عالم الرؤيا أم كانت حالة من المكاشفة).

ثلاثة أشخاص واقفون وسط العاصفة وكان أحدهم قوياً فارع الطول والثاني متوسطاً ولكن الثالث كان من الضعف والهزال بحيث كان يميد والعاصفة تكاد تقذف به بعيداً ولكن الرجل القوي الفارع أمسك به وانقذه.

وفي هذه الاثناء رأيت شخصاً واقفاً حذاء النافذة يقول لي:

اذهب وكن قوياً إن اردت المجد   فعالم الطبيعية يسحق الضعفاء

وتمكن ذلك الرجل الفارع من النجاة بنفسه وانقاذ الرجل الضعيف، وما اشقى الذي لا يستطيع انقاذ نفسه ولا مد يد العون لآخر؛ وعلى الأقل أن يصبح المرء كالرجل الثالث الذي استطاع انقاذ نفسه فلا يقذفه الطوفان بعيداً أو يُضرب عرض الجدار.

وفي هذه اللحظة انتبهت إلى نفسي وعدت إلى سجّادتي وكنت ما ازال تحت تأثير المشهد العاصف، حتى أني لا أدري هل صليت الوتر أم لا؟

وحتى استفيد من هذه المكاشفة بأقصى ما يمكن، جلست على سجادتي واستغرقت في التأمل والفكر.

تذكرت قبل سنوات ثلاثة من تلامذتي سافروا إلى أوروبا للدراسة

---

(١) بحار الانوار ٦٧/ ٧٢ ح٢٢.

وكانوا جميعاً مهندسين ارسلوا إليّ ثلاث رسائل متشابهة في مضمونها في غضون سنة وفيها شرح عن حياتهم في أوروبا وناسها واحتمالات الجدل مع أهل الاديان والمذاهب هناك وفي جوابي كتبت لهم ثلاث رسائل مختلفة..

فمثلاً كتبت لأحدهم وكان البعد الروحي في شخصيته قوياً ما يلي:

بسمه تعالى

تستطيع أن تقذف نفسك في قلب العاصفة في خضم العقائد المختلفة وتستطيع أن تجادل اصحاب المذاهب وتدعوهم إلى الاسلام وهذا من أعظم واجباتك، ذلك أن سيرك إلى الله قد تم وقد آن لك أن تبدأ السفر الثاني وهو من الحق إلى الخلق[١].

ثم ذكرت له روايات تتحدث عن أهمية التبليغ من أجل الاسلام (وهي موجودة مفصّلة في كتابي «الاتحاد والحب»).

وقد نفذ مهمته على أكمل وجه وتمكن من دعوة المئات إلى ديننا الاسلامي الحنيف.

وكتبت للآخر وهو في الحالة الروحية أقل من الأول ما يلي:

بسمه تعالى

لا ينبغي لك الجدل مع اصحاب المذاهب والاديان وواجبك الوحيد أن تحافظ على نفسك وتصونها من الوقوع في مهاوي الانحراف والسير في طريق التكامل الروحي. أنت والحمد لله في قوّة من الروح ولن يستطيع أحد زعزعة ايمانك.

وذكرت له روايات وآيات تنهى عن خوض الجدل مع الكفار والمشركين والحمد لله استجاب لما أمرته، فظل يقاوم ما حوله من تيارات الانحراف والتشكيك.

---

(١) للتفصيل راجع نظرية الاسفار الاربعة للفيلسوف الايراني ملا صدرا، كتاب الامام الخميني ثورة العشق الالهي (المترجم).

أما الثالث وكان ضعيفاً روحياً فينطبق عليه ما جاء في الأحاديث في تصنيف الناس.. همج رعاع اتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح[١].

وقول الامام الصادقعليه السلام: **«الناس على ثلاثة عالم ومتعلم وغثاء فنحن العلماء وشيعتنا المتعلمون وسائر الناس غثاء»**[٢].

ولذا كتبت إليه ما يلي:

بسمه تعالى

اعتزل الناس ما دامت روحك ضعيفة ولا تتقحم هنا وهناك حتى تطوي سيرك إلى الله.

يقول أمير المؤمنين عليعليه السلام: **«أيها الناس طوبى لمن لزم بيته واكل كسرته وبكى على خطيئته وكان من نفسه في تعب والناس منه في راحة»**[٣].

ويقولعليه السلام أيضاً: **«قال عيسى بن مريم: طوبى لمن كان صمته فكراً ونظره عبراً وسعه بيته وبكى على خطيئته وسلم الناس من يده ولسانه»**[٤].

ويقول أيضاً: **«يأتي على الناس زمان تكون العافية فيه عشرة أجزاء تسعة منها في اعتزال الناس وواحدة في الصمت»**[٥].

وهكذا كتبت له من الآيات والروايات ما يحثه على اعتزال الناس وقد عمل بها والحمد لله فقد حفظه الله من الانحراف.

وهنا ينبغي التذكير بنقطتين هامتين:

الأولى: ربما يكون الانسان ضعيفاً روحياً فالمطلوب هنا حفظه من الأخطار باعتزاله الناس.

وربما كان ضعيفاً وهو يريد السير في طريق الكمال، فاذا خالط الناس عجز عن السير في هذه الطريق فهو يعتزل الناس.

---

(١) نهج البلاغة، الحكمة ١٤٧.

(٢) الخصال للصدوق / باب الثلاثة.

(٣) بحار الأنوار ٦٧/١٠٩ ح٤.

(٤) المصدر السابق ح٦.

(٥) المصدر السابق ح٧.

وفي الحالة الثانية فان وجود الاستاذ والمربّي ضروري للتلميذ حيث المراقبة الكاملة الجادّة فلا يدعه يختلط بالناس ليكون قلبه متوجهاً لله وحده وشيئاً فشيئاً يأنس بالله.

يقول الامام الصادق: «**ان الله عز وجل أوحى إلى نبي من أنبياء بني اسرائيل ان احببت أن تلقاني غداً في حظيرة القدس فكن في الدنيا وحيداً غريباً مهموماً محزونا مستوحشاً من الناس، بمنزلة الطير الواحد الذي يطير في أرض القفار ويأكل من رؤوس الاشجار، ويشرب من ماء العيون فاذا كان الليل أوى وحده ولم يأو مع الطيور استأنس بربّه واستوحش من الطيور**»[1].

ويقول الامام أبو محمدعليه السلام: «**من آنس بالله استوحش من الناس**»[2].

هذه الروايات تخص حال الذين هم في بدء الأنس بالله تعالى وإلّا فإن من استأنس بالله، لا يهمه ولا يتأثر باختلاطه مع الناس وقد قال تعالى ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[3].

فمثل هؤلاء مع الله دائماً سواء أكانوا بين الناس أو كانوا وحيدين، لأن اتصالهم الدائم والوثيق بالله سبحانه يجعلهم في حالة مناجاة دائمة ومستمرة فيجدون من لذة الأنس ما لايمكن وصفه ومن الطمأنينة ما لا تستطيع مؤثرات الدنيا أن تلهيهم عما هم فيه.

يقول الامام الصادقعليه السلام: «**ما من مؤمن إلّا وقد جعل الله له ايمانه أنساً يسكن اليه حتى لو كان على قلّة جبل لم يستوحش**»[4].

ومن هنا اذا بلغ الانسان مرحلة القرب الالهي فلا ضرر عليه من الاختلاط بالناس، بل انه سيدعوهم إلى الله وطريق الهداية أما اذا لم يبلغ بعد مرحلة الأُنس التام فالعزلة له أفضل لأنها تصقل روحه.

---

(١) المصدر السابق ١٠٨ ح١.

(٢) المصدر السابق ١١٠ ح١١.

(٣) سورة النور: الآية ٣٧.

(٤) بحار الانوار ٦٧/١١١ ح١٤.

الثانية: ربما يكون الشخص وبعض من صفاته الروحية قوية وبعض آخر ضعيف جداً ولا يستطيع ضبط نفسه، فإنه قد يصل مرحلة الكمال الروحي بصفاته القوية، فإذا تعذر عليه ذلك في الدنيا، فانه يبلغ الكمال في عالم البرزخ وستتلاشى نواقصه الجزئية.

غير أنه من الأفضل أن يتكامل المرء في الدنيا ولا يتحمل ضغوط عالم البرزخ، والتكامل في الدنيا لا يتم إلّا برفع الحجب الروحية.

إن نسيت لا انس يوماً كنت فيه جالساً في المسجد الحرام وأتأمل في الناس وهم يطوفون حول الكعبة الشريفة، فوقعت عيني على رجل متمثل لي من خلال سيرته نصفه حيوان كاسر والنصف الآخر انسان.

وتوضيح ذلك أنه من جهة من أهل الفناء فهو ينصب العداوة لآل البيت عليهم السلام فتمثل لي ذلك جانبه الحيواني، حتى تعجبت كيف سمحوا له بدخول المسجد الحرام، لكنه من جهة أخرى تمثل انساناً لأن فيه صفات طيبة أخرى من قبيل السخاء والرأفة، فلما اتصلت به عرفت أنه لا يضمر المحبة والمودّة لأهل البيت ولكنه في الوقت نفسه انسان فيه صفات حسنة كالسخاء والكرم والطيبة، ومثل هكذا انسان ناقص روحياً عسير عليه أن يتكامل في عالم البرزخ لأن اسوأ الصفات الروحية، ما يتعلق بالعقائد المعوجة؛ أما الانسان الذي عقيدته صحيحة وفيه من صفات النقص فسيكون نصيبه التكامل في عالم البرزخ.

السيد الحميري شاهد على ذلك

أبو هاشم اسماعيل بن محمد الحميري الملقب بـ «سيد الشعراء» ولد في عمان[1] سنة ١٠٥هـ ونشأ في مدينة البصرة في اسرة اباضية حتى اذ بلغ عقل وشعر هجر اسرته ثم غادر البصرة إلى الكوفة واخذ فيها الحديث عن الاعمش وعاش متردداً بين البصرة والكوفة.

توفي في بغداد في خلافة هارون الرشيد سنة ١٧٣هـ واعظم ما في حياته هو موقفه الشجاع في انتخاب مذهب أهل البيت عليهم السلام في زمن رديء

---

(١) لسان الميزان ١/٤٣٨.

وقد فجر حماسه للمذهب الامامي ومظلومية أهل البيت شاعرية فذة جعلته في طليعة شعراء عصره.

جاء في الأغاني عن فضيل بن الرسان قال: دخلت على جعفر بن محمد الصادق عليه السلام اعزّيه عن عمّه زيد (الشهيد) ثم قلت ألا أنشدك شعراً؟ فقال: «أنشد» فأنشدته قصيدة يقول فيها:

فالناس يوم البعث راياتهم ... خمس فمنها هالك أربع
قائدها العجل وفرعونها ... وسامريّ الأمّة المفظع
ومارق من دينه مُخْدِجٌ ... أسودُ عبدٌ لُكعٌ أوكَعُ
وراية قائدها وجهه ... كأنه الشمس إذا تطلع

فسمعت نحيباً من وراء الستور، فقال: من قائل هذا الشعر؟

فقلت السيد. فقال: «رحمه الله» فقلت جعلت فداك اني رأيته يشرب الخمر! فقال «رحمه الله فما ذنب على الله أن يغفره لآل علي، ان محبّ عليٍّ لا تزلّ له قدم إلّا تثبت له أخرى»[١] وفي مناسبة أخرى سمع الامام يقول عنه: «شكراً لك يا اسماعيل قولك».. «يلحق مثله التوبة، ولا يكبر على الله أن يغفر الذنوب لمحبّنا ومادحنا»[٢].

وروى أبو الفرج في الأغاني أيضاً: عن زيد بن موسى بن جعفر عليه السلام أنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في النوم، وقدامه رجل جالس عليه ثياب بيض فنظرت إليه فلم أعرفه، اذ التفت إليه رسول الله فقال: يا سيّد أنشدني قولك:

لأم عمرو باللوى مربع ... طامسة أعلامها بلقع

فأنشده إياها كلّها ما غادر منها بيتاً واحداً، فحفظتها عنه كلها في النوم.

قال أبو اسماعيل وكان زيد بن موسى لحّانة رديء الانشاد، فكان اذا انشد هذه القصيدة لم يتعتع فيها ولم يلحن[٣].

---

(١) الاغاني ٧/ ٢٧٢.

(٢) أخبار السيد الحميري / ١٥٩.

(٣) الاغاني ٧/ ٢٥١.

والقصيدة كما يلي:

لأمِّ عـمـروٍ بـالـلـوى مَـرْبَـعُ — طـامـسـةٌ أعـلامُـهـا بـلـقـعُ
تـروع عـنـهـا الـطـيـرَ وحـشـيّـةٌ — والـوحـشُ مـن خِـيـفـتـه تـفـزعُ
رُقشٌ يـخـافُ الـموت من نفثها — والـسـمُّ فـي أنـيـابـهـا مُـنـقَـعُ
بـرسـم دارٍ مـا بـهـا مـؤنـسٌ — إلّا صـلالٌ فـي الـثـرى وُقَّـعُ
لـمّا وقفتُ العيسَ في رسمها — والـعـيـنُ مـن عِـرفـانِـه تـدمعُ
ذكرتُ من قد كنتُ ألـهـو بـه — فـبِـتُّ والـقـلـبُ شـجٍ مـوجـعُ
كـأنَّ بـالـنـار لِـمـا شَـفّـنـي — مـن حُـبِّ أَروى كـبـدي تُـلْـذعُ
عـجـبـتُ مـن قـوم أتَـوا أحـمـداً — بـخُـطّـةٍ لـيـس لـهـا مـوضـعُ
قـالـوا لـه لـو شئتَ أعـلَـمْـتَـنا — إلـى مـنِ الـغـايـةُ والـمـفـزعُ
إذا تُـوفِّـيـتَ وفـارقـتَـنـا — وفـيـهـمُ فـي المُـلـك من يطمعُ
فـقـال لـو أعْـلَـمْـتُـكُـمْ مَـفـزَعـاً — كنتمْ عَسَيتُم فيه أنْ تصنعوا
صنيعَ أهل العِجْلِ إذ فارقوا — هـارونَ فـالـتّـرك لـه أوسـعُ
وفـي الـذي قـال بـيـانٌ لـمـن — كـان إذا يـعـقـلُ أو يـسـمـعُ
ثـمَّ أتـتـهُ بـعـد ذا عَـزْمـةٌ — مـن ربِّـه لـيـس لـهـا مَـدفـعُ
بـلِّـغ وإلّا لـم تـكـن مُـبْـلِـغـاً — والـلّـهُ مـنـهـم عـاصـمٌ يـمـنَـعُ
فـعـنـدهـا قـامَ الـنـبـيُّ الـذي — كـان بـمـا يـؤمـرُ بـه يَـصـدعُ
يـخـطِـبُ مـأمـوراً وفـي كـفِّـهِ — كـفُّ عـلـيٍّ ظـاهـرٌ تـلـمـعُ
رافـعـهـا أكـرم بـكـفٍّ الـذي — يـرفـع والـكـفُّ الـتـي تـرفـعُ
يـقـول والأمـلاك مـن حـولـه — والـلّـه فـيـهـم شـاهـدٌ يـسـمعُ
مـن كـنـت مـولاه فـهـذا لـه — مولًى فلم يرضَوا ولم يقنعوا
فـاتّـهـمـوهُ وحَـنَـتْ فـيـهـمُ — عـلـى خـلاف الـصـادق الأضـلـعُ
وضـلَّ قـومٌ غـاظـهـم فـعـلُـهُ — كـأنَّـمـا آنـافـهـم تُـجـدعُ
حـتـى إذا وارَوْهُ فـي لَـحـدِهِ — وانـصـرفـوا عـن دفـنـه ضـيّـعـوا
مـا قـال بـالأمـس وأوصـى بـه — واشـتـروا الـضـرَّ بـمـا يـنـفـع

وروى أبو الفرج في الأغاني أيضاً: ان أبوي السيّد كانا اباضيين (فرقة من الخوارج) وكان منزلهما بالبصرة في غرفة بني ضبّة، وكان السيد يقول: طالما سبّ أميرالمؤمنين علي عليه السلام في هذه الغرفة، فإذا سئل عن

التشيع من أين وقع له؟ قال: غاصت عليّ الرحمة غوصاً.

وروي عن السيد أن أبويه لما علما بمذهبه همّا بقتله، فأتى عقبة بن سلّم الهنائي فاخبره بذلك، فأجاره وبوّأه منزلاً وهبه له فكان فيه حتى ماتا فورثهما.

وروى المرزباني[1] عن مروان الحفار عن أبيه وكان أصدق الناس أنه قال شكا اليّ السيّد ان أمه توقظه بالليل وتقول: إني أخاف ان تموت على مذهبك فتدخل النار؛ فقد لهجت بعليّ وولده فلا دنيا ولا آخرة. ولقد نغّصت عليّ مطعمي ومشربي وقد تركت الدخول اليها وقلت أنشد قصيدة لها:

آل أهل بيت ما لمن كان مؤمنا	من الناس عنهم في الولاية مذهب
وكم من شفيق لامني في هواهم	وعاذلة حبّت بليل تؤنب
تقول لوم تقصد وتعتب ضلّة	وآفة أخلاق النساء التعتب
فقلت دعيني لن أصبّر مدحة	لغيرهم ما حج لله أركب
اتنهيني عن حب آل محمد	وحبهم ممّا به اتقرّب
وحبهم مثل الصلاة وانه	على الناس من بعد الصلاة لأوجب

وروى أبو الفرج عن عليّ بن إسماعيل التميمي عن أبيه قال: كنت عند أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام إذا استأذن آذنه للسيّد فأمره بإيصاله، واقعد حُرَمَه خلف ستر، ودخل فسلّم وجلس، فاستنشده فأنشد قوله:

أُمرر على جَدَثِ الحسيـ	ـن فقل لأعظمه الزكية
يا أعظُماً لازلت من	وطفاء ساكبة روية
فإذا مررت بقبره	فأَطِلْ به وَقْفَ المَطيَّة
وابك المطهر للمطهـ	ـر والمطهَّرة النقية
كُبكاء معولة أتت	يوما لواحدها المنية

قال: فرأيت دموع جعفر بن محمد تتحدُّر على خدَّية، وارتفع الصراخ والبكاء من داره، حتى أمره بالإمساك، فأمسك. قال: فحدّثت أبي بذلك

---

(١) أخبار السيد الحميري / ١٥٤.

لّما انصرفت، فقال لي: ويلي على الكيسانيّ الفاعل ابن الفاعل يقول:

فـــإذا مـــررت بـــقـــبـــره ... فـأَطِـلْ بـه وَقْـفَ الـمَـطـيَّـة

فقلت: يا أبت وماذا يصنع؟ قال: أولا ينحر؟! أو لا يقتُل نفسه؟! فثكلته أمّه[1]. لاغاني.

ويقول ابن المعتز في طبقات الشعراء[2]: حدّثني محمد بن عبد الله قال: قال السدري راوية السيِد: كان السيِّد أوَّل زمانه كيسانيّاً يقول برجعة محمد ابن الحنفيّة، وأنشدني في ذلك:

حتى متى وإلى متى ومتى المدى ... يا بن الوصيّ وأنت حيٌّ ترزقُ

والقصيدة مشهورةٌ. وحدثني محمد بن عبدالله قال: قال السّدريّ: ما زال السيِّد يقول بذلك حتى لقي الصادقﷺ بمكّة أيّام الحجِّ، فناظره وألزمه الحجّة، فرجع عن ذلك، فذلك قوله في تركه تلك المقالة ورجوعه عمّا كان عليه:

تـجـعـفـرت بـاسـم الله والله أكـبـر ... وايـقـنـت أن الله يـعـفـو ويـغـفـر
ويـثـبـت مـهـمـا شـاء ربّـي بـأمـره ... ويمحو ويقضي في الأمور ويقدر

وفي حديث موته مكرمة خالدة تذكر مدى الدهر وتقرأ في صحيفة التاريخ مع الأبد. قال بشير بن عمّار: حضرت وفاة السيِّد في الرميلة ببغداد، فوجّه رسولاً الى صفِّ الجزّارين الكوفيِّين يُعلمهم بحاله ووفاته، فغلط الرسول فذهب الى صفِّ السموسين (كذا) فشتموه ولعنوه، فعَلِم أنه قد غلط، فعاد إلى الكوفيِّين يُعْلِمهم بحاله ووفاته فوافاه سبعون كفناً. قال وحضرنا جميعاً وإنه ليتحسّر تحسّراً شديداً وإن وجهه لأسود كالقار وما يتكلّم، إلى أن أفاق إفاقة وفتح عينيه فنظر الى ناحية القبلة ـ جهة النجف الأشرف ـ ثم قال يا أميرالمؤمنين، أتفعل هذا بوليِّك؟ قالها ثلاث مرّات مرَةً بعد أخرى.

قال: فتَجَلّى والله في جبينه عرقٌ بياض، فما زال يتّسع ويلبس وجهه

(١) الأغاني: ٧ / ٢٦٠.
(٢) طبقات الشعراء / ٣٣.

حتى صار كلّه كالبدر، وتوفّي فأخذنا في جهازه ودفنّاه في الجنينة ببغداد، في خلافة الرشيد[١].

وقال أبو سعيد محمد بن رشيد الهروي: إنَّ السيد أسودَّ وجهه عند الموت، فقال: هكذا يُفعل بأوليائكم يا أميرالمؤمنين؟ قال: فابيضَّ وجهه كأنّه القمر ليلة البدر، فأنشأ يقول:

أُحِبُّ الذي من مات من أهل وُدِّهِ ... تَلَقَاهُ بالبُشرى لدى الموت يَضحكُ

ومن مات يهوى غيره من عدوِّهِ ... فليس له إلّا إلى النار مسلَكُ

أبا حسنٍ أفديك نفسي وأُسرتي ... ومالي وما أصبحتُ في الأرض أملِكُ

أبا حسنٍ إنّي بفضلك عارفٌ ... وإنّي بحبلٍ من هواك لممسِكُ

وأنت وصيُّ المصطفى وابن عمِّهِ ... فإنّا نُعادي مُبغضيك ونترُكُ

ولاحٍ لَحاني في عليٍّ وحزبِهِ ... فقلت: لحاك الله إنّك أعفَكُ

مُواليكَ ناجٍ مؤمنٌ بَيِّنُ الهدى ... وقاليكَ معروفُ الضلالةِ مشركُ

قال المرزباني في أخبار السيد[٢]: إنَّ السيِّد حجَّ أيام هشام فَلَقي الكميت فسلَّم عليه، وقال أنت القائل:

ولا أقولُ إذا لم يُعطيا فدكاً ... بنتَ الرسول ولا ميراثه كَفَرا

الله يعلمُ ماذا يأتيانِ به ... يوم القيامة من عُذرٍ إذا حضرا

قال: نعم قلته تقيّة من بني أميّة، وفي مضمون قولي شهادة عليهما أنّهما أخذا ما كان في يدها.

فقال السيِّد: لولا إقامة الحُجّة لوسِعَني السكوت، لقد ضَعُفتَ يا هذا عن الحقِّ. يقول رسول الله ﷺ: «**فاطمة بضعة مني يريبني ما رابها، وإنَّ الله يغضب لغضبها ويرضى لرضاها**» فخالفت رسول الله ﷺ. وهب لها فدكاً بأمر الله له، وشهد لها أميرالمؤمنين والحسن والحسين وأمُّ أيمَن، بأنّ رسول الله ﷺ أقطَع فاطمة فَدَكاً فلم يحكما لها بذلك، والله تعالى يقول:

---

(١) الأغاني ٧ / ٢٧٧.

(٢) أخبار السيد الحميري: ص١٧٨.

﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾[1]. ويقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾[2]. وهم يجعلون سبب مصير الخلافة إليهم الصلاة وشهادة المرأة لأبيها؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**مروا فلاناً بالصلاة بالناس**» فصُدِّقت المرأة لأبيها ولا تصدّق فاطمة وعليٌّ والحسن والحسين وامُّ أيمن في مثل فَدَك، وتُطالبُ مثل فاطمة بالبيِّنة على ما ادَّعت لأبيها، وتقول أنت مثل هذا القول!

رحم الله السيد الحميري واسكنه فسيح جناته التي وعد بها عباده المخلصين.

(١) سورة مريم: الآية ٦.

(٢) سورة النمل: الآية ١٦.

رفع الشك وايجاد اليقين

قال لي معلمي:

في ليلة الثالث والعشرين من شهر رمضان المبارك ومن أجل تعزيز حالة اليقين في قلبي، قرأت سورة القدر المباركة ألف مرّة[1]. فجأة أضاء لي لحظة معنى قول أميرالمؤمنين عليه السلام: «**لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً**»[2].

وقد اشاعت هذه الحالة في نفسي انتشاءً وطمأنينة وشعرت بلذة القرب الالهي بشكل لا يوصف.

وغمرتني حالة من الايمان بالله وولاية صاحب الزمان وبكل حقائق ومعارف يوم القيامةوبلغ ايماني درجة اليقين التام، بحيث لو تظاهر علي مئات الفلاسفة وجاؤوني بأدلّة محكمة في ظاهرها ما تزعزع ايماني قيد شعرة.

لقد اصبحت من الذين تحدث عنهم القرآن الكريم بقوله:

﴿لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾[3].

﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝٧﴾[4].

﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[5].

(١) مفاتيح الجنان / ٢٣٥.

(٢) غرر الحكم ٢ / ٦٠٣ ح١.

(٣) سورة الرعد الآية ٢.

(٤) سورة الدخان الآية ٧.

(٥) سورة السجدة الآية ٢٤.

﴿وَبِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾[1].

ليت هذه الحالة تدوم معي..

ليتها لا تفارقني لحظة واحدة.

ولكن ماذا أفعل وليلة القدر، تنطوي معها تلك الحالة من الصفاء. في الصباح بكيت من أجل «ولي العصر» بكيث كثيراً، فتلقى قلبي إلهاماً ان دواءك لاستعادة تلك الحالة يكمن في المداومة على قراءة سورة «الصافات».

فرحت أقرأ هذه السورة كل ليلة وكانت فوائدها وآثارها تطالعني باستمرار.

والآن اريدك أن تصغي لما أقول:

في الليلة الأولى أدركت أن من مقومات اليقين أن لا تخشى أحداً الا الله.

عن أبي بصير عن أبي عبد الله الصادقعليه السلام قال: «**ليس شيء الّا وله حدّ: قلت: جعلت فداك فما حدّ التوكل؟ قال اليقين. قلت فما حدّ ألیقين؟ قال: أن لا تخاف مع الله شيئاً**»[2].

وهذا الموضوع عقلي ومنطقي وانتهيت الى أن القرآن الكريم يقول: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[3].

في الليلة الثانية لم يحصل شيء ولعل ذلك يعود الى ترددي على محافل مختلفة وتحدثي باشياء لا طائل من ورائها، حيث الصمت والسكوت من شروط التكامل الروحي.

وعلى كل حال كان الليل في الهزيع الأخير، عندما أضاء قلبي وعرفت من ضرورات اليقين، أن لا ترضي الناس بسخط الله وأن المؤمن الحق لا تأخذه في الله لومة لائم.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٤.

(٢) بحار الانوار ٦٧ / ١٤٣ ح٦.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٧٥.

يقول الامام الصادق عليه السلام: «**من صحة يقين المرء المسلم أن لا يرضي الناس بسخط الله**»[1].

في الليلة الثالثة وفي شطرها الأول وبعد أن قرأت سورة الصافات ادركت ان العمل القليل مع اليقين أفضل من العمل الكثير في غياب حالة اليقين.

كانت ليلة زاخرة بالفيض، لأن ما ادركته كان مهماً في تكامل روحي، وعندما ارشدت تلامذتي الى ذلك جاءت النتائج مبشرة بالخير.

أعرف شاباً في مشهد وكان طالما يصلّي الصبح قضاءً ولم يكن مرتباً في أداء عباداته، ذات ليلة شتائية ظل الشاب يحيي الليل في حرم الامام الرضا عليه السلام وفي تصوّره أنه سيجبر ما فاته خلال اسبوع.

قلت له: أتدري ماذا تشبه في حالك؟

قال: لا.

قلت: انك تشبه حال من لا يأكل طعاماً حتى اصابه المرض، ثم أراد التعويض عن ذلك فراح يلتهم الطعام التهاماً حتى مرض أيضاً.

ان روح الانسان كبدنه تريد غذاءً في وجبات منظمة وفي وقت مناسب.

يقول الامام الصادق عليه السلام: «**ان العمل الدائم القليل على اليقين أفضل عند الله من العمل الكثير على غير يقين**»[2].

ويقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: «قليل مدوم عليه خير من كثير مملول منه»[3].

وادركت في تلك الليلة ان مراقبة النفس ومحاسبتها قد آتى ثماره، لأني حصلت على حالة اليقين في مطلع الليل. والسير والسلوك يستوجبان استمرار المحاسبة.

---

(١) بحار الانوار ٦٧ / ١٩٧ ـ ١٩٨.

(٢) بحار الانوار ٦٧ / ١٤٧ ح٨.

(٣) المصدر السابق.

في الليلة الرابعة. عندما قرأت سورة الصافات غمرتني حالة نورانية من اليقين واستمرت هذه الحالة حتى اليوم التالي وكانت تشيع في روحي وقلبي شفافية وصفاءً وانكشفت حقيقة الرزق وأنه مقسوم وان على المؤمن الّا يحمل همّاً لرزقه لأن الله سبحانه ضمن رزق عباده.

يقول الامام الصادقعليه السلام: «**ولو أن أحدكم فرّ من رزقه كما يفرّ من الموت لادركه رزقه كما يدركه الموت**»[1].

الليلة الخامسة كانت ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك وقد اوشك هذا الشهر الكريم على الرحيل، واذا لم أوفق في تثبيت يقيني في هذا الشهر فلن أوفق بعده الى ذلك.

لذا بذلت كل جهدي تلك الليلة وطلبت من الله بعد قراءة سورة الصافات أن يثبت يقيني، ويكون حالي واحداً في الليل والنهار. ولأني قرأت في الليلة الفائتة دعاء اليوم السادس والعشرين فقد رحت اردده على مدى ساعات ذلك اليوم: «**اللهم ارزقني التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل حلول الفوت**»[2].

وقد أثر الدعاء في تضاعف يقيني في يوم القيامة، الى حدّ أصبحت لا أخشى الموت ولا أخاف من العدو إذ وصلت الحالة التي وردت في زيارة أمين الله: «**اللهم فاجعل نفسي مطمئنة بقدرك راضية بقضائك**».

وشعرت بأن دعائي قد استجيب.

وعندها ادركت العلاقة بين ولي الله وامنية الموت؛ قال الله عزوجل في سورة الجمعة: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٦﴾[3].

وفي تلك الليلة المباركة، ادركت ان اليقين يجعل من الانسان حبيباً

---

(١) المصدر السابق / ١٤٣ ح٧.

(٢) مفاتيح الجنان / ٢٣٦.

(٣) سورة الجمعة: الآية ٦.

يشتاق لقاء حبيبه والى روح وريحان وجنّة ونعيم، إلي لقاء الله عزوجل وهو زمن الوصال ونهاية الفراق والشقاء والمعاناة والخلاص من السجن وانتهاء الامتحان.

فكيف لا يشتاق العاشق لقاء معشوقه ويتمنى لقاءه؟!

ومنذ تلك الليلة اصبحت لا أهاب شيئاً وتساوى ليلي ونهاري وكنت أواجه الاخطار بقلب ثابت..

وربما تذكرت هذه الحالة التي ترددت في كتب الحديث والأخبار.

عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «كان قنبر غلام علي يحبّ علياً حباً شديداً فإذا خرج علي خرج على أثره بالسيف فرآه ذات ليلة فقال: يا قنبر مالك؟ فقال: جئت لأمشي خلفك يا أمير المؤمنين. قال: ويحك أمن أهل السماء تحرسني أو من أهل الأرض؟ فقال: لا بل من أهل الأرض. فقال: ان أهل الارض لا يستطيعون لي شيئاً الّا باذن الله من السماء فارجع فرجع»(١).

وعنه عليه السلام: «**ليس شيء إلا له حد قال: قلت: جعلت فداك فما حدّ التوكّل؟ قال اليقين قلت: فما حد اليقين؟ قال: ان لا تخاف مع الله شيئاً.**

وقال: إنّ محمد بن الحنفية كان رجلاً رابط الجأش، وكان الحجاج يلقاه فيقول له: لقد هممت أن أضرب الذي فيه عيناك، فيقول: كلّا ان لله كل يوم ثلاثمائة وستين لحظة فأرجوا أن يكفيك بإحداهنَّ»(٢).

قال لي معلمي:

طالما فكرت وأنا في مطلع شبابي في معنى «عين اليقين» و«حق اليقين» ولماذا يعدّهما الاساتذة أعلى مرتبة من «علم اليقين»؟

وتحققت في بعض كتب الحديث والقرآن المجيد وأهل العلم في هذا الفن وحصلت على بعض المعلومات، لكني سأنقل لك رؤيا رأيتها وهي تخص هذا الموضوع.

---

(١) بحار الانوار ٦٧ / ١٥٨ ح١٥.

(٢) بحار الانوار ٧٠ / ١٨٢ باب اليقين والصبر على الشدائد في الدين.

رأيت رجلاً عليه سيماء علماء اليهود جاءني ليردّني بأدلّته من دين الاسلام الى اليهودية وكنت ومع الأسف لا أملك ردّاً على ادلّته، غير أني من اليقين بحقانية الاسلام ما جعل سعيه في ذلك هباءً وعندما صحوت انتابني احساس من ينجو من براثن حيوان كاسر.

في هذه اللحظات شعرت بمعنى حق اليقين في نفسي، فعندما استيقظت من نومي كانت درجة اليقين في نفسي حقيقة كحقيقة الشمس في رابعة النهار أو كمن يحاول أن يقنعني بأن الوقت ليل دامس، فيما أنا مغمور بأشعة الشمس.

أو كمن يؤمن بأن الخيانة سيئة فيأتي آخر ليقول له إنها أمر حسن!

فأية حالة يعيش هذا الانسان؟

هكذا كانت حالي في الرؤيا يعني أن ذلك اليهودي يحاول ان يملي عليَّ خلاف اليقين والحق في نفسي.

فهل تجدي مئات الادلة الفلسفية والعلمية نفعاً لاقناعك بأن الظلم خير وعليك أن تقبل بذلك؟

قطعاً لا.

أنا ايضاً رفضت اليهودية ورفضت أن تكون أفضل من ديني الحق دين الاسلام.

وعلى أيِّ حال لقد أدركت من خلال الرؤيا معنى حق اليقين ولعلك أدركت أنت أيضاً ذلك من خلال الامثلة التي ذكرتها.

ولقد كان بعض الاصدقاء ينقل لي مشاهداتهم في الهند في عاشوراء وكيف يقوم الشيعة الهنود بالسير فوق الجمر والنار بل والتقطوا لهذه المشاهد المحيرة صورا تذكارية.

لكني وفي عام ١٤٠٢ هـ كنت حاضراً في «احمد آباد» الهندية ورأيت بعيني هذه الكرامات العجيبة وادركت الفرق بين مرحلتي علم اليقين وعين اليقين ولذا كنت اردد تلك الليلة الحق أن تقول رأيت لا أن تقول سمعت.

ولعلك فهمت بهذا المثال أيضاً مراحل اليقين.. أشار القرآن الكريم الى ثلاث مراحل في ذلك، فمرة نرى القرآن يقول:

﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝﴾[1].

ومرّة يقول عز من قائل: ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝﴾[2].

ثم تأتي المرحلة الثالثة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ۝﴾[3].

وهذه هي مرحلة الكمال الروحي، حيث يتدفق نبع الطمأنينة في القلب وتكون حركة الانسان الى المقصود حركة منتظمة صاعدة.

(١) سورة التكاثر: الآية ٥.

(٢) سورة التكاثر: الآية ٧.

(٣) سورة الواقعة: الآية ٩٥.

خشية الله

اعرف شاباً حباه الله باليقين التام؛ ايمان كامل بالمبدأ والمعاد وخوف من الله وخشية منه، يقشعر بدنه وتسيل دموعه.. فإذا نهض للصلاة اضطرب واصفر لونه، وصادف ان صلى ذات يوم الى جانبي فلما انفتل من صلاته سألته: مم تخاف؟

قال: أتسألني وأنت المعلم؟! ولقد تعلمت منك وجوب الخوف من الله عزوجل!

قلت: اتخاف من عدل الله؟! أم تخاف أن يجور عليك؟

قال: لا من هذا ومن ذاك لأن العدل لا خوف منه والله سبحانه منزه عن الظلم، ولكني أحب الله واخشى أن يصدر عني عمل يطردني بسببه المحبوب.

قلت له احسنت وبارك الله فيك وهذا هو خوف الأولياء، وكلما عرف الانسان ربّه أكثر وتضاعف حبه له أكثر فكثر خوفه وتضاعفت خشيته.

وهذا اللون من الخوف هو خوف العاشق من معشوقه وخشية المحبّ من محبوبه.

وكان هذا الشاب قبل أن تصل حالته الى ما هي عليه يحبني حباً عظيماً، فكان يزورني يومياً ويظهر لي حبّه لي وكان ذلك ما جعلني أتحدث اليه بما ذكرت آنفاً.

ذات يوم وكانت صحتي ليست على ما يرام ولم أكن في وضع يساعدني على تحمل زيارته، فرأيت الاضطراب قد بدا عليه فسألته: لماذا انت مضطرب هكذا؟!

قال: مذ رأيتك استقر حبك في قلبي والى جانب هذا الحب شعرت بخوف عجيب ينمو في نفسي كلما تضاعف حبي لك، وخوفي الّا يصدر مني عمل يحملك على طردي أو يتضاءل حبك لي أو اسقط من عينك.. أقول هذا لأني رأيت فتوراً في جوابك سلامي، فتضاعف خوفي من احتمال طردك لي وهذا ما جعلني اضطرب.

قلت له: ليس الأمر كما تتصور وان حبي لك كما هو، ومنزلتك كما هي ولكني كما ترى لست على ما يرام صحياً.

وانك لتعرف ذلك فأنت أهل المحبة.. ألا تلاحظ أن المرء عندما يصادف صديقاً طيباً فانه في المرحلة الأولى من علاقته يأخذ منه ميثاقاً وعهداً على الّا يخون ويغدر بالصداقة وأن الحبّ الذي بينهما يستمر. فلو رأى المحبوب تقصيراً منه ما أخذ عليه شيئاً أو رأى قصوراً ما عتب عليه بل ذكره بالعهد فلا يحدث ما يكدّر بينهما.

وهذا ناشيء من الخوف الذي يستشعره المحب من محبوبه والعاشق من معشوقه، ولوجود هذا اللون من الخوف يطيع الانسان محبوبه فيسير بسيرته ويستلهم صفاته وأعماله، ولذا كلما زادت معرفة الأولياء بالله اكثر تضاعف خوفهم منه عز وجل.. خوف من غفلتهم لحظة عن ذكره، فهم وإن كانوا يعتقدون ان محبوبهم رؤوف ورحمان رحيم، فهم في نفس الوقت يعيشون حالة الخشية الّا يصدر عنهم ما يستوجب غضب المحبوب، فهم في سرهم يبكون وينوحون ويطلبون من الله العفو عن قصور منهم أو تقصير يصدر عنهم، فهم يطلبون العفو من الله لكسب رضاه، وهم لا يطلبون غفران ذنوبهم للنجاة من النار بل خشية من غضب المحبوب الذي يعشقون.

ذات ليلة حلمت أني زرت محبوباً أفديه بروحي وهو من الرأفة ما لم أر له نظيراً ولكني كنت أخشاه فكلما غمرني برحمته ولطفه ازدادت خشيتي منه.. كنت أخشى اعمالي وشيطاني أن يبعدني عنه.

وقد ورد في حكاية مجنون ليلى أنه التقاها في منزل فجلس العاشق قرب معشوقه وكان يبكي فقيل له: اليست ليلى بقربك فلم البكاء؟!

قال: أخاف أن يأخذوها مني!

فكل عاشق ينعم بالوصل ويعرف قدر المحبوب، يراوده شعور الخوف أن يفقد محبوبه!

فأنت تحصل على شيء ثمين ثم يخامرك احساس وهو خوف فقدانه فتحافظ عليه وهذا مثال يقرب معنى خوف الاولياء من محبوبهم.

أنا نفسي ذات يوم وقد كنت اتلو آيات من القرآن الكريم اذ احسست للحظات بالفناء وامتلأت نفسي رهبة بسبب العظمة الالهية وغمرني احساس بالخوف أن أفقد هذه الحالة وادركت معنى الآية: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ ... ﴾ ﴿مَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾[1].

فخوف الاولياء هو خوف المحبّ ان يخسر محبوبه، لأنه لا محبوب لهم سواه وهو الحبّ الحقيقي وما عداه حب مجازي.

يقول الامام الصادق عليه السلام: «**من عرف الله خاف الله ومن خاف الله سخت نفسه عن الدنيا**»[2].

وقال عليه السلام لأحد أصحابه: «**يا اسحق خف الله كأنك تراه وان كنت لاتراه فهو يراك، وان كنت ترى أنه لا يراك فقد كفرت، وان كنت تعلم انه يراك ثم برزت له بالمعصية، فقد جعلته من أهون الناظرين عليك**».

وليكن في علمك ان الاولياء عندما يخافون من العذاب الالهي ويخشون السقوط في جهنم، ليس لأهوال العذاب التي سيلقون بل من فراق المحبوب فهذا عندهم أمرّ وآلم وخوفهم لا من ألسنة النار بل من مفارقة رحمة الرحمن.

يقول أمير المؤمنين.. في دعائه: «**وهبني يا إلهي صبرت على حرّ نارك فكيف أصبر عن النظر الى كرامتك فبعزتك يا سيدي ومولاي أقسم صادقا لئن تركتني ناطقا لاضجن اليك ضجيج الآملين.. ولأبكين عليك بكاء الفاقدين ولاناديتك أين كنت يا ولي المؤمنين يا غاية آمال العارفين.. يا حبيب قلوب الصادقين**»[3].

---

(١) سورة النازعات: الآية ٤٠.

(٢) بحار الانوار ٦٧ / ٣٥٦ ح٣.

(٣) دعاء كميل.

أجل إن علياً عليه السلام يرى أنه يمكن تحمل عذاب الجحيم ولكن من المستحيل تحمل فراق الرحمن الرحيم، وألم الفراق اصعب من ألم العذاب.

تم الجزء الاول والحمد لله وما ورد فيه هو حول تزكية النفس والنجاة من أمراض الروح رواية عن معلمي واستاذي.

وسيليه باذن الله قسم آخر يتعلق بالمعارف والحقائق وهي أيضاً رواية عن المعلم واهميتها كبيرة في السير الى الحقيقة والسلوك الى الله عز وجل.

آمل أن يتزود منه السائرون الى الله.

نهاية الجزء الاول

بين يديّ الأستاذ

تأليف
السيّد حسن الأبطحي

ترجمة: كمال السيد

الجزء الثاني

مقدمة الجزء الثاني

لا ريب ان لاولياء الله وبسبب انسهم به سبحانه إلهام ومكاشفات ومشاهدات فالله عز وجل هو مصدر الالهام والمكاشفة والمشاهدة وهو سبحانه القائل: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ۝٥١ ﴾[1].

فمن الممكن ان يوحي الله سبحانه الى عباده من الاولياء كما أوحى الى أم موسى وهي ليست نبية أو يحصل ذلك عن طريق المكاشفة التي هي الالهام او الكلام من وراء حجاب كما جاء في القرآن الكريم.

ومن هنا فإذا استقى الاستاذ أو المعلم كلامه عن طريق المكاشفة ثم جاءت الروايات والآيات تعزز من ذلك، فقد نهض كلامه على قاعدة صلبة لا تدحض، ذلك أن كل شيء لا ينهض الاّ على دعامتين مستقلتين وأي ضعف في دعامة منها لا تسدّه الدعامة الأُخرى ولا تعوضه، كما أن المكاشفة على نوعين:

الاولى: الكشف عن الحقائق العلمية التي تنبع غالباً عن الالهام والحكمة الالهية وهذا النوع يدعى «مكاشفة العلم» أو «مكاشفة الحال».

الثاني: وهو المكاشفة الأخرى ورؤية المناظر الطبيعية والاشخاص في عالم الخلسة او ما بين الصحوة والنوم وهذا النوع يسمى: «مكاشفة العين».

وهنا أرى من اللازم أن اشير الى نقطة في «مكاشفة العلم» وهي

(١) سورة الشورى: الاية ٥١.

تتعلق بسائر مواضيع هذا الجزء، مما لا يتيسر هضمه للبعض وهذه النقطة هي مكاشفة حصلت لي..

في احدى الليالي الزاخرة بالبركة وقبل أن آوي الى فراشي بعد عبادة مختصرة، قفزت الى ذهني مواضيع فلسفية كنت قد قرأتها في أيام الشباب وكنت أقارن بينها وبني آيات قرآنية وروايات معتبرة، فأجد بينها تناقضات كثيرة.

وفي حالة المكاشفة ادركت ان الفلسفة مجموعة مواضيع تعتمد الفهم البشري لحقائق الاشياء، أو العلم بحقائق الاشياء بحسب طاقة البشر[1].

أما الحكمة فهي مجموع المواضيع التي تعتمد الوحي أو الالهام في فهم حقائق الاشياء ومصدرها الرسل الالهيين واولياء الله وبحسب حاجة البشر في حياتهم؛ وعلى هذا فان الحكمة تشتمل على حقائق القرآن الكريم وما جاء عن الائمة المعصومين عن طريق علم يقذفه الله في قلب من يشاء.

وتوضيح ذلك انه في تعريف الفلسفة لم يقل أحد من أهل الاختصاص ان الفلسفة تشتمل على الوحي والالهام الالهي وما جاء به الانبياء، بل ان الجميع يعترفون بانها علم بحقائق الاشياء خاضع للفكر والفهم البشري.

وقد نبغ من العلماء في هذا الحقل كثيرون: سقراط وافلاطون قديما وانشتاين وراسل حديثاً، كما وتعددت المذاهب الفلسفية فتجاوزت الثمانين بعد المئة[2]. وكلها تستند الى الفهم البشري ومن هنا ندرك سرّ اختلافها الشديد وتناحرها وتاقضها مع بعضها البعض، مما يؤكد بشريتها وعدم استنادها الى منابع الغيب والالهام الالهي.. ذلك لو أننا جمعنا كل الانبياء فلن نجد أقل اختلاف في افكارهم واقوالهم، لأنهم جميعاً يستقون من مصدر واحد وهذه الظاهرة في التوحد دليل على حقانية طريق الانبياء وان كلماتهم انما هي وحي يوحى وهذا يعني انهم ينطوون على الحكمة والتي مصدرها الله سبحانه.

---

(١) موسوعة دهخدا الايرانية.

(٢) ارتباط انسان وجهان بالفارسية عدّ منها ١٨٧ مذهباً.

فالحكمة وكما وردت في القرآن الكريم هي بيان حقائق الاشياء والمعارف الحقة، من خلال الاستناد الى الوحي والله سبحانه هو مصدر الحكمة ولذا نراه سبحانه يقول:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾(1).

﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾(2).

ويقول تبارك وتعالى: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾(3).

ويقول عز من قائل: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾(4). والخطاب لعيسى عليه السلام.

وقوله تعالى عن ابراهيم الخليل عليه السلام: ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾(5).

وقوله تعالى عن النبيين عليهم السلام: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾(6).

كما ورد في الاحاديث الشريفة هذا المعنى وهو أن مصدر الحكمة الوحيد هو الله سبحانه وتعالى وقد جاء في الأثر: «**من أخلص لله اربعين صباحاً جرت ينابيع الحكمة على قلبه**».

ومن هنا فما يرد في هذا الكتاب من مكاشفات بعنوان حكمة فهو يستند الى آيات القرآن الكريم والروايات المأثورة عن اهل البيت عليهم السلام.

---

(1) سورة لقمان الآية ١٢.

(2) سورة الاسراء الآية ٣٩.

(3) سورة البقرة الآية ٢٦٩.

(4) سورة آل عمران الآية ٤٨.

(5) سورة النساء الآية ٥٤.

(6) سورة البقرة الآية ١٢٩.

قصتي

قال لي معلمي:

عندما طويت مراحل السير والسلوك وتخلصت من الرذيلة واجتزت مراحل التوبة وبلغت الاستقامة على الصراط وجاهدت نفسي وادركت معنى العبودية، وعندما انتزعت حب الدنيا من قلبي، بل انتزعت نفسي منها بحيث استطيع أن أغمض عيني عن كل شيء في الطريق الى الله، وعندما قمت بواجبي فلا غش ولا خيانة، ولا رياء ولا كذب في وجودي ولا بخل ولا حسد في حياتي، وعندما لم أعد أعرف التباهي والزهو وعرفت نفسي خادماً للناس أقول الحق واصغي اليه، عندما فعلت كل هذا رأيت نفسي ذات ليلة وبالرغم من ظلمة المكان وكنت ابكي شوقاً وحباً لله ولم أعد أعي هل أنا في يقظة أم في عالم بين اليقظة والنوم رأيت نفسي ورأيت المكان مليئاً بالنور.. ولم يكن هذا النور نور شمس كان أكثر بهاءً مما لو كان مستمداً من آلاف الشموع.

كان نوراً بهياً شفافاً..

رأيت نفسي انتقل فجأة من عالم مظلم الى عالم زاخر بالنور ومع ذلك فلم يؤذ عيني هذا الانتقال بل أصبح بصري أكثر حدّة وغمرني العالم الجديد الذي عشته بسيل من المشاعر التي لا يمكن وصفها.

ورأيت في غمرة النور طيفاً لم استطع تمييزه ولم اشعر بالرهبة بل سألته سؤالاً:

ـ من تكون؟

أجاب الطيف:

ـ أنا فاطمة بنت محمد رسول الاسلام.

قلت: انت أمي.. وأنا من ذريتك ونسلك.

أفترضين لي كل هذا العناء وكل هذه الدموع من أجل بلوغ الكمال؟

قالت: ان كل ابنائي وشيعتي ممن عزف عن حب الدنيا وعرف حق المعرفة وعرف من أين جاء وأين هو الآن والى أين يسير؟ سوف يصل الكمال الحقيقي..

وانت وإن انتزعت حب الدنيا من قلبك ونجوت من الرذيلة ولكن بقي عليك أن تعرف انوار الامام[1].

قلت: وهذه هبة منكم أهل البيت فعرفوني أعرفكم.

قالت: سآمر ولدي بقية الله ليدلك.

قالت ذلك ثم اختفى ذلك الجمال الالهي المضيء لكني سعدت بالوعد ورحت أنوح شوقاً الى اللقاء.

وتمر الشهور وأنا في انتظار؛ وقد بلغ بي الوجد مبلغه.. آه ما أصعب انتظار المعشوق.. لا أريد أن أقول:

«ما أكثر الوعود وأقل الوفاء».

أنا اعترض على هذا الشعر، لأن وعود الطيبين لا تعرف الغدر لا تعرف غير الوفاء.. ربما يكون الوفاء عاجلاً وربما يأتي آجلاً وهناك مصلحة ما اجهلها أنا.. وما حصل كان في مصلحتي.. أنا أعرف نفسي جيداً..

هذا الانتظار الطويل يزيد من اشعال الجمر.. جمرة الحب وعندما يأتي اللقاء فلن أغفل عن المعشوق لحظة واحدة، سأذوب فيه.

وعلى كل حال صبرت ولكن في عناء، لا أريد أن أقول كنت طريد الامام فصبرت صبراً قاتلاً.. في كل ليلة انتظر في نفس المكان الذي امتلأ بالنور المقدس وكنت أردد ذات الاذكار والأوراد واتضرّع بنفس كلمات تلك الليلة ولكن دون جدوى.

---

(١) قال رسول الله ﷺ **«من مات ولم يعرف امامه مات ميتة جاهلية»** بحار الانوار ٢٣ / ٧٨ ح٩.

حتى حانت تلك الليلة المنتظرة فبعد بكاء مرير وقد أغمي علي قلت بلهجة يعوزها الأدب:

لماذا هذه الجفوة؟ فوحقك يا سيدتي لو علمت أن ولدك على قمم دماوند[1] لذهبت اليه ولو كلفني ذلك حياتي.. ولكن كيف لي ذلك وأنا أجهل مكانه؟ فيا سيدتي لقد نفد صبري..

وسيدتي التي هي اعز علي من روحي لم تلتفت الى جسارتي في تلك الليلة، أخذت بيدي ووضعتها في كف سيدي والحبل المتين الذي يربط السماء بالأرض والأرض بالسماء.. آه يا بقية الله روحي وارواح العالمين لتراب مقدمك الفداء..

وغابت سيدتي بعد أن عرّفتني الامام[2].

قال لي معلمي:

في ليلة من ليالي الصيف وكنت مرهقاً بدنياً، أما روحياً فقد كنت في غاية النشاط وكنت ابث الحبيب همومي وأناجي معشوقي وخالقي والهي وربي، ثم انتبهت الى انني وبسبب جهلي تغيرت نبرة صوتي من مناجاة الى كلام وصياح وبالرغم من أن صوتي لم يكن عالياً ولكنه لم يكن متناسباً مع القرب الذي كنت استشعره، فالذي اناجيه أقرب الي من حبل الوريد، فكل صوت اذن سيكون كما لو انني أصرخ في اذنك.

اليس هو القائل: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾[3].

وهو القائل ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾[4].

فلم لا اناجيه خفية وهذا أعلى مرتبة في طريق الكمال من الذكر الجلي.

ومن تلك الليلة رحت اتحدث الى الهي الحبيب، بروحي وقلبي

---

(١) دماوند: أعلى قمة في ايران ٥٧٠٠م (المترجم).

(٢) سيأتي تفصيل ذلك فيما بعد.

(٣) سورة الاعراف: الآية ٢٠٥.

(٤) سورة غافر: الآية ١٩.

وكنت اتضرع اليه عاجزاً عن التعبير.

حتى أنست به وشعرت بلطفه يغمرني، فلم يعرض بوجهه الكريم عني وكان يرعاني بكل كبريائه وشموخه واعتلائه، يحدثني ويهديني سواء السبيل.

اليس هو القائل: ﴿يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾[1].

وهو القائل: ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ﴾[2].

والقائل: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾﴾[3].

ثم قال لي:

اتفكر في كيفية ذلك؟ تتساءل كيف يتحدث ربنا المحبوب معنا، اقول لك انه يحدثنا دائماً ونحن نعرض بوجوهنا عنه، حتى اننا لم نعد نتعرف صوته، سوف يخفق قلبك بعد أن تعرف حجم الظلم الذي ترتكبه بحقه.

والآن سأشرح لك وسوف تحترق بنار المحبوب، سوف تتفجر أو تنتبه الى حديثه حديث الحكمة ولن تمرّ كلمة واحدة من كلماته دون أن تسمعها.

قال لي معلمي:

اعلم ان اثنين يحدثاننا دائماً احدهما عدو لنا وهو الشيطان والآخر هو المحبوب وهو الرحمن ولأننا ومع شديد الأسف نصغي اكثر للشيطان فلم نعد نميز صوت الرحمن.

انت رأيت وساوس كثيرة.. ومع اننا لا نسمع صوتاً لكنها اصرح في ضجيجها من عدة اشخاص يدعوننا لأن نعمل المنكر، فكأن هناك قوّة ما تدعو ارواحنا، تقول لنا ان هذا الشيء بهذا الشكل وان علينا أن نفعل ذلك العمل اللاشرعي.

وكذلك بالنسبة لله عز وجل، فهو يحدثنا بلا صوت بل يشرق على قلوبنا بالحقائق ويحدثنا من وراء حجاب ونحن الذين نعرض عن كلماته

---

(١) سورة يونس: الآية ٢٥.

(٢) سورة العنكبوت: الآية ٦٩.

(٣) سورة الليل: الآية ١٢.

واشراقه ولا نميز كلماته وربما خلطنا بين الهامه لنا والوساوس فلا نلتفت اليه.

اليس هذا من الظلم ونحن ندعي الحب؛ أو ليس هذا وقاحة منا؟ أفلا يأسف المحبوب ان رأى ذلك ممن يدّعون الحب؛ أفلا يعرض عن هؤلاء الذين لا يراعون آداب المحبة؟

قال لي معلمي:

قبل سنوات وكنت حينها مستغرقاً في تهجدي وكان الوقت منتصف الليل، جلست تحت السماء الزاخرة بآلاف النجوم، كنت قد أديت النوافل وفي قنوت صلاة الوتر انتبهت إلى نفسي احدث الله سبحانه، فسمعت بقلبي صوتاً يقول لي: ادع لاصدقائك.. واطلب مني أغفر لك اعمالك السيئة.. هلم إليّ وتب..

وعندما فعلت ذلك، وجدت ابواب الرحمة تنفتح بوجهي، ليجعلني الله من المقرّبين.

والآن عليك الاّ تتصور ان الله تبارك وتعالى تحدث اليّ كما أتحدث اليك، لأني عندما اتحدث اليك احتاج إلى لسان وشفتين وإلى أمواج الهواء والى أذن تلتقطها وهي اذنك.. أما المحبوب وهو الله تعالى فلا يحتاج ذلك وهو يلقي كلماته في قلبي.

عليك أن تسعى فقط الى صقل قلبك ليتلقى الكلمات المقدسة[1].

قال لي معلمي:

ومن ذلك اليوم وأنا أعي أشياء في عالم الملكوت والنور المقدس لامام العصر يعلمني ما سأشرح لك بعضه.. وما عليك الاّ الاصغاء ففي ذلك ما يعينك على بلوغ الكمال والوصول إلى المقصود الحقيقي..

فإن ذكرت لك شيئاً فاعلم أنه من المعصوم الذي يدلّني سواء السبيل.

---

(١) انظر كتاب «ليالي مكة» ٣٩.

معرفة النفس

قال لي معلمي:

كم روضت نفسي كي اصبح انساناً كاملاً وكنت في لهفة لمعرفة هل وصلت إلى ذلك أم ما تزال النواقص في نفسي؟

ذهبت إلى أحد الأولياء، فلم يقبلني لما خطر من ذلك من الباطل في نفسي، لكني عانيت ما عانيت حتى استقبلني.

قال لي: كيف ظننت نفسك انساناً كاملاً؟! وكيف يكون ذلك وأنت لم تزل تجهل نفسك.. فلا تعرف من أين جئت وإلى أين جئت وإلى أين المسير!!

قلت: كيف لا أعرف من أين اتيت؟ من بطن أمي جئت إلى الدنيا وها أنا فيها ثم أموت وأدفن في قبر!

قال: ان روحك وهي حقيقتك، كانت في عالم الذر والارواح وها أنت الآن في عالم الامتحان وبعدها ستذهب إلى عالم البرزخ والقيامة.
قلت: لا أفهم شيئاً، صحيح ما تقوله أنا مركب ومطيتي بدني، وانني خلطت بين ذاتي وحيوانيتي.. أجل كل ما تقوله حق والآن ماذا أفعل؟

مسح على رأسي بحنان وقال: إن كنت على استعداد فهلم اصغ لما أقول.

قلت: أنا حاضر اصغي لما تقول وان شاء الله سأعي حديثك.

قلت: في البدء عليك أر تعرف نفسك.. من أنت وما أنت وماهي علّتك وما الذي يجب أن تفعله؟

ثم قام من فوره ففرّق بين روحي وجسدي وجعل كل طرف في

مكان، فكان بدني بلحمه وجلده وعظامه ودمه والروح النباتية التي تسري في عروقه.

وكنت أرى نفسي بعيدة منفصلة كمن يترجل عن مركبه، وكان بدني مجرّداً من كل شعور وحس فهو لا يسمع ولا يبصر، أما روحي فكانت تدرك ما يجري حولها والآن سأصف لك روحي:

أنا مخلوق من مخلوقات الله عز وجل، جسم لطيف شفاف جداً ورفيق كأرقّ ما يكون[1] ولي من النورانية كالمرآة فهي تعكس كل ما يقابلها من معاني وعلوم. علاوة على حفظها في الذاكرة. وأنا من أخمص قدمي إلى هامة رأسي بصير وسميع، ذلك أن الله سبحانه خلق الارواح من دون أن تتعلق بالابدان وهذه الأرواح ليست شيئاً سوى قوّة الادراك، تدرك بها المعارف، تتعلم كل شيء وتتلقى؛ تماماً كالمرآة تنعكس فيها صور الاشياء، فيما الارواح تنعكس فيها صور العلوم والمعقولات، كما أنها مثل عدسة التصوير تختزن ما ادركته.

وروح كل انسان وكل فرد من أفراد البشر، خلقت مستقلة عند غيرها وهي متساوية مع غيرها.

فلا يوجد أدنى امتياز في بدء الخلق، فروح اسعد الناس اليوم كانت متساوية مع روح اشقى الناس.

وقد خلقت ارواح بني أدم جميعاً إلى يوم القيامة، قبل خلق بدن آدم بنحو ألفي عام[2]، فالتحقت هذه الارواح بمدرسة النور المقدس، وكانت الملائكة خدمة في هذه المدرسة..

وتشكلت الصفوف المختلفة وانتظمت الدروس وكان أهم درس فيها هو معرفة الخالق والتوحيد. اضافة الى دروس أخرى في الاخلاق والصفات الانسانية واسرار العالم، حيث الحقائق القرآنية شاملة لكل علوم

---

(١) الامام الصادق عليه السلام **«والروح جسم رقيق قد البس قالباً كثيفاً»**، بحار الأنوار ٥٨/ ٣٤.

(٢) الامام الصادق عليه السلام: **«ان الله تبارك وتعالى خلق الارواح قبل الاجساد بألفي عام»**، بحار الانوار ٢٦/ ٣٢٠ ح٢، ٥٨/ ١٣١.

الخليقة وكان المعلمون فيها قديرون، فتخرجت أرواح البشر في مدّة الألفي عام.

وفي تلك اللحظات لم اكن اعي حالتي وكيف انفصلت روحي عن جسدي؟ هل استغرقت في النوم؟ هل مت؟ أم أن ما أراه هو مجرد خيال؟

فجأة قام بحركة سريعة فاذا به يخرجني من الدنيا، فلم أعد أرى بدني ونسيت كل ما يشدّني إلى هذا العالم الدنيوي وانفصلت عن جميع الاشياء، غير أن عينيّ ما زالتا مغمضتين؟

وفي تلك الاثناء وصلنا محلاّ، شممت فيه عبيراً يأخذ بالالباب وكنت اتلمس اشياءً فاكتشفها وأعرف هويتها فأشعر بلذة الاكتشاف تنعشني.

قال لي: افتح عينيك!

وعندما فتحت عيني، اذا أنا في غمرة النور واذا أنا أمام عظمة الخالق حيث تتجلى صفات الله ولم تكن هناك من فروق بينه وبين الله، إلاّ في صفات الذات خاصّة الازلية والاستقلال المطلق[1].

ولولا استحالة تحديد الله في مكان وزمان، لكان ذلك النور الذي أرى[2].

قلت: من هذا وما هذا؟

قال: هذه الروح والنور وقد خلق الله من هذه الروح المقدسة كل خير[3] فهو معدن الرحمة ونبع الفيض الالهي والسبب المتصل بين الله وخلقه[4] وارادة الله ومشيئته ومعلم البشرية والاسم الاعظم والعقل الكلّي والهادي إلى السبل[5].

---

(١) **«لا فرق بينك وبينها إلاّ أنهم عبادك»** مفاتيح الجنان دعاء الرجبية: ٢٤٠.

(٢) **«الحمد لله الذي منَّ علينا بحكّام يقومون مقامه»**، مفاتيح الجنان: ٣١٢.

(٣) عن جابر بن عبد الله قال: قلت لرسول الله ﷺ: **«أول شيء خلق الله تعالى ما هو؟ فقال: نور نبيك يا جابر خلقه الله، ثم خلق منه كل خير»** بحار الأنوار ٢٥/ ٢١ ح٣٧.

(٤) الامام الصادق عليه السلام: **«نحن السبب بينكم وبين الله عز وجل»** المصدر السابق ٢٣/ ١٠١ ح٥.
الامام الباقر عليه السلام: **«فنحن أول خلق الله وأول خلق عبد الله وسبّحه ونحن سبب خلق الخلق وسبب تسبيحهم وعبادتهم من الملائكة والآدميين»** المصدر السابق ٢٥/ ٢٠.

(٥) الامام علي عليه السلام: **«أنا عين الله وأنا جنب الله وأنا يد الله وأنا باب الله»** المصدر السابق ٢٤/ ١٩٤ ح١٦.

فمن عرفه عرف الله، ومن أحبه أحب الله[1]، وهو الامام المبين الذي أودع الله عز وجل كل العلوم فلا شيء مجهول عليه[2].

وظللت مشدوهاً أنظر إلى النور المقدس، الذي اشرق على قلبي حتى غبت عن الوعي.

لا أدري كم استمرت غيبوبتي.. الله وحده يعلم ذلك؛ ولكني عندما افقت وفتحت عيني، اختفى كل شيء مما رأيت وكنت في حالة انقباض روحي عجيب.. وكانت سلواي الوحيدة هذه الآية الكريمة: ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[3].

ذلك أن الله سبحانه هو القابض الباسط والله سبحانه هو الرحمة المطلقة كما أن الآية تصرّح بالعودة إلى الله سبحانه، فكيف لا أرضى؟!

ولكن كيف اصبر على القبض بعد البسط والفراق بعد الوصول؟!

فهذا الفراق أو القبض أمرّني فلا طاقة لي! وتمرّ أيام، ثم خطر لي أن اتوسل بالنور المقدس بالرغم من عدم تمكني لرؤيته في حال القبض والفراق..

وفعلت ذلك واجريت دموعي وذهبت إلى المحلّ الذي كان فيه وحي الله.. فغمرني بعطفه ومسح عن وجهي الدموع. سألته: لم تركتني وحيداً كل هذه المدّة؟

قال: لقد أبلغتك المقصود ودللتك على الحقيقة، وعليك أنت بعد هذا أن تسترشد بذلك النور المقدس وتجعل من قلبك مرآة لادراك المعاني.

قلت: انه لم يتحدث الي ولم يحفل بي!

---

(١) **«من عرفكم فقد عرف الله ومن أحبّكم فقد أحب الله»** الزيارة الجامعة.

(٢) سورة يس الآية (١٢): ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾.

(٣) سورة البقرة الآية ٢٤٥.

قال: انه معلّم الكل، انه يهتم بالجميع والله سبحانه جعله لنا ملاذاً وسفينة نجاة ومصباح هداية.. وهو موجود منذ آلاف السنين وقبل أن تولد كنت تدرس في حضرته، فكل ما نعرفه الآن هو منه. زخارف الدنيا هي التي انستك ايّاه فاصبحت لديه غريباً.

قلت: تحدث معي اكثر يا صديقي العزيز، لعلي اتعرّف اكثر على ذلك النور المقدس.

قال: لقد نسيته، لأن الله سبحانه عندما خلقك لم يكن لديك هذا الجسم الطيني، كنت روحاً مجرّدة وكل البشر كان هكذا.. كانوا أرواحاً بلا أبدان ليس لهم هذه الحياة النباتية[١].

اتذكر يوم التقيت النور المقدس؟ اتذكر كيف انفصلت عن مركبك الذي هو بدنك؟ هكذا كنت في ذلك العالم.

وهذا البدن الذي حللت فيه انما هو موقت وسوف يأتي يوم تخلعه وتتركه، ففي عالم البرزخ ليس لك بدن، وسوف يعود لك يوم القيامة ولكن في ظروف أخرى.

وليكن في بالك أنك بهذا البدن وخاصّة في وجود حبّك لهذا البدن لن تستطيع الاتصال بذلك النور المقدّس، لأن حبك لبدنك هو غفلة تبعد الانسان عن الحقائق والمعاني.

وعندما تريد الحضور في رحاب النور المقدس فعليك أن تترك مركبك الذي اسمه بدن في الحظيرة وتطهر نفسك من الدنس، لكي يمكنك الاتصال حينئذ بالنور المقدس.

قلت: كيف كنت ادرس في حضرته آلاف السنين؟

قال: عندما خلق الله روحك بل وارواح البشر جميعاً، لم تكن لديك إلاّ صفة واحدة وهي الادراك، فكنت تدرك المعقولات والمحسوسات

---

(١) بحار الانوار ٥٨/١٣١ باب خلق الارواح قبل الاجساد.

بشكل سريع وكان الناس يومئذ متساوين في هذه القوّة لكنهم لايعلمون شيئاً.

انهم كالمرايا تماماً فالمرآة تعكس صور الاشياء والروح الانسانية تنعكس فيها صور المعقولات وتختزن ما ينعكس فيها كالشريط المصور.

هذا من جهة ومن جهة أخرى ان الله سبحانه وتعالى خلق أنوار المعصومين قبل خلق الخلائق واودعهم أسرار العالم(١).

فكانوا بين يدي الله اطياف نور(٢).

ثم لما خلق الله الملائكة كانوا هم معلمين لهم(٣).

وان الله سبحانه بعد ذلك خلق ارواح البشر وأمرهم أن يتعلموا، فتعلمت الارواح التوحيد والأخلاق، فاستودعوا المعارف الحقة على مدى آلاف السنين(٤).

---

(١) الامام الصادق عليه السلام: **«يا مفضل كنا عند ربّنا ليس عنده أحد غيرنا.. حتى بدا له في خلق الاشياء، فخلق ما شاء كيف شاء من الملائكة وغيرهم ثم انهى علم ذلك الينا»** المصدر السابق ٥٧/١٩٦ ح١٤٢.

(٢) الامام الصادق عليه السلام: **«يا جابر ان الله أول ما خلق، خلق محمداً وعترته الهداة المهتدين فكانوا اشباح نور بين يدي الله»** المصدر السابق ١٥/٢٥ ح٤٧.

(٣) الامام الصادق عليه السلام: **«كنا أنواراً حول العرش نسبح الله ونقدسه حتى خلق الله سبحانه الملائكة فقال: لهم: سبحوا، فقالوا: ربّنا لا علم لنا، فقال لنا: سبحوا فسبحنا فسبحت الملائكة بتسبيحنا»** المصدر السابق ٢٥/٢١ ح٣٤.

النبي صلى الله عليه وآله في حديث: **«... ثم جعلنا عن يمين العرش فسبّحنا فسبحت الملائكة فهلّلنا فهللوا وكبرّنا فكبروا، فكل من سبح الله وكبره كان ذلك من تعليم علي»** المصدر السابق ٢٥/٢٤ ح٤٢.

(٤) **«فكنّا عنده مسلّمين بفضلكم ومعروفين بتصديقنا اياكم»** الزيارة الجامعة الكبيرة عن عبد الله ابن سنان قال: سألته (الامام الصادق) عن قول الله عز وجل ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ ما تلك الفطرة؟ قال: **«هي الاسلام فطرهم الله حين أخذ ميثاقهم على التوحيد»**.

وفي حديث زرارة عن أبي جعفر الباقر عليه السلام: وسألته عن قول الله عزو وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ قال (الباقر): **«أخرج من ظهر آدم ذرّيته إلى يوم القيامة فخرجوا كالذر فعرّفهم وأراهم نفسه ولولا ذلك لم يعرف أحد ربّه»** المصدر السابق ٦٤/ ١٣٥ ح٧٠٦.

قلت: فلم نسينا ما تعلمنا ولم نعد نذكر من ذلك شيئاً[1] قال: أنت مخطيء في ذلك، لولا ما تعلمته في ذلك العالم ما استطعت اليوم أن تدرك ما تدرك وتعي ما تعي من الحقائق والمعارف الحقة[2].

(١) أمير المؤمنين في ذيل الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ...﴾: ان الله سبحانه لما خلق آدم مسح ظهره فاستخرج ذريته من صلبه في هيئة الذر فالزمهم العقل وقرر بهم أنه الرب وانهم العبيد. تفسير البرهان ٢/ ٤٩ ح١٨.

(٢) عن عمارة قال: كنت جالساً عند أمير المؤمنين عليه السلام إذ اقبل رجل فسلم عليه، ثم قال: يا أمير المؤمنين والله أني لاحبك، فسأله ثم قال له: «**ان الارواح خلقت قبل الأبدان بألفي عام، ثم اسكنت الهواء، فما تعارف منها ثم ائتلف ههنا وما تناكر منها ثم اختلف ههنا**» بحار الأنوار ٥٨/ ١٣١ ح٢ باب خلق الارواح قبل الاجساد وعن بكير بن أمين قال: كان أبو جعفر الباقر عليه السلام يقول: «**ان الله أخذ ميثاق شيعتنا بالولاية لنا وهم ذرّ يوم أخذ الميثاق على الذرّ بالاقرار بالربوبية ولمحمد صلى الله عليه وآله بالنبوّة وعرض الله عزّ وجل على محمد أمته في الطين وهم أظلّة وخلقهم من الطينة التي خلق منها آدم وخلق الله أرواح شيعتنا قبل أبدانهم بالفي عام عرضهم عليه وعرفهم رسول الله صلى الله عليه وآله وعرفهم علياً ونحن نعرفهم في لحن القول**» المصدر السابق ٦١/ ١٣٥ ح١٠.

وعن زرارة قال سألت أبا عبد الله الصادق عليه السلام عن قول الله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ قال: ثبتت المعرفة في قلوبهم ونسوا الموقف ويذكرونه يوماً ولولا ذلك لم يدر أحد من خالقه ورازقه، تفسير البرهان ٢/ ٤٨.

قصة النور المقدس

قال لي معلمي:

كنت اقرأه الزيارة الجامعة يوماً من أعماق قلبي فانفتحت على انوار المعصومين المقدسة، وإذا هم يروون لي قصصهم بلسان الحال ومداليل الروايات:

كان الله ولم يكن معه شيء وكان سبحانه وحده وحده[(١)] ولم يكن موجود غيره، ثم شاء سبحانه أن يخلق الخلائق لتعبده[(٢)].

وخلق الله سبحانه أولياءه ليأنسوا به ويكونواخلفاءه ومرآة تتجلّى فيهم صفاته وخلق سبحانه أنوارنا ووهبنا أسماءً مختلفة.

فربما كنا اسماؤه العظمى أو أسماؤه الحسنى لنكون ادلّاء للخلق عليه[(٣)].

خلقنا الله قبل العالم بآلاف السنين وألهمنا مناجاته[(٤)].

---

(١) عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: جاء حبر من الاحبار إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: يا أمير المؤمنين متى كان ربك؟ قال: **«ثكلتك أمّك ومتى لم يكن حتى يقال متى كان؟ كان ربّي قبل القبل بلا قبل وبعد البعد بلا بعد ولا غاية ولا منتهى لغايته، انقطعت الغايات عنه، فهو منتهى كل غاية»** بحار الأنوار ٥٤/ ٨٢ ح٦٠.

(٢) حديث قدسي شريف: **«كنت كنزاً مخفياً فاحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي أعرف»**.

(٣) عن معاوية بن عمار عن أبي عبدالله عليه السلام **في قول الله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾، قال: «نحن والله الاسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملاً إلاّ بمعرفتنا»** اصول الكافي ١/ ١٧٧ باب ان الحجة لا تقوم لله على خلقه.. ح١.

(٤) عن معاذ بن جبل: ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال: **ان الله خلقني وعلياً وفاطمة والحسن والحسين قبل أن يخلق الدنيا بسبعة آلاف عام. قلت: فاين كنتم يا رسول الله؟ قال قدّام العرش** =

وكنا نتشرّب اخلاق الخالق فتتجلّى فينا صفاته الجمالية والجلالية.

فلو أن أحداً لا يعرف حقيقتنا، ما وجد فرقاً بيننا وبينه كما لو أنك تقف أمام المرآة لا تدرك الفرق بينك وبين الصورة في المرآة» [(١)].

ثم اطلعنا الله سبحانه على بعض غيبه وحجب عنا غيبه المطلق.

وقد ذكرت لك فيما مضى ان الله سبحانه احب ان يعرف، فخلق الخلق لكي يعرف.

قال لي معلمي:

سجدت يوماً لله لنعمه التي أغدقها ورحت احمد الله على كل نعمة تخطر في بالي، فكنت اهمس: الحمد لله رب العالمين؛ حتى اذا تألقت في ذهني نعمة الولاية لأهل البيت استغرقت في الحمد، حتى غشي علي وتمرّ لحظات فإذا النور المقدس يشرق على قلبي، فسألته عن هذه الآية: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾[(٢)].

وعن هذه الجملة في دعاء الندبة: «**وأودعته علم ما كان وما يكون إلى انقضاء خلقك**»[(٣)].

= **نسبح الله ونحمده ونقدّسه ونمجّده. قلت: على أي مثال؟ قال: اشباح نور**، بحار الأنوار ٤٣/٥٤ ح١٦.

(١) قال رسول الله ﷺ في حديث طويل: «**يا علي لولا نحن ما خلق الله آدم ولا حواء ولا الجنة ولا النار ولا السماء ولا الأرض وكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سبقناهم إلى التوحيد ومعرفة ربّنا عز وجل وتسبيحه وتقديسه وتهليله. لأن أول ما خلق الله عز وجل أرواحنا فانطقنا بتوحيده وتمجيده، ثم خلق الله الملائكة، فلما شاهدوا ارواحنا نورا واحداً استعظموا امرنا، فسبحنا لتعلم الملائكة انا خلق مخلوقون وانه منزّه عن صفاتنا، فسبحت الملائكة لتسبيحنا ونزهته عن صفاتنا، فلما شاهدوا عظم شأننا، هلّلنا لتعلم الملائكة أن لا إله إلاّ الله. فلما شاهدوا كبر محلّنا كبرنا الله لتعلم الملائكة ان الله اكبر من أن ينال وانه عظيم المحل، فلما شاهدوا ما جعله الله لنا من القدر والقوّة قلنا: لا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم، لتعلم الملائكة ان لا حول ولا قوة إلا بالله فقالت الملائكة لا حول ولا قوة إلاّ بالله. فلما شاهدوا ما أنعم الله به علينا واوجبه من فرض الطاعة، قلنا: الحمد لله لتعلم الملائكة ما يحق لله تعالى ذكره علينا من الحمد على نعمه، فقالت الملائكة الحمد لله، فبنا اهتدوا إلى معرفة الله تعالى وتسبيحه وتهليله وتحميده..**» مكيال المكارم ١/٣٣.

(٢) سورة يس: الآية ١٢.

(٣) مفاتيح الجنان.

وعن معنى هذه العبارة: «**إن ذكر الخير كنتم أوله وأصله وفرعه ومعدنه ومأواه ومنتهاه**» التي وردت في الزيارة الجامعة وكيف يكون هذا وقد جاء ان الله منع عنكم غيبه المطلق.

قال النور المقدس بلسان الرواية: هذا حق ان الله أودعنا العلم وسأوضح لك معنى هذا:

أتعلم ان الشمس ستشرق غداً في الصباح أم لا؟ قلت: نعم أعلم.

قال: فهل تعتقد ان في قدرة الله وارادته إلاّ تشرق الشمس غداً؟

قلت: اذا لم اعتقد ذلك كنت يهودياً وقد لعن الله اليهود لقولهم هذا[1].

قال: ان الله سبحانه يقول: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ ﴿٣٩﴾﴾[2].

قلت: هذا حق.

قال: وعلى هذا فان علم الغيب هو لله[3]، ولو أنا نعلم غيبه ويكون غير قابل للتغيير، فستكون يد الله مغلولة ولن يكون تصرّف في الخلق بعد الخلق، فغيبه سبحانه في مالم يخلق[4].

فنحن نعلم ما خلق الله، لأنا شهدنا الخلق وكنا واسطة ذلك فكيف لا نعلم ما شهدنا!

قلت: ما زلت اجهل تلك المعاني فلو أوضحت!

قال: ان كل ما هو في غيب المستقبل لا يعدو واحداً من ثلاثة:

---

(١) ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾سورة المائدة: الآية ٦٤

(٢) سورة الرعد: الآية ٣٩.

(٣) الامام الصادقؑ: «**نحن خزان الله على علم الله**» بحار الانوار ٢٦/١٠٥ ح٤.

وعنهؑ: «**يا مفضل تعلم انهم علموا ما خلق الله عز وجل وذرأه وبرأه وانهم كلمة التقوى وخزان السموات والأرضين والجبال والرمال والبحار وعلموا كم في السماء من نجم وملك ووزن الجبال وكيل ماء البحار وانهارها وعيونها وما تسقط من ورقة إلاّ علموها ولا حبّة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين وهو في علمهم وقد علموا ذلك**» المصدر السابق: ٢٦/١١٦ ح٢٢.

(٤) سورة الحجرات الآية ١٨: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

إما أن يكون وعداً، أو يكون وعيداً أو لا وعد ولا وعيد.

فالوعد لا يقبل التغيير ﴿وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾.

أما الوعيد فلان لطف الله سبحانه لا حدود له فلا يمكن القطع في علمه.

أما غير ذلك مثل طلوع الشمس الذي ذكرت لك.

فاعلم انه لو هبّت نسمة بعد مليارات السنين في كوكب من الكواكب فان علمها وحسابها عندنا وهذا كله بمشيئة الله سبحانه ولهذا ورد النهي لرسول الله ﷺ.

﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىٓءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذْكُر﴾[1].

قلت: الآن فهمت فداك أبي وأمي وفدتك نفسي.

(١) سورة الكهف الآية ٢٣.

العقل

قال لي معلمي:

وهناك سألت ذلك النور المقدس: فماهو العقل إذن وأين هو؟

قال: أول شيء خلقه الله من الروحانيات العقل ومنحه القدرة على التعبير.

قال: اقبل اليّ وابدأ المسير إلى الله واجعل مرآتك مقابل جمالي، لتكون تجلياً لكمالي. ففعل ذلك أي أقبل إلى الله فتجلت منه صفات الله. ثم قال الله سبحانه له: ادبر؛ فانطلق الخلق فإذا رأوه عرفوه فإن رغبوا جعلوا مرايا قلوبهم أمام جماله فتتجلى فيهم صفاته الكمالية، ففعل ذلك اذا كان مطيعاً لله عز وجل.

من أجل هذا قال الله عز وجل لما خلق العقل..

قال له: أقبل، فاقبل، ثم قال له ادبر فأدبر، ثم قال: وعزتي وجلالي ماخلقت خلقاً هو احب الي منك بك آخذ وبك اعفي وعليك اثيب[1].

«فخرّ العقل عند ذلك ساجداً فكان في سجوده ألف عام. فقال الربّ تبارك وتعالى: ارفع رأسك وسل تعط، واشفع تشفع.

فرفع العقل رأسه فقال: الهي اسألك أن تشفعني فيمن خلقتني فيه فقال الله جل جلاله لملائكته: اشهدكم أني قد شفعته فيمن خلقته فيه»[2].

---

(١) المصدر السابق ١/ ٩٧ ح٥.

(٢) المصدر السابق ١/ ١٠٧ ح٣.

قال لي معلمي: عندما سمعت كل هذا حول العقل استغرقت في التأمل وشعرت بالحيرة ما هو المقصود من العقل؟ هل هو أول مخلوق أم أعظم مخلوق أو أحب الخلق إلى الله أو مرآة تتجلّى فيه جميع صفات الكمال الالهي؟!

سمعت مرّة ان أنوار المعصومين فريدة وتذكرت يوم رأيت أنوارهم المقدسة تقول: ربما دعانا الله بالعقل الكلي فنحن اعلم مخلوقاته في تمييز الطيب من الخبيث فلعل المقصود من العقل هنا هم أولئك لذا سألت لأتأكد:

هل المقصود من العقل بهذه الصفات هو تلك الأرواح المقدسة؟ قال: كيف؟

قلت: لأن الله تعالى أول ما خلق ارواحهم وأن الله أول ما خلق العقل!

والشيء الآخر انني أظن ان أنوار المعصومين هم أعظم وأحب خلق الله ثم أرى أن العقل له هذه المزايا أيضاً؟

قال: لم أرد التصريح بهذا ولكن الحقيقة ليست إلاّ ما تظن، ان المقصود من العقل الذي هو أول ما خلق الله سبحانه هو تلك الأنوار المقدسة ولا شيء غيرها[1].

قلت: فلم وعيت الأنوار بالعقل؟

قال: لأنهم عقلوا من الجهل ولأن معرفة الله التامة تحصنهم وتعصمهم من المعصية، يعني أنه لا يوجد في وجودهم من الجهل مقدار ذرّة فكل شيء لديهم معلوم وكل شيء لديهم واضح فهم عبيد الله المخلصين. قلت: فهذا العقل الذي لدى الناس ما هو؟

قال: لقد قلت لك ان الله خلق روحك وهي تدرك الأشياء فأنت في

---

(١) قال رسول الله ﷺ: **«خلق الله العقل فقال له: ادبر فادبر، ثم قال له: اقبل فاقبل ثم قال: ما خلقت خلقاً احب الي منك»** فاعطى الله محمداً ﷺ تسعة وتسعين جزءاً ثم قسم بين العباد جزءاً واحداً.
المصدر السابق ١/ ٩٧ ح٦.
وقال ﷺ: **«أول ما خلق الله نوري»** وفي حديث آخر انه ﷺ قال: **«أول ما خلق الله العقل»** المصدر نفسه ١/ ٩٧ ح٧ و٨.

ذلك العالم عالم الأرواح، تعلمت حقائق الأشياء التي هي الحكمة، فعرفت الخبيث من الطيب والحسن من القبيح، فأنت في ذلك مثل أئمتك ومعلميك ولكن على قدر طاقتك عقلت من الجهل[(١)].

فأنت أيضاً تعلمت ذلك وهذا معنى الحديث في ما ورد عن قول الله عز وجل للعقل: ادبر فأدبر فأنت وأنت جزء من الناس كما المرآة تنعكس فيها الصفات الالهية فأنت جزء من المرآة.

فالمطلوب من الانسان ان يوجه مرآة قلبه نحو الجمال لتنعكس فيه وتختزن فيه الحقائق ويكون للانسان ذلك العقل الذي يعقله عن الجهل وعلى هذا فان عقلك هو تلك العلوم والحقائق التي تعلمتها وتميز الحسن من القبيح فكل من تعلم أكثر كان له من العقل نصيباً أكثر.

قال لي معلمي:

فسألت: وهل كان للبشر جميعاً نصيبَ من هذا التعليم؟ قال: لا، بعضهم تعلم كل هذه العلوم وعرف حقائق الأشياء وتمييز الحسن من القبيح والطيب من الخبيث، ولكنهم لم يفيدوا من تلك العلوم لا في عالم الذر ولا في عالم الدنيا وجعلوا مرايا قلوبهم في مقابل الجهل ونسوا ما تعلموه من العلوم العقلية ولهذا نرى الله سبحانه يذكّرهم: فتارة يخاطبهم: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[(٢)] وأخرى: ﴿أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾[(٣)] فهناك تعلموا لكنهم نسوا وقلبوا مرايا القلوب باتجاه الجهل[(٤)].

---

(١) قال النبيﷺ في جواب شمعون: وسؤاله: اخبرني عن العقل ما هو؟ وكيف هو؟ فقال رسول اللهﷺ : **«ان العقل عقال من الجهل والنفس مثل اخبث الدواب فان لم تعقل حارت، فالعقل عقال من الجهل»** المصدر السابق ١/١١٧ ح١١.

(٢) سورة البقرة الآية ٧٦.

(٣) سورة يس الآية ٦٠.

(٤) الامام الباقرعليه السلام: **«ان الله عز وجل خلق الخلق، فخلق من احب مما احبّ»** إلى أن يقول: **«ثم بعثهم في الظلال»**.

فقلت وأي شيء الظلال؟ فقالﷺ: **«الم تر إلى ظلك في الشمس شيئاً وليس بشيء؟ ثم بعث فيهم النبيين فدعوهم إلى الاقرار بالله عز وجل وهو قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ ثم دعوهم إلى الاقرار بالنبيين فأقر بعضهم وانكر بعضهم.**

=

قال لي معلمي:

سألت: لقد قلت لي ان بعضهم جعل مرآة قلبه مقابل الجهل، فهل الجهل مخلوق حتى يمكن أن يضع الانسان مرآة قلبه باتجاهه؟ قال: أجل وسأشرح لك حاله. ان الجاهل همّه آراء الناس وسأقول إن الشيطان.

إنه مقابل عقل لاجهل فيه، يعني الأنوار المقدسة وإن الله عندما خلقه كان اسمه الجهل[1].

فقال له: اقبل (أفد من العلوم والمعارف الحقة) فلم يقبل وعندما عصى الأمر الالهي قال له: استكبرت؟! فلعنه[2].

فأدبر ولم يقبل ووضع نفسه قبال البشر لتتجلّى صورته المشؤومة في مرايا قلوبهم[3].

ولذا فان الذين يجعلون مرايا قلوبهم في قباله، تنعكس صورته في قلوبهم فهم جهلة ولا نصيب لهم من العقل كمعاوية، وأما الذين يجعلون مرايا قلوبهم في قبال العقل فتنعكس صفاته الحميدة فيهم، فهم عقلاء وتتجلّى فيهم صفات العبودية[4] لله ويكون مصيرهم الى الجنة[5].

= ثم دعوهم إلى ولايتنا فأقرّ بها والله من أحب وانكرها من أبغض» وهو قوله تعالى: ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ﴾ ثم قال أبو جعفر: «كان التكذيب ثم..» المصدر السابق ٦٤/٩٨ ح١٦.

(١) قال الامام الصادق عليه السلام في حديث جنود العقل والجهل: «ثم جعل للعقل خمسة وسبعين جنداً، فلما رأى الجهل ما أكرم الله به العقل وما أعطاه اضمر له العداوة» المصدر السابق ١/١٠٩ ح٧.

(٢) البحار ١/١٠٩ ح٧.

(٣) عن الصادق عليه السلام في حديث صفات العقل وعلاماته: «ثم خلق الجهل من البحر الأُجاج ظلمانياً فقال له: ادبر فادبر، ثم قال له اقبل فلم يقبل» المصدر السابق.

(٤) روي أن النبي صلى الله عليه وآله قيل له ما العقل؟ فقال: «العمل بطاعة الله وان العمال بطاعة الله هم العقلاء» المصدر السابق ١/١٣١ ح٢٠ و٢١.

(٥) عن بعض أصحابنا رفعه إلى أبي عبد الله (الصادق) عليه السلام قال: قلت له: ما العقل؟ قال ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان. قلت: فالذي كان في معاوية؟ قال: تلك النكراء وتلك الشيطنة، وهي شبيهة بالعقل وليست بعقل» المصدر السابق ١/٦١١ ملحق حديث ٨.

قال لي معلمي:

فسألت: فهل المجانين هم الجهال؟

قال: المجنون مصاب ومريض ولا ذنب له في ما صار إليه، فهو كمن اصيب لسانه، فهو عاجز عن الكلام ولكنه ينطوي على ذلك، وكذا المجنون فقد يكون له عقل ولكن لا وسيلة لديه للافادة منه[1].

---

(١) روي أن رسول الله ﷺ مرّ بمجنون فقال: ما له؟ فقيل انه مجنون. فقال: **«بل هو مصاب، انما المجنون من آثر الدنيا على الآخرة»** المصدر السابق ١/ ١٦٠ ح٣٩.

مدرسة عالم الأرواح

قال لي معلمي:

ذات يوم تحدث استاذي وكان فريد عصره وعلامة زمانه، عن عالم الارواح وما تعلمته ارواحنا في مدرسة عالم الذر فقال:

لم تكن هناك حاجة لأن تتعلم فيه الأرواح أدلّة وجود الله، لأنها كانت تراه[1] فوجوده سبحانه ثابت لديهم ولكن المهم في تلك المدرسة هو أن تتعلم الارواح صفات الله وانه خالق كل شيء وحاجة الخلق إلى الله وتثبيت ذكره سبحانه في الروح لتكون معرفته أمراً فطرياً[2].

وفيها تتعلم الأرواح ان الله هو الغني وما سواه فقر مطلق وقد ادركت الارواح ذلك بعمق لا يمكن بعده أن تنسى[3].

---

(١) عن زرارة عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: سألته عن قول الله عز وجل: ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ﴾؟ قال: **«الحنيفية من الفطرة التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله قال: فطرهم على المعرفة به»**.

فقال زرارة: وسألته عن قول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ قال: **«أخرج من ظهر آدم ذرّيته إلى يوم القيامة فخرجوا كالذرّ، فعرّفهم وأراهم نفسه ولولا ذلك لم يعرف أحد ربّه»** بحار الأنوار ٦٤/ ١٣٥ ح٧.

(٢) في تفسير الامام العسكري: انه سئل مولانا الصادق عليه السلام عن الله.. (إلى أن قال): **«ولهذا جعلت الناس معذورين في تركهم اكتساب المعرفة بالله عز وجل متروكين على ما فطروا عليه، مرضيّا عنهم بمجرّد الاقرار بالقول، ولم يكلفوا الاستدلالات العلمية في ذلك»** المصدر السابق ٦٤/ ١٣٧.

(٣) سورة فاطر الآية ١٥: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾.

وادركت ذلك بحيث لم تعد ترى شيئاً خارج النفوذ الالهي، كما ادركت مسألة القدرة المطلقة لله وانه: لا حول ولا قوة إلاّ بالله، وانه سبحانه أقرب ما يكون لمخلوقاته.

فكل الصفات الالهية ادركتها الارواح في عالم الذر، وكانت أنوار المعصومين نوراً واحداً[1].

وادركت الارواح يومئذ نبوة النبي ﷺ وامامة الأئمة ولم يكن هناك من حاجة لتعليمهم ذلك، لأنهم هم المعلمون ولكن كانت من الضروري معرفة صفاتهم لتحبهم الأرواح وتتبعهم:

الأولى: ان الامام عالم بجميع ما خلق الله عز وجل.

الثانية: ان الامام مطيع لله عز وجل فله بذلك العصمة المطلقة.

الثالثة: ان ولايتهم واجبة لأنهم حازوا من العلم والعصمة أكثر من غيرهم ومن كانت تقواه أكثر كانت له الولاية والمحبة[2].

الرابعة: ان الارواح تعلمت ان الامام مرآة تتجلّى فيها الصفات الالهية وانه العقل الكلّي وانه محيط بكل شيء وطاعته واجبة.

الخامسة: وتعلمت الارواح معنى الولاية المطلقة والعبودية المطلقة.

السادسة: انها تعلمت من العلوم ما يجعلها تدرك ان طاعة الله وطاعة الامام واجبة.

وادركت آنذاك قبح كثير من الصفات كالظلم والكذب والخيانة والحسد، وسوء الخلق، والعدوان على حقوق الآخرين، كما ادركت أهمية

---

(١) قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام في حديث طويل: **«لان أول ما خلق الله عز وجل ارواحنا، فانطقنا بتوحيده وتمجيده، ثم خلق الملائكة، فلما شاهدوا ارواحنا نوراً واحداً استعظموا امرنا فسبحنا لتعلم الملائكة انا خلق مخلوقون وانه منزّه عن صفاتنا...»** الصدوق / كمال الدين ١/ ٢٥٤ ذيل حديث٤.

(٢) عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: **«قال رجل لأمير المؤمنين: أنا والله لأحبك فقال له كذبت: ان الله خلق الارواح قبل الأبدان بألفي عام فاسكنها الهواء ثم عرضها علينا أهل البيت، فوالله ما منها روح إلاّ وقد عرفنا بدنه، فوالله ما رأيتك فيها فأين كنت؟»** بحار الأنوار ٥٨/ ١٣٦ ح١٢.

وقيمة الصفات الحميدة كالعدالة، والرأفة، والصدق وحسن الخلق وسائر الصفات الانسانية النبيلة.

وكذا كل العلوم العقلية والحقيقية من العقائد إلى الأخلاق وسائر العقليات الأخرى.

فتعلمت الأرواح وأخذ منها الميثاق والعهد على العمل بها والثبات عليها، فتكون حياتها وفقاً للميثاق الذي يضمن سعادتها الخالدة في حياة حقيقية زاخرة بالنعيم.

واعلم ان الميثاق اخذ منها حينما كانت الارواح في اجسام صغيرة هي الذر وبعد أن تعلمت وتخرجت(١) ولأنها مخيرة وحرّة وأريد لها الحياة الدائمة والنعيم الأبدي في القيامة، فان الله سبحانه اراد امتحانها في حياة قصيرة جداً فينظر كيف تعمل؟

ولذا فان الله عز وجل خلق لها بدناً من تراب هذه الأرض وفق ترتيب خاص (سيأتي شرحه فيما بعد) لتؤدي امتحانها في هذه القاعة الأرضية وجعل الله سبحانه لهذا البدن قوّة النمو في حياة نباتية.

ولأن الروح يلزمها أدوات الامتحان فقد جهر الخالق هذا البدن بعينين وأذنين ولساناً وشفتين وبكل الحواس الضرورية وبكل ما يحتاجه في استمرار حياته في الحياة الدنيا المؤقتة.

---

(١) عن أبي جعفر عليه السلام: **«ان الله عزّ وجلّ لمّا أخرج ذرّية بني آدم من ظهره، ليأخذ عليهم الميثاق بالربوبيّة له وبالنبوّة لكلّ نبيّ فكان أوّل من أخذ له عليهم الميثاق بنبوّته، محمد ابن عبد الله صلى الله عليه وآله»**. بحار الأنوار ٦٤/١١٦ ح٢٣.

عن عبد الله بن الفضل الهاشمي، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: لأيّ علّة جعل الله عزّ وجلّ الأرواح في الأبدان بعد كونها في ملكوته الأعلى في أرفع محلّ؟ فقال عليه السلام: **«ان الله تبارك وتعالى علم أن الأرواح في شرفها وعلوّها متى ما تركت على حالها نزع أكثرها الى دعوى الربوبيّة دونه عزّ وجلّ، فجعلها بقدرته في الأبدان الّتي قدّر لها في ابتداء التقدير نظراً لها ورحمة بها، (إلى أن قال) و وليذلّهم بطلب المعاش والمكاسب، فيعلموا بذلك أنّهم بها مربوبون وعباد مخلوقون ويقبلوا على عبادته فيستحقّوا بذلك نعيم الأبد وجنّة الخلد»**. بحار الأنوار ٥٨/ ١٣٣ ح٦.

عالم الذر

قال لي معلمي:
وهنا سألت علامة الزمان عدة أسئلة:

السؤال الأول:

هل ان عالم الارواح هو عالم الذر أم انهما عالمان مختلفان؟

قال: ان الارواح خلقت قبل خلق بدن آدم الطيني بألفي عام.

فلما تم خلق بدن آدم خرجت من ذرّات بعدد تلك الارواح[(١)]. وهذه الذرات تشبه تماماً الاجسام البشرية التي نراها اليوم.

ورأى آدم ذرّيته بكل ما تنطوي عليه من تفاصيل الخلقة وقضية هبوطها وامتحانها والميثاق الذي أخذ منها بعبادة الله وعدم اتباع الشيطان.

ولذا فأن عالم الارواح هو عالم ادراك وتعلم الحقائق وعالم الذر عالم الميثاق وعهد العمل به[(٢)].

---

(١) سورة الاعراف الآية ١٧٢: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾.

(٢) في حديث طويل عن أبي جعفر عليه السلام في قضية خلق ذريّة آدم عليه السلام يوم الميثاق: «قال آدم عليه السلام يا ربّ فما لي ارى بعض الذر أعظم من بعض (إلى قوله) فلو كنت خلقتهم على مثال واحد وقدر واحد وطبيعة واحدة... قال الله عزّ وجلّ يا آدم بروحي نطقت... بعلمي خلقت بين خلقهم وبمشيئتي يمضي فيهم امري... انّما خلقت الجنّ والانس ليعبدوني... وبعلمي النافذ فيهم خالفت بين صورهم واجسامهم والوانهم واعمارهم وارزاقهم وطاعتهم ومعصيتهم، فجعلت منهم الشقي والسعيد والبصير والاعمى... والمطيع والعاصي...فلذلك خلقتهم لابلوهم في السراء والضراء وفيما اعافيهم وفيما أبتليهم وفيما اعطيهم وفيما امنعهم. (الحديث) بحار الانوار ٦٤/١١٦ ـ ١١٧.

السؤال الثاني:

هل تملك الارواح في عالمي الارواح والذر القدرة على المعصية أم انها مثل الملائكة منزهة عن العصيان؟

قال: ان الله سبحانه لما خلق الارواح وهبها قوّة الادراك فقط فكانت ملكة قوية، فلما حان تعليمها منحت العقل والحرّية لمعرفة الذات ومعرفة الخير والحركة نحو الكمال.

وفي عالم الارواح لم تصنع بعض الارواح ولم تتشرب الحقائق الالهية فظهر منها العصيان في عالم الذر والانفصال عن الحقائق في عالم الدنيا وستعاني في عالم الجزاء من المشاق بسبب ذلك حتى تتطهر من الآثام وتعرف ان الشقاء والسعادة يتوقفان على معرفة الخير وانتهاج طريقه.

فان كانت على الشرّ تابت وعادت وأنابت وان كانت على الخير استمرت وواصلت.

قلت له: هل من شرح اكثر لهذا الموضوع ليتيسر ادراكه؟

قال: انت ترى هذه الدنيا وترى بعض أهلها يولدون على الاسلام من أبوين مسلمين مؤمنين، وترى في مقابل هذا جمعاً من الناس يولدون في اماكن قاصية بعيدة عن الدين الحق بعيدة عن الحقيقة، بل ومن أبوين غير متدينين وربما كافرين. ومن جهة الخلقة ترى ابناء حلال تامّين الخلقة يولدون ولهم ما يساعدهم على العبودية لله والعمل الصالح.

وفي مقابل هؤلاء يولد اناس من سفاح وحرام وبعضهم مشوهين ومعوقين وينطوون على قابلية العصيان.

ومن البديهي أن ابناء الفريق الأول مطلوب منهم الاستقامة وانتهاج طريق الحق، كما أن ابناء الفريق الثاني مطالبون أيضاً بذلك، ولكن هل تتساوى مشاق الفريقين في طوي طريق التكامل والسير في طريق الحق؟

والآن سأوضح لك الاختلاف التكويني للسعادة والشقاء؛ هل تذكر انني قلت لك ان الله عز وجل خلق الارواح متساوية وعندما منحها قدرة الاختيار اتبع بعضها الجهل والشيطان في عالم الذر فكانت تلك الارواح

كتلاميذ كسالى لم يصغوا إلى العلوم والحقائق، فبعضهم رسب أو حصل على درجات ضئيلة.

فعاقبهم الله بهذه الطريقة.. وبوضوح اكثر ان الله اعطاها على قدر لياقتها، فلما هبطت عالم الدنيا منحت القوالب الطينية التي تنطوي على السعادة أو لا تنطوي عليها.

وما اختلاف البشر إلاّ من هذا فالبشر مختلفون[١].

السؤال الثالث:

هل أخذ الميثاق في عالم الارواح أو عالم الذر على جميع العلوم التي هي في الدنيا؟

قال: ما تعلمه اليوم في الدنيا ينقسم في الحقيقة إلى قسمين.

قسم في العلوم الاستدلالية والعقلية حيث العقل يتذكرها وهي لا تعدو المعلومات التي تعلمتها الارواح في عالم الارواح.

وقسم آخر في العلوم الاعتبارية، فحتى تسهل الاعمال في عالم الدنيا تعاقد الناس عليها واتفقوا عليها، كعلم الرياضيات والطب وسائر العلوم المادّية والفنية.

السؤال الرابع:

هل هناك من فرق بين غرائز الحيوانات وبين ما تعلمه الانسان في عالم الارواح؟

قال: للحيوانات شعور تسمونه الشعور الحيواني وهو بدون تعقل فالحيوان الذي يعيش على النباتات يتجه إلى النباتات وهو لا يدرك فيما اذا كان هذا يفيده أم لا.

---

(١) عن أبي جعفر عليه السلام: **«ان الله عزّ وجلّ خلق الخلق (إلى أن قال) ثم بعثهم في الظلال... ثم بعث فيهم النبيّين فدعوهم إلى الاقرار بالله عزّ وجلّ وهو قوله تعالى ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ...﴾ ثمّ دعوهم إلى ولايتنا فاقرّ بها والله من أحب وانكرها من أبغض وهو قوله ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ﴾ ثمّ قال أبو جعفر عليه السلام: كان التكذيب ثمّ...»**. بحار الأنوار ٦٤/٩٨ ح١٦.

فهو لا ارادياً يفعل ذلك وكذا سائر غرائز الحيوان الأخرى ولقد أودع الله سبحانه هذه الغرائز في الحيوانات، دون ادراك فيها وجعلها في سلم مخلوقاته وجزءاً من نظم العالم[1].

أما العلوم الفطرية والعقلية المزروعة لدى البشر فتختلف لأنها منحت الانسان الوعي الكامل.

فمثلاً أنت تدرك تماماً بان الظلم قبيح وتتعقل قبحه ومن الطبيعي ان لكل عالم معلم ولكل معلوم عالم، ولذا نقول: ان الغرائز التي في الحيوانات أو الجانب الحيواني في الانسان، مثل الغريزة الجنسية وسائر الغرائز الحيوانية، التي يتحرك الانسان نحوها دون تعقل أو الحيوان هي دون معلّم، بل ان الله سبحانه أودعها في الانسان والحيوان من أجل نظم عالم الدنيا وجعلها تجري مجرى الغرائز غير ان اكثر العلوم الاستدلالية والعقلية التي يعيها الانسان أو التي نسيها ليست من هذا بل اننا يجب ان نقول انه تعلمها.

السؤال الخامس:

ومن أين لنا ان نعرف ان ما استدلّ به لنا وما تعلمناه انما حصل فيما مضى ثم نسيناه بعد ذلك؟

قال: الفرق بين التعليم والتذكر هو انه عندما نتعلم شيئاً ليست لنا بشأنه أية سابقة ذهنية، كما لو اننا نذهب أول مرّة الى منزل وليس في ذهننا تصديق أو تكذيب بشأن بنائه.

أما عندما نتذكر شيئاً فهو بمثابة ذهابنا إلى منزل للمرّة الثانية وقد كنا نسينا خصائصه، فبمجرّد ان تقع عليه ابصارنا نتذكر ما كنا قد نسيناه لدى رؤيتنا اياه في المرّة الأولى، فيكون لدينا تصديق بشأنه أو تكذيب في حالة وجود تغيير طرأ عليه.

فالعلوم التي تعلمها الانسان في عالم الارواح ثم نسيها تشبه ما يراه المرء ثم ينساه. ولذا فانه عندما يقدم له دليل بشأنها ويراجع عقله، فهو

---

(١) سورة طه الآية ٥٠: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾.

كمن يأخذ بيده شخصاً وينطلق به إلى المكان الذي نسي خصائصه فإذا به يقول: آه لقد رأيت هذا المكان من قبل.

وكذا هذه العلوم فانه يتذكرها فوراً ويقول: هذا صحيح وإن الموضوع هكذا عقلاً[1].

ولهذا يقول القرآن الكريم بشأن النبي ﷺ: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾[2].

ويقول سبحانه عن القرآن الكريم نفسه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾[3].

(١) بحار الأنوار ٥/٢٣٧ ح١٤.

(٢) سورة الغاشية الآية ٢١.

(٣) سورة الحجر الآية ٩.

الله تبارك وتعالى يعين له خليفة في الأرض

قال لي معلمي:

ذات ليلة لازمني الأرق على الرغم من التعب، فتذكرت ما قاله رجل حكيم: لا تقصد النوم ابداً ودع النوم يقصدك، من أجل هذا نهضت واستغرقت في الذكر والمناجاة مع الله عز وجل، غافلاً عن أنهم يريدون القاء شيء اليّ هذه الليلة.

أدّيت عدة ركعات فلما استغرقت في آخر السجدة أردّد سبحان الله، حصل شيء فجأة لا أدري كيف إذ وجدت نفسي في فلاة وكان آدم قد خلق من الطين توّاً وكان يبدو تمثالاً منحوتاً.

كانت الأرواح التي تتلقى العلوم تملأ الأرضين والسموات تزمع الحضور لقد تخرجت وحان الوقت لأن تأخذ وثائق ما تعلمته[1].

ضجة كبيرة، الملائكة امتثلت صفاً صفاً تنتظر الامر الألهي، وفي هذه الاثناء خاطب الله الملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾سأنفخ في هذا الصلصال روحي واجعل منه خليفتي قالت الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾؟؟

وكانت الملائكة على حق عندما فكرت هكذا، لأنهم رأوا من قبل

---

(١) عن علي بن معمر عن أبيه قال: سألت أبا عبد الله الصادقعليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾ قال: **«ان الله تبارك وتعالى لما ذرأ الخلق في الذر الأول فاقامهم صفوفاً قدامه بعث الله محمداًصلى الله عليه وآله فآمن به قوم وانكره قوم»** بحار الأنوار ٥/ ٢٣٥ ح٧.

خلق آدم عوالم كثيرة عاشت في الارض ولكنها انقرضت بسبب الفساد الذي فعلوه والدماء التي سفكوها.

قال الله سبحانه: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾[1].

ثم استحال الجسم الصلصالي الى جسد من دم ولحم وجلد وعظم ثم نفخ الله فيه من روحه وعطس آدم بعد أن ولجته الروح الالهية، فإذا هو كائن جديد في الخلق يمتلك القابلية لتعلم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة: فقال انبئوني باسمائهم.

قالت الملائكة بخشوع: سبحانك لا علم لنا إلاّ ما علمتنا.

حينئذ قال الله سبحانه لادم: يا آدم انبئهم باسمائهم.

وعلم آدم الملائكة الأسماء.

فقال الله سبحانه: ألم أقل لكم اني اعلم غيب السموات والأرض. ثم أمر الملائكة أن اسجدوا لآدم[2].

كنت وجميع ذرية آدم نشهد ما يجري وكمشهد صلاة الجماعة سجدنا جميعاً.. الجميع سجدوا إلاّ شخص واحد رفض السجود؛ كان مكفهر الوجه قد تجسدت فيه ملامح التمرد والعصيان والتكبر.

ونظرنا إليه جميعاً كأول كائن يعصي أمر الله سبحانه.

قال الله سبحانه مخاطباً اياه: ﴿يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ﴾[3].

قال ابليس بكل وقاحة: لا اسجد له.. أنا أفضل منه ﴿.. خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾[4].

فطرده الله من رحمته وقال له: اخرج انك رجيم.

قال ابليس: لقد اغويتني.

---

(١) سورة البقرة الآية ٣٠.

(٢) سورة البقرة الآية ٣٣.

(٣) سورة ص الآية ٧٣.

(٤) سورة ص الآية ٧٦.

فقال الله: ﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[١].

كنا واقفين.. كل ذرية آدم كانت مخطوفة الألوان خائفة مما حصل وعرفنا ان هذا المخلوق هو عدو الله وقد اسودّ واصبح كدخان يصاعد من قطران.

الله سبحانه منحنا اجساماً ذرّية تدفقت من ظهر آدم. وقال له الله سبحانه: انظر ماذا ترى؟

فنظر آدم إلى ذرّيته وقد ملأت السماء[٢].

قال آدم: يارب ما اكثر ذرّيتي ولامر ما خلقتهم.. فما تريد منهم بأخذك الميثاق عليهم؟[٣]

قال الله عز وجل: ان ميثاقي عليكم أن تؤمنوا بأنني انا الله رب العالمين هتف عالم الذرّ بأسره: أجل أنت خالقنا وربّنا [٤].

قال الله: أن تؤمنوا بانبيائي ورسلي وهذا سيّدهم محمد بن عبد الله[٥] وولاية علي بن أبي طالب وابنائه[٦].

ربما يتساءل البعض كيف تكون ولاية علي وأحد عشر من أبنائه جزءاً من الفطرة البشرية وأن الله أخذ على البشر في عالم الذر الميثاق فيها؟

في الجواب نقول: هل يوجد انسان في كل الخليقة لا يحب العلم والعالم؟ والجواب بالسلب طبعاً، لأنه لا يوجد عاقل يقول ان الجهل أفضل من العلم وأن الجاهل أفضل من العالم.

---

(١) سورة ص الآية ٨٥.

(٢) بحار الأنوار ٥/٢٢٦ ح٥.

(٣) المصدر السابق.

(٤) سورة الأعراف الآية ١٧٢.

(٥) الامام الصادق عليه السلام: **«ان الله عز وجل لما أخرج ذرّية آدم عليه السلام من ظهره ليأخذ عليهم الميثاق له بالربوبية وبالنبوّة لكل نبي كان أول من أخذ عليهم الميثاق بالنبوّة نبوّة محمد ابن عبد الله»** المصدر السابق.

(٦) قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«... وهي الميثاق الذي أخذه الله عز وجل على ولاية علي بن أبي طالب»**.

واذن فان كل الناس فطرياً يدركون العلم ويحبون العالم.

ومن جهة أخرى لا يبقى أحد يجهل العصمة والطهر أو لا يحبهما.

وعلى هذا لو وجد انسان هو أعلم الناس وأكثرهم طهرا فانه شئت أم أبيت سيكون الاكثر محبوبية لدى الناس جميعاً ولا يمكن أن يوجد انسان لايحبه، إلاّ من انعدمت فطرتهم الانسانية.

وعلى هذا فان علي بن أبي طالب الامام المبين وهو العالم الذي حوى العلوم بأسرها وهو المعصوم الطاهر، حينئذ سيكون الأكثر محبوبية لدى الناس، انطلاقاً من فطرتهم التي فطروا عليها حتى لو جهلوه.

قال: عليكم إلاّ تتعلقوا بالدنيا والاّ تحبوها.

قلنا: نعم نعطي الميثاق على ذلك.

قال: والاّ يظلم بعضكم بعضاً..

ولا يعتدي بعضكم على بعض ولا تنافقوا ولا تلهثوا وراء العلوّ في الأرض.

قلنا: نعم نعطي العهد على هذا[١].

قال: ان الشيطان عدو لكم وقد اقسم على اغوائكم، فاتخذوه عدواً ولاتتبعوا خطاه[٢].

قلنا: نعم.

قال: وان تعبدوني ولا تشركوا بعبادتي أحداً من العالمين.

قلنا: نعم.

قال: وأن تنصروا ائمة الحق والهدى.

قلنا: نعم.

قال: وان تتبعوا العقل فهو حجتي الباطنة عليكم فلا تعطلوه.

---

(١) سورة يس: الآيتان ٦٠، ٦١: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾.

(٢) جاء في رسالة الامام المهدي للشيخ المفيد: **«ولو ان اشياعنا وفقهم الله لمرضاته على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم»** الاحتجاج ٢/ ٣٢٤.

قلنا : نعم.

قال: والاّ تتبعوا ائمة الكفر والطاغوت.

قلنا : نعم.

وهكذا تم ميثاق ربنا علينا.

تبددت ظلمة الليل وآذن السحر بالانتهاء وقد وجدت من لذائذ المناجاة ما لا يوصف وتمنيت أن يتكرر ذلك لأعرف ما بقي من قصة الخلق.. ولكن يا للأسف تمضي الشهور دون أن يتحقق ما أصبو إليه.

وذات ليلة وكنت اتصورها آخر شهر رمضان المبارك ولكن ظهر لي أنها أولى ليالي شوال وكانت ليلة عيد الفطر.. كنت قد فرغت من مناجاة منتصف الليل فرحت اتهيأ لتناول سحوري والاستعداد للصوم؛ اذ لم يبق على طلوع الفجر غير ساعتين.

والقي في روعي ان هذه الليلة هي ليلة العيد وان هناك من يريد ان يقدم لي هدية العيد وأجر صيام شهر كريم.

ثم حصل لي من الحب الالهي ما لا أريد شرحه، ولكن أقول لك ان الانسان اذا ما اخلص العبادة في شهر رمضان المبارك، فانه سيقبض أجره ليلة العيد وسيكون أجراً سخياً.

وكان أجري ليلة العيد أن استضاء قلبي بكشف جديد، إذ رأيت نفسي في نفس تلك الفلاة واذا أنا أمام قصة الخلق من حيث انتهت تلك الليلة.

هنالك رأيت الشيطان أو ابليس أو الجهل الذي تمرّد على الله عز وجل يبدأ بث سمومه ضد الدين.

واذا به يتجه أولاً صوب آدم.. لقد فكر وقتل كيف فكر.. قال في نفسه الشريرة اذا أغويته فقد أغويت ذرّيته.

كان آدم في الجنة التي أعدها الله له وجعلها مأواه[1].

رآه ورأى ذرّيته تملأ السموات والأرضين.. فحسده مرّة أخرى على ما آتاه الله وآتى ذريته من نعم الاختيار فقد منحهم الله الحرّية والارادة.

---

(١) سورة البقرة الآية ٣٥: ﴿وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾.

وكانت الارواح قد شهدت معصية الشيطان، ولذا تأثر بعضهم بذلك وتأثروا بالشيطان وبرزت لديهم الرغبة في العصيان وظهرت منهم نزعة التفوق والعلو.. وكانوا الميثاق الذي أعطوه على أنفسهم كارهين[1].

وراح الشيطان يعدّ العدّة لاغواء آدم. فدخل عليه جنته واستغل براءة آدم فخدعه وأغواه.

وادركت الارواح في عالم الذر، انه لا فرار من الشيطان إلاّ إلى الله والعودة إليه.

وهكذا نجح الشيطان في اخراج آدم وحواء من الجنة.

وخاطب الله ذرية آدم وحذرهم من الشيطان قال لهم: لا تتبعوا خطوات الشيطان انه عدو لكم، فلا يخدعكم كما خدع أبويكم وأخرجهما من الجنة ولكن يا للأسف كم انخدع من ذرية آدم في عالم الذر، فنسوا ما تعلموه من الحقائق وخانوا الميثاق الذي أخذ عليهم، فتسلل السواد إلى ارواحهم هذا السواد الذي تحدثت لك عنه وكيف كان في روحي.

وحدث اختلاف في عالم الذر بين ارواح البشر، فاتبع بعضهم رسول الله وعلياً وكانوا مسلمين حقيقيين واتبع آخرون الشيطان فضاعوا في مذاهب شتى[2].

وامعن الشيطان في اغوائهم فلم يسمح لهم أن يكونوا في مذهب واحد بل شتتهم ومزقهم تمزيقاً.

وتأثرت لهول ما أرى وسعيت ألاّ يغويني الشيطان.

وبحمد الله نجحت في أن أصبح في صفوف المسلمين الحقيقيين ومن

---

(١) عن أبي بصير: قال: قلت لأبي عبد الله: **«اخبرني عن الذرّ حيث اشهدهم على أنفسهم ألست بربكم؟ قالوا بلى والله واسرّ بعضهم خلاف ما أظهر كيف علموا القول حيث قيل لهم ألست بربكم؟ قال: ان الله جعل فيهم ما اذا سألهم اجابوه»** بحار الأنوار ٦٤/ ١٠٢ ح١٩.

(٢) قال رسول الله ﷺ لعلي: **«انت الذي احتج الله بك في ابتداء الخلق حيث اقامهم اشباحاً فقال لهم: الست بربكم؟ قالوا بلى، قال ومحمد رسولي: قالوا: بلى قال وعلي أميرالمؤمنين فابى الخلق جميعاً استكباراً وعتواً عن ولايتك إلاّ نفر قليل وهم أقل القليل وهم اصحاب اليمين»** بحار الأنوار ٦٤/ ١٢٧ ح٣١.

المحبين لأهل البيت من الائمة المعصومين والتزمت الميثاق وثبت عليه.

فجعل طيني وترابي وبدني من فاضل طينة أهل البيت[1].

فولجت روحي في بدن في رحم أم ومن أب متدينين ومسلمين حقيقيين فانعقدت نطفتي على الطهر والايمان، كما قدر لي أن أولد في بيئة نظيفة فمدينتي من المدن الطيبة.

وهذه من نعم الله علي، جزاءً على طاعتي في العالم الذرّي ولكن الكثير من الارواح وبسبب عصيانها في عالم الذر وعدم وعيها الحقائق وانتهاكها الميثاق، حلّت في ابدان فولجت عالم الطين في ظروف زمانية ومكانية ليست طيبة.

بعض ولد في زمان جاهلية حيث تتضاءل نسب الهداية وهي مكلفة لمن أراد أن يطوي طريق الكمال بمشقة وعناء.

انا نفسي سألت بقية الله في مكاشفة قلت له: لم لم أولد في وقت ظهورك؟

قال: بسبب ما ارتكبته من الذنوب في عالم الذر، فولدت في زمن غيبتي وستصل السعادة ولكن بعد مشقة وعناء.

أو يولد أناس في بيئات بعيدة عن دنيا الاسلام، حيث يكون من الصعب أن يهتدوا الى الدين الحق.

وهناك من يولد من نطفة حرام وسبب ذلك ما ارتكبته ارواحهم من المعاصي في عالم الذر[2].

وهناك من الارواح تحل في ابدان ناقصة مشوهة وفي هذا ما يعيقهم عن القيام بالاعمال الصالحة الطيبة.

فهذا التضاؤل في الموفقية لم يأت اعتباطاً، بل هو جزاء اعمالهم وقد قال رسول الله ﷺ: **«الناس مجزيّون بأعمالهم»**.

---

(١) بحار الانوار ٥ / ٢٢٥ باب الطينة والميثاق / ٦٤ / ٧٧ طينة المؤمن.

(٢) بحار الانوار ٦ / ٣٤٥ ح٩٨: **«قال ابليس: والله يا علي... وما ابغضك أحد الا شركت اباه في أمه فصار ولد زنى»**.

ما هي الحياة الدنيا؟

قال لي معلمي:

كانت مناسبة عاشوراء الحسين سيد الشهداء عليه السلام وقد احمرّت عيناي من البكاء وشعرت بحرقة فيها فأغمضتهما، لعلّي أخفف من الألم وفي تلك اللحظة ولعلّي استغرقت في اغفاءه أو حصلت لي مكاشفة، رأيت نفسي وكأني في قاعة امتحان كبرى، وقد اتخذ كل سكان الدنيا اماكنهم في هذه القاعة يريدون اداء الامتحان.

وزعت اوراق الامتحان وعليهم اختبار ما تعلموه في عالم الذر وما أخذ عليهم من الميثاق في عالم الذر، فهل يثبتون على طريق الكمال أم لا؟ كيف هي عقائدهم واعمالهم وسلوكهم وتجاربهم التي تُستمد من روحهم؟ وكيف وفاؤهم لله ومعلميهم؟[1]

ومع الاسف الشديد كان التلاميذ في هذه الجلسة الامتحانية لا يفكرون في الحصول على أعلى الدرجات والنجاح.

كان اكثرهم في حالة غفلة عن الامتحان ويقضون الوقت في النظر الى الصور المعلقة على الجدران، تصوروا اكثر من اربعة مليارات من البشر جلسوا يؤدون الامتحان، ثلاثة ارباعهم نسوا حتى معلميهم في عالم الارواح وكانوا قد قضوا معهم الفي عام[2].

---

(١) سورة الملك الآية ٢: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾.

(٢) عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ الآية قلت (الراوي): معاينة كان هذا؟ قال: **«نعم فثبتت المعرفة ونسوا الموقف وسيذكرونه»** بحار الانوار ٥ / ٢٣٧ ح١٤.

حتى الاشياء والحقائق التي تعلموها وحفظوها نسوا من أين تعلموها ونسبوها الى آخرين.

قليلون جداً كانوا يعرفون معلمهم الحاضر وهو بقية الله والأقل من هذا القليل كانت له علاقة وارتباط بمعلمه والافادة من علمه.

الناس في هذه الدنيا نائمون ونسوا انهم في امتحان، بالرغم من أن المعلمين يهتفون باستمرار ويذكرونهم ويدعونهم الى أداء الامتحان، لكنهم ومع الأسف كانوا سادرين في غيّهم ومستغرقين في غفلتهم.

وهكذا استمر الوضع حتى نهاية الامتحان.

بعد أن رأيت هذا المشهد في المكاشفة، ادركت حقيقة الدنيا فقررت الانتباه الى أنني في امتحان وعلي أن اجتازه بنجاح.

ملكوت العالم

قال لي معلمي:

في ليلة ظلماء وفي غرفة تتراكم فيها الظلمات بعضها فوق بعض، طار من عيني النوم واحتدمت الافكار في رأسي واقضت مضجعي مسألة، الموت والقيامة..

فجأة رأيت نفسي في قلب المكاشفة، فإذا رجل طاعن في السن الى جانب السرير وفي يده صورة من بعدين ويهزني وكان يتصورني نائماً فأراد ايقاظي..

همس بهدوء: انهض وانظر الى هذا العالم كيف له بعدان ووجهان.

كيف تعرّف الصورة عالمنا ببعدين، وكيف تشير الى عالم الملكوت الى جانب عالم الملك.

نهضت وجلست على السرير وأخذت الصورة من يده، في البداية كنت بشكل عادي فرأيت ما أرى في عالم الملك، يعني هذه الجمادات النباتات، الحيوانات، الارض، والسموات ولم يكن هناك من جديد كما يبدو.

ولكن عندما أخذ بيدي الى جهة اليمين وقال لي والآن انظر هذه الجهة من الصورة.

حينئذ رأيت ما لا يراه بشر في هذه الدنيا.

ياله من عالم مليء بالاسرار ياله من عالم غامض يقع الى جانب عالم الملك ونحن في غفلة عنه!

سألته من أين لك هذه الصورة؟ وهل لهذه المناظر من حقيقة؟

وهل يمكن رؤيتها مباشرة أم لا؟

قال في جوابه: ماذا تقول يا هذا؟ ان هذا هو ما يراه الانسان بعد موته، هذا ما اخبر به الله سبحانه، فكيف لا حقيقة له؟!

هذه حقائق يراها كل من زكى نفسه وتعلق بالله عز وجل. بل ان البعض يعتقد بان الذي رأيته في البعد الأول هو مجازي وليس حقيقي وانه لا وجود في الحقيقة الاّ للبعد الثاني.

قلت: أيمكن لي أن أرى على الدوام هذه العوالم؟

قال: هذا أمر ميسور كما فعلت أنا الآن، عندما أخذت بيدك الى جهة اليمين فرأيت البعد الثاني من الصورة، ولو أنك لم تفعل هذا ما رأيت أكثر من بعد واحد.

فإذا حركت نفسك وتحررت مما يشدّك الى المادة وزخارف الدنيا، يعني أن «تموت قبل أن تموت» ومارست الرياضة قليلاً، فانك سترى عالم الملكوت وسترى ما في هذا الصورة عياناً.

والآن تعال لأريك بعض قدرتي الروحية سوف آخذك في رحلة الى عالم الملكوت وسأريك ما يحصل بعد الموت.

وأخذ الشيخ بيدي وأخرجني من تلك الغرفة المظلمة الى فضاء يزخر بالنور، فرأيت مشاهدة وعياناً ما رأيته في الصورة، كان عالماً عجيباً حيث ارواح الملائكة والشياطين فإذا هي كائنات هذا العالم.

والناس كانوا على حقيقتهم وصفاتهم الروحية، يظهرون قبل ظهور ابدانهم وكانت الاشجار والانهار وكل الاشياء الجميلة من الذرات المتناهية في الصغر الى المجرّات؟؟ العظيمة كانت كلها تسبح لله مستغرقة في الحمد لله. حيث يتدفق يومياً المئات والآلاف من هذا العالم الى ذلك العالم.

كما صرّح القرآن الكريم بانتقال ارواح البشر بعد الموت الى أول عالم وهو عالم البرزخ يعني عالم الملكوت وبقاؤهم فيه الى يوم القيامة.

التوكل ومقامه الشامخ

قال لي معلمي:

كنت أعرف شاباً انتقل الى رحمة الله إثر حادث سيّارة، فغادر هذه الدنيا الفانية فجاءتني روحه ذات ليلة وقلت له في عالم المكاشفة: هل وصلت نتيجة الاعمال العبادية في عالم البرزخ؟

قال: خلال مطالعتي لحالات الاشخاص الذين يأتون الى هذا العالم فهمت بعض الشيء.

قلت: في رأيك ما هي الاعمال في الدنيا هي أفضل في عالم الآخرة؟ واي الاعمال في عالم البرزخ تنقذ الانسان من العناء وتكون الاساس في كمال الانسان؟

قال: في رأيي ان من يصل مقام التوكل الشامخ، فيتوكل على الله في الدنيا يكون الله حسبه في عالم البرزخ. ومن كان الله وكيله فلا هم عليه فالتوكل مقام رفيع يصل بالانسان الى الخلاص.

وهنا نقل لي استاذي شيئاً من تجاربه في التوكل واوصاني في تنمية روح التوكل في نفسي: «لتحيا في راحة بال في عالم البرزخ ويكون حسبك الله». هكذا قال لي.

قال لي معلمي: لقد مارست الرياضة الروحية وعانيت الكثير في ذلك حتى كافحت الديدان والتلوث وطهرت روحي وتخلصت من ذلك السواد الذي تحدثت لك عنه فيما مضى (كان استاذي قد شرح لي بالتفصيل عن ذلك ودوّنته في الجزء الأول من الكتاب).

فاستضاءت روحي غير أن ملكة التوكل التي يجب ان تظهر في نفسي

بعد ذلك، ما ظهرت والسبب انني لم افكر في ذلك.

ولذا كان أول شيء فعلته هو التأمل في آيات التوكل وما وصفه القرآن الكريم في ذلك.

أنا مؤمن بالله الى درجة اليقين والله سبحانه صادق في وعده فكلماته تنفذ في القلب وخلال تأملاتي ادركت ان الله سبحانه عرض علينا وكالته فقال في محكم كتاب العزيز:

﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾[1].

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾[2].

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾﴾[3].

وهذه بشائر الهية لمن اراد ان يسلك طريق الكمال.

فإذا اردت ان تعرف اهمية هذه البشائر فاصغ لما اقول:

رأيت ليلة في عالم الرؤى أنني دخلت السجن وانني سأحاكم بعد عدّة أيام، وكنت ادرك في قرارة نفسي انني عاجز عن الخلاص مما سألاقيه من مشكلات ومعضلات، ولذا كنت حائراً لا أعرف ماذا أفعل. في هذه الاثناء جاءني ضابط السجن موفداً من قبل رئيس ديوان القضاء في البلاد وهمس في اذني: ان سيادته يرغب في أن يكون وكيلك وقد تعهد بالعمل على أن يصدر الحكم في صالحك.. فاجتاحتني فرحة كبرى ايقظتني من النوم!

فإذا كان الله سبحانه القادر المطلق والذي مقاليد كل شيء في يده يعرض على الانسان العاجز والمسكين والذي لا حول له ولا قوّة هذه البشرى فيعرض وكالته وتقديم العون للانسان في خلاصه من سجن الدنيا ومحاكمة الليلة الأولى من القبر ويوم القيامة.. فأيُّ بشرى اعظم من هذه البشرى؟!

---

(١) سورة هود الآية ١٢٣.

(٢) سورة الفرقان الآية ٥٨.

(٣) سورة الشعراء الآية ٢١٧.

ولذا توكلت على الله كما توكل عليه سيدنا محمدﷺ [١] وسيدنا نوحعليه السلام [٢] وهود[٣] وشعيب[٤] ويعقوب[٥] وكل الانبياء بل حتى قوم موسى[٦] ولقد رأيت الله سبحانه يوم توكلت عليه حسبي وعوني وطوق نجاتي وقد قال سبحانه: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾[٧].

﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾[٨].

﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[٩].

وقد قوّت هذه الآية حبل التوكل في قلبي واتخذت الله وكيلاً لي، فسقيت من الحياة في منتصف تلك الليلة.

ياله من سحر مبارك وليلة بهية ليلة القدر التي جاءتني هدية

في سحر تلك تلك الليلة المباركة تتدفق عليَّ رحمة الله فيحدثني الله عن طريق جبريل الى سيدي محمدﷺ الذي جاءني بالقرآن جواباً على توكلي:

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[١٠].

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾[١١].

﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾[١٢].

وتنفست الصعداء ولم أعد احمل هماً أو اغتم، بعد هذه الضمانات

---

(١) ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾.

(٢) ﴿فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾.

(٣) ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾.

(٤) سورة هود الآية ٩٧.

(٥) سورة يونس الآية ٦٦.

(٦) سورة يونس الآية ٨٤.

(٧) سورة الاعراف الآية ٨٩.

(٨) سورة الممتحنة الآية ٤.

(٩) سورة الملك الآية ٢٩.

(١٠) سورة الانفال الآية ٤٩.

(١١) سورة الطلاق الآية ٣.

(١٢) سورة النساء الآية ٨١.

القوية. ان بالي مرتاح تماماً وأنا اعتمد على الله سبحانه في كل ما يواجهني من بلاء الدنيا ومشكلاتها وكيف لا أفعل ذلك والله سبحانه يقول:

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾[1].

﴿فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ﴾[2].

﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾﴾[3].

وطوبى للانسان ان وجد له مدافعاً هو الله سبحانه ومرحى له وقد أخذ بيده الله، فهو دليله ووكيله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الناس لرب العالمين.

قال لي معلمي:

في أيام دراستي أردت أن أعيش «التوكل» في حياتي فبعثت رسالة الى والدي الذي يقطن مدينة أخرى وطلبت منه عدم ارسال أي مبلغ من المال وكذا امتنعت عن استلام المنح المالية التي تقدمها الحوزة الى طلبتها شهرياً.

ولعل هذا العمل لايبدو صحيحاً في نظر الجميع ولكن حالتي الذاتية اقتضت ان أفرض حالة التوكل على نفسي فرضاً، بعد أن أقطع الأمل عما سوى الله ومن ذلك اليوم وأنا أقطف ثمار التوكل واشعر بأن يداً قوية تأخذ بيدي وتهديني سواء السبيل.

قال لي معلمي:

كنت قد تزوجت حديثاً ولم أكن استلم المنح الشهرية التي تقدمها الحوزة ولم يكن لي دخل وكنت إضافة الى ذلك مديناً بمبلغ من المال، غير أني بعد أن جرّبت أن الله سبحانه يمدّني بما احتاج، اليه فلم اكن لأتوجس من الدين مع اني عاهدت نفسي على عدم الاقتراض ولكن نسياني

---

(١) سورة المائدة الآية ٢٣.

(٢) سورة يونس الآية ٨٤.

(٣) سورة ابراهيم الآية ١٢.

وغفلتي يجرّاني الى ذلك ومن ينسى الله ينساه الله ومن يعرض عن ذكره ينكد عيشه[1].

ولذا وقعت تحت طائلة الديون وربما حصل هذا لأذكر الله ربي وأعود اليه.

وعلى أيّ حال أطلّت ليلة الثالث عشر من رجب، يعني ليلة الميلاد السعيد لأمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام ولم يكن في حوزتي حتى ريال واحد.

شعرت بالقلق وقلت في نفسي: ترى هل فسخ الله وكالته معي!! وهل يمكن أن تنفسخ الوكالة فجأة أم هناك شرط تتوقف عليه وأنا لم أنجزه؟

قضيت الشطر الأول من الليل في مرقد السيدة المعصومةعليها السلام وعرضت حالي على تلك المرأة الطاهرة المخدّرة، لأعرف ما إذا كان هناك شرط أخللت به فاطلب منه سبحانه العفو أو ان هناك شرط جديد يتوجب علي انجازه.

فجأة انفتحت بصيرتي لأرى نور فاطمة يملأ المكان بالضوء قالت: إنّ صبرك لقليل.. لا وجود لشرط جديد انطلق الى بيتك وسيصلك بإذن الله مبلغ مني!

بعد هذه المكاشفة أديت مراسم الزيارة للسيدة العلوية وقفلت عائداً الى منزلي وقد غمرت قلبي السكينة، ولأني اعتدت الصوم في الأيام البيض من رجب، فادخرت عشائي ليكون سحوري وأويت الى فراشي..

لم يكن قد مضى على انتقالنا الى هذا المنزل سوى أيام ولم يكن يعرف عنواني الجديد سوى أحد الطلبة لأنه ساعدني في نقل اثاث المنزل.

وعلى أيّ حال استيقظت في منتصف الليل على صوت طرق الباب،وعندما فتحت إذا أنا بذلك الطالب ومعه أحد تجار طهران فدخل التاجر وودعني الطالب وانصرف.

---

(١) سورة طه الآية ١٢٤: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾.

انخرط التاجر في البكاء ولم يستطع ان يتحدث، فقد غص بكلماته سألته هل تعشيت؟

قال: لا.

فقدمت له سحوري ولما تناول منه لقيمات بدأ يحدثني عن قصته فقال: لقد جئت من طهران ولم أكن أعرفك من قبل ولم يطرق اسمك سمعي الاّ مرّة واحدة ذات مساء..

عندما عدت الى منزلي في أول المساء وأويت الى فراشي مبكراً لعلي استيقظ في السحر، لأنني نويت الصوم ولما غفوت رأيت في عالم الرؤى والاطياف رسول الله ﷺ وانت جالس في حضرته قال لي رسول الله ﷺ أدّ المبلغ الفلاني الى ابني فلان ثم اشار اليك، فقلت: سمعاً وطاعة يا رسول الله واستيقظت من النوم وكنت قد عزمت على أن أحمل المبلغ اليك لدى أول سفر الى قم، ولذا وضعت رأسي على الوسادة لأنام، فلما غفوت اذا انا بنفس المنظر ورسول الله ﷺ يقول لي اذهب الى قم الليلة واستيقظت من نومي وارتديت بدلة الخروج وركبت سيارتي متجهاً الى قم وكانت مشكلتي انني لا أملك عنوانك، ففكرت بالتوجه الى المدرسة الحجتية لعلّي أجد طالباً يعرفك ويعرف عنوانك ووصلت الى المدرسة منتصف الليلة وعندما دخلت المدرسة رأيت طالباً يتجه الى المغاسل فسألته: أتعرف منزل فلان؟ قال: من حسن الحظ أنني جئت المدرسة لزيارة صديق لي ولعلّي الوحيد الذي يعرف عنوان السيد وقادني اليك كما ترى.

وأخرج التاجر مبلغاً من المال وسلمه اليّ فبادرت الى تسديد جميع ديوني في اليوم التالي وفضل لي من المال ما استطيع به تمشية الشؤون الضرورية. ودعوت حينها وطلبت من الله الاّ اضطر الى الدين.

وهنا اقسم استاذي وقال: ومنذ ذلك اليوم وقد مرّ ثلاثون عاماً لم اقترض حتى ريالاً واحداً وكنت اجد رزقي بلا نصب من حيث احتسب ومن حيث لا احتسب، كل هذا من ثمار التوكل على الله.

وملكة التوكل لا تحصل الاّ بالايمان الراسخ بالله، لان الله سبحانه

وعد المتوكلين عليه بقضاء حوائجهم[1].

قال لي معلمي:

اعرف رجلاً له ذرية كثيرة من أولاد وبنات وكان يعاني من عسر، فكان يقصدني شاكياً من الفقر، فأعطيه ما استطيع وكان في شكواه يقول: لولا الفقر لبلغت من الكمال شأناً ولعلّه كان صائباً فيما يقول، فلقد كان رجلاً طيبا ولذا قررت ان اعالجه وابعث في نفسه وروحه التوكل على الله، لأنه لو عرف حقيقة التوكل ركن اليه.. قرأت له هذه الآيات:

﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾.

﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾[2].

﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾[3].

﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾[4].

عندما قرأت عليه هذه الآيات قال: انني أؤمن بكل هذا لأنني لو رددت ذلك كنت كافراً، لكن أخبرني كيف أطمئن نفسي؟ كيف ارضيها فلا تقدم على عمل يتنافى مع روح التوكل ويسقطني من عين الله؟

قلت له: سأعلمك ثلاثة أعمال، عليك أن تقوم بها كل يوم بعد صلاة الفجر وهي أعمال مجرّبة تقوي فيك ملكة التوكل ومن اسباب السعة الرزق وقد وردت في كتاب «دار السلام» للحاج نوري انقل لك قصتها باختصار:

يقول المرحوم «محمد صادق العراقي» كنت فقيراً في أسوأ حال وطالما عملت فلم يُفتح عليّ، حتى كانت ليلة رأيت نفسي في عالم الرؤيا،

---

(١) سورة الاحزاب الآية ٤٨: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾.

(٢) سورة آل عمران الآيتان: ١٥٩ ـ ١٦٠.

(٣) سورة آل عمران الآيتان: ١٧٣ ـ ١٧٤.

(٤) سورة الانعام: الآية ١٤.

كأني في صحراء وكان في قلب هذه الصحراء خيمة لها جلال وفخامةوقد ضربت عليها قبّة فسألت لمن هذه الخيمة؟

فقال لي شخص: انها خيمة بقية الله الامام المنتظر عجل الله تعالى فرجه.

فأسرعت اليها وتشرفت بالمثول أمامه وشكوت له حالي وقلت له: علمني دعاءً يكشف عني ما أنا فيه من الهم!

فقال لي: اقصد تلك الخيمة (واشار بيده الى خيمة) فان فيها ولد من أ ِلادي.

فبادرت اليها فإذا أنا أمام السيد محمد سلطان آبادي وكان جالساً على سجّادة مستغرقاً في الدعاء، فحييته وردّ التحية بأحسن منها وشرحت له حالي، فعلمني ادعية توسع في الرزق وتوجد في النفس التوكل لأقرأها صباح كل يوم بعد الصلاة.

واستيقظت من نومي وكانت دهشتي لاتوصف، لأني وجدت نفسي احفظ تلك الادعية ومع ذلك ذهبت الى السيد محمد سلطان آبادي، على أني قطعت علاقتي معه بسبب موضوع معين.

طرقت عليه الباب ففتح أحدهم لي وقادني الى غرفته، فلما دخلت عليه وجدته بنفس الهيئة التي رأيته فيها في المنام فقد كان جالساً مستغرقاً في الاستغفار والذكر.

حييته وحياني وابتسم لي كأنه مطلع على ما جرى لي، فلم أحدثه عن الرؤيا وانما شكوت له حالي، فازدادت دهشتي لأنه علمني نفس الادعية التي علمنيها في المنام وما زاد عليها ولانقص!

وقمت بما أمرني به ففتح الله عليّ؛ كل هذا ببركة الدعاء والتوكل على الله.

فإن أردت أن تتعلمه فهو كما يلي:

أولاً: ان يضع يده على صدره ويهتف يا فتاح.

ثانياً: ان يقرأ الدعاء الذي رواه الكليني في الكافي بسنده عن رسول الله ﷺ وهو دعاء شريف يفيد في رفع الهموم والغموم.

«لا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم، توكلت على الحيّ الذي لا يموت والحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذلّ وكبره تكبيرا»[1].

ثالثاً: قراءة الدعاء الذي يرويه ابن فهد في كتابه عدة الداعي عن الامام الرضا عليه السلام:

«بسم الله وصلّى الله على محمد وآله، وأفوض أمري إلى الله ان الله بصير بالعباد؛ فوقاه الله سيئات ما مكروا؛ لا إله إلاّ أنت سبحانك اني كنت من الظالمين، فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين. حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء، ما شاء الله لا حول ولا قوة إلاّ بالله ما شاء الله لا ما شاء الناس وان كره الناس، حسبي الربّ من المربوبين حسبي الخالق من المخلوقين حسبي الرزاق من المرزوقين، حسبي الله رب العالمين، حسبي من هو حسبي، من لم يزل حسبي، حسبي من كان مذ كنت لم يزل حسبي، حسبي الله لا إله إلاّ هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم».

قال لي معلمي:

أعرف شخصاً كان ضعيفاً في مسألة التوكل وكان يجادلني في هذا كثيراً حتى إذا حدثته بما سأرويه لك من الأحاديث ثاب إلى رشده وأناب وترعرعت في نفسه روح التوكل فاصغ لما أقول لك منها:

١ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **«اوحى الله عزّ وجل إلى داود: ما اعتصم بي عبد من عبادي دون أحد من خلقي عرفت ذلك من نيّته، ثمّ تكيده السموات والارض ومن فيهنّ إلاّ جعلت له المخرج من بينهنّ وما اعتصم عبد من عبادي بأحد من خلقي عرفت ذلك من نيّته إلاّ قطعت اسباب السموات من يديه واسخت الأرض من تحته ولم ابال بأيّ واد هلك»**[2].

٢ ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: **«انّ الغنا والعزّ يجولان فاذا ظفرا**

---

(١) مفاتيح الجنان: التعقيبات المشتركة.

(٢) بحار الانوار ٦٨/١٢٦ ح٢.

بموضع التوكّل أوطنا»[1].

٣ ـ عن الصادق عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: **قال الله جلّ جلاله: يا بن آدم اطعني فيما امرتك ولا تعلّمني ما يصلحك**[2].

عن الحسين بن علوان قال: كنّا في مجلس يطلب فيه العلم وقد نفدت نفقتي في بعض الأسفار، فقال لي بعض اصحابنا: من تؤمّل لما قد نزل بك؟ فقلت: فلاناً، فقال: اذاً والله لا تسعف حاجتك ولا يبلغك املك ولا تنجح طلبتك، قلت: وما علمك رحمك الله؟

قال: ان ابا عبد الله ﷺ حدّثني أنّه قرأ في بعض الكتب انّ الله تبارك وتعالى يقول: «**وعزّتي وجلالي ومجدي وارتفاعي على عرشي لاقطعن امل كلّ مؤمل من النّاس أمّل غيري باليأس ولأكسونه ثوب المذّلة عند الناس ولأنجينّه من قربي ولأبعدنّه من وصلي، يؤمّل غيري في الشّدائد والشّدائد بيدي ويرجو غيري ويقرع بالفكر باب غيري وبيدي مفاتيح الابواب وهي مغلّقة، وبابي مفتوح لمن دعاني؟**

فمن ذا الّذي املني لنوائبه فقطعته دونها ومن ذا الّذي رجاني لعظيمة فقطعت رجاه منّي؟ جعلت آمال عبادي عندي محفوظة، فلم يرضوا بحفظي وملأت سمواتي ممّن لا يملّ من تسبيحي وامرتهم ان لا يغلقوا الابواب بيني وبين عبادي، فلم يثقوا بقولي، الم يعلم من طرقته نائبة من نوائبي انّه لا يملك كشفها احد غيري إلاّ من بعد اذني، فما لي أراه لاهياً عني؟ اعطيته بجودي ما لم يسألني، ثمّ انتزعته عنه فلم يسألني ردّه وسأل غيري. افيراني أبدأ بالعطايا قبل المسألة؟ ثمّ أسأل فلا اجيب سائلي؟ أبخيل انا فيبخلني عبدي أو ليس الجود والكرم لي؟ أوليس العفو والرحمة بيدي؟ او ليس انا محلّ الآمال فمن يقطعها دوني؟ افلا يخشى المؤملون ان يؤملّوا غيري؟ فلو ان اهل سماواتي واهل ارضي أمّلوا جميعاً ثمّ اعطيت كل واحد منهم مثل ما امل الجميع ما انتقص من ملكي مثل عضو ذرّة، وكيف

---

(١) بحار الانوار ٦٨/١٢٦ ح٣.

(٢) بحار الانوار ٦٨/١٣٥ ح١٢.

ينقص ملك انا قيّمه، فيابؤساً للقانطين من رحمتي ويا بؤساً لمن عصاني ولم يراقبني» [1].

وعن النبي ﷺ قال: **«من أحب أن يكون اتقى الناس، فليتوكل على الله ومن أحب ان يكون أغنى الناس، فليكن بما عند الله عز وجل اوثق منه بما في يديه»**[2].

عن أبي حمزة الثمالي، عن علي بن الحسين صلوات الله عليهما: **«قال خرجت حتّى انتهيت إلى هذا الحائط فاتكأت عليه فاذا رجل عليه ثوبان ابيضان ينظر في اتجاه وجهي ثم قال: يا علي بن الحسين مالي أراك كئيباً حزيناً؟ أعلى الدّنيا فرزق الله حاضر للبرّ والفاجر، قلت: ما على هذا احزن وانّه كما تقول، قال: فعلى الآخرة؟ فوعد صادق محكم فيه ملك قاهر (أو قال قادر) قلت: ما على هذا أحزن وانه كما تقول، فقال: مما حزنك؟ قلت: مما يتخوّف من فتنة ابن الزبير وما فيه الناس، قال: فضحك ثمّ قال: يا علي بن الحسين هل رأيت أحداً دعا الله فلم يجبه؟ قلت: لا. قال فهل رأيت احداً توكّل على الله فلم يكفه؟ قلت: لا. قال فهل رأيت احداً سأل الله فلم يعطه؟ قلت: لا. ثمّ غاب عني»**[3].

روي عن العالم انّه قال: **«من اراد ان يكون اقوى الناس فليتوكّل على الله»**[4].

قال رسول الله ﷺ: **«لو انكم تتوكّلون على الله حقّ توكّله لرزقكم كما يرزق الطّير تغدو خماصا وتروح بطاناً»**[5].

قال الباقر عليه السلام: **«من توكّل على الله لا يُغلب»**[6].

قال رسول الله ﷺ: **«ان آخر عبد يؤمر به إلى النّار فاذا أمر به التفت فيقول الجبّار: ردّوه فيردّونه فيقول له: لم التفت؟ فيقول: يا ربّ لم يكن**

---

(١) بحار الانوار ٦٨/ ١٣٠ ح٧.

(٢) المصدر السابق ٦٨/ ١٣٨ ح٢٢.

(٣) المصدر السابق ٦٨/ ١٢٢ ح١.

(٤) المصدر السابق ٦٨/ ١٤٣ ح٤٢.

(٥) المصدر السابق ٦٨/ ١٥١ ح٥١.

(٦) المصدر السابق.

ظنّي بك هذا. فيقول: وما كان ظنّك بي؟ فيقول: يا ربّ كان ظنّي بك ان تغفر لي خطيئتي وتسكنني جنّتك. قال: فيقول الجبّار: يا ملائكتي وعزّتي وجلالي وآلائي وعلوّي وارتفاع مكاني ما ظنّ بي عبدي هذا ساعة من خير قط ولو ظنّ بي ساعة من خير ما روّعته بالنّار، اجيزوا له كذبه وادخلوه الجنّة»[1].

حينئذ قال صاحبي: حقاً ان الله هو الرحمن الرحيم وهو يحب من عبده ان يثق به ويتوكل عليه ويكون عند حسن ظنه. ورأيت في وجهه من آثار الايمان والطمأنينة ما أثلج قلبي.. حفظه الله ورعاه.

وما أريد قوله هنا إن التوكل الخاص هو أعلى مرتبة يمكن ان يصلها الانسان المؤمن في سيره إلى الله، حيث الايمان بالله أكثر فاكثر[2].

---

(١) المصدر السابق ٦٧/ ٣٨٤ ح٤٢.

(٢) هناك شروح مفصلة حول التوكل الخاص في كتاب **«السير إلى الله»**.

منزلة التسليم السامية

قال لي معلمي:

ان مرحلة التسليم أعلى من التوكل ذلك ان الذي يتوكل على الله يتمنى ان ينجز الله سبحانه له ما يريد.

اما الذي بلغ درجة التسليم لله، يتمنى أن يوفقه لكل ما يحب ويرضى يعني المتوكل يطلب من الله أن يحقق ما يرغب الانسان والذي اسلم نفسه لله لا رغبة ذاتية لديه إلاّ ما يريده الله سبحانه.

«يتمنى بعضهم وصلاً وآخر يتمنى الهجران

ويتمنى أحدهم ألماً ويتمنى آخر شفاءً

وأنا لا اطلب لا الماً ولا وصلاً وهجراً

انما اتمنى ما ارتضاه»[1].

ويقول سبحانه وتعالى في محكم كتابه العزيز: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾[2].

ويقول تبارك وتعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[3].

قال لي معلمي:

قلت يوماً لاستاذي: لقد بلغت مقام التسليم، فقال لي: كلا انك لما تصل بعد.

---

(١) وأنا اتمنى أن أكون امينا في نقل معاني الشعر الفارسي (المترجم).

(٢) سورة البقرة الآية ٢٠٨.

(٣) سورة الدهر الآية ٣٠.

قلت انني لا أجد نفسي مرتبطاً بكل ما أقوم به فأنا في حالة تسليم لله.

فقال: لاتصرّ على ذلك فستمتحن ولن تصبر على ذلك وترسب في الامتحان.

قلت: أنا حاضر للامتحان.

كنت أريد أن أنقل مشاعري لا ستاذي حتى يعرفني جيداً ويعرف روحيتي.

وأخيراً جاء الامتحان وكنت ليلتها في مرقد الامام الرضا عليه السلام، ومع أنني كنت دائماً وأثناء زيارتي في حالة انبساط كامل وكأني أرى الامام، أي أنني اعيش حالة الوصل، ولكني كنت تلك الليلة وقد غابت عني هذه الحالة وكأن المسافات تفصلني عن المحبوب وهي الحقائق الالهية رسول الله، وآله الأطهار فشعرت بأن روحي تغادرني: أين أنا وحالة التسليم.. لا لست على استعداد لتحمل ذلك، لذا عدت وأنا أبكي إلى استاذي فقال لي: أتريد حالة التسليم أم العودة إلى ما كنت عليه!

قلت: لست على استعداد أن اتحمل ذلك وأريد الوصل مع المحبوب لقد كنت انعم بالنور لا استبدل الوصل بأي شيء.

قال: لا بأس انهض وتوضأ وصل ركعتين من أجل صاحب الزمان وردد «اياك نعبد واياك نستعين» رددها مئة مرّة ثم أقرأ دعاء الفرج من كل قلبك اقرأه بروحك وكل جوارحك وستعود إلى ما كنت عليه وستنعم بحالة الوصل من جديد.

ففعلت على الفور ما أمرني به استاذني وفي ما أنا مستغرق بالصلاة غمرتني حالة الانبساط.

ولم اترك استاذي قلت له: الآن وقد ادركت مقام التسليم وأني لم ابلغه بعد اطلب أن تعلمني شيئاً يوصلني إليه.

قال لي: انت تعرف أنني لا أعرف الاّ ما تعلمته من أهل البيت عليهم السلام وأن أقول لك توسل ببقية الله ارواحنا فداه فاصغ:

سلام على آل يس ذلك هو الفضل المبين. والله ذو الفضل العظيم

لمن يهديه صراطه المستقيم (التوجه) قد اتاكم الله يا آل يس خلافته وعلم مجاري امره فيما قضاه ودبره ورتّبه وأراده في ملكوته، فكشف لكم الغطاء وانتم خزنته وشهداؤه وعلماؤه وامناؤه وساسة العباد واركان البلاد وقضاة الاحكام وابواب الايمان وسلالة النبيين وصفة المرسلين وعترة خيرة رب العالمين؛ ومن تقديره منايح العطاء بكم انفاذه محتوماً مقرونا فما شيء منا الا وانتم له السبب وإليه السبيل، خياره لوليكم نعمة وانتقامه من عدوكم سخطة، فلا نجاة ولا مفزع إلا انتم ولا مذهب عنكم يا أعين الله الناظرة وحملة معرفته ومساكن توحيده في ارضه وسمائه وانت يا مولاي ويا حجة الله وبقيته، كمال نعمته ووارث انبيائه وخلفائه ما بلغناه من دهرنا وصاحب الرجعة لوعد ربنا التي فيها دولة الحق وفرجنا ونصر الله لنا وعزّنا، السلام عليك أيّها العَلَم المنصوب والعِلْم المصبوب والغوث والرحمة الواسعة وعدا غير مكذوب.

السلام عليك يا صاحب المرأى والمسمع الذي بعين الله مواثيقه وبيد الله عهوده وبقدرة الله سلطانه أنت الحكيم الذي لا تعجله الغضبة والكريم الذي لا تبخله الحفيظة والعالم الذي لا تجهّله الحمية، مجاهدتك في الله ذات مشية الله ومقارعتك في الله ذات انتقام الله وصبرك في الله ذو اناة الله وشكرك لله ذو مزيد الله ورحمته.

السلام عليك يا محفوظا بالله، الله نور امامه ووراءه ويمينه وشماله وفوقه وتحته.

السلام عليك يا مخزوناً في قدرة الله نور سمعه وبصره.

السلام عليك يا وعد الله الذي ضمنه ويا ميثاق الله الذي أخذه ووكده.

السلام عليك يا داعي الله وديّان دينه.

السلام عليك يا خليفة الله وناصر حقه، السلام عليك يا حجة الله ودليل ارادته، السلام عليك يا تالي كتاب الله وترجمانه.

السلام عليك في آناء الليل والنهار، السلام عليك يا بقية الله في ارضه.

السلام عليك حين تقوم، السلام عليك حين تقعد، السلام عليك حين تقرأ وتبين.

السلام عليك حين تصلي وتقنت، السلام عليك حين تركع وتسجد السلام عليك حين تعوّذ وتسبح السلام عليك حين تهلل وتكبر، السلام عليك حين تحمد وتستغفر، السلام عليك حين تمجد وتمدح، السلام عليك حين تمسي وتصبح، السلام عليك في الليل اذا يغشى وفي النهار اذا تجلى السلام عليك في الآخرة والاولى، السلام عليكم يا حجج الله ودعاتنا وقادتنا وائمتنا وسادتنا وموالينا، السلام عليكم أنتم نورنا وانتم جاهنا واوقات صلواتنا وعصمتنا بكم لدعائنا وصلاتنا وصيامنا واستغفارنا وسائر اعمالنا، السلام عليك أيها الامام المأمون، السلام عليك أيّها الامام المأمول، السلام عليك بجوامع السلام، أشهد يا مولاي أنّي اشهد ان لا إله الا الله وحده لا شريك له وان محمداً عبده ورسوله لا حبيب الا هو واهله وان أمير المؤمنين حجّته وان الحسن حجته وان الحسين حجته وان علي بن الحسين حجته وان محمد بن علي حجته وان جعفر بن محمد حجته وان موسى بن جعفر حجته وان علي بن موسى حجته وان محمد بن علي حجته وان علي بن محمد حجته وان الحسن بن علي حجته وانت حجته وان الانبياء دعاة وهداة رشدكم، انتم الاول والآخر وخاتمته وان رجعتكم حق لا شك فيها ولا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا وان الموت حق وان منكراً ونكيرا حق وان النشر حق والبعث حق وان الصراط حق وان المرصاد حق وان الميزان حق وأن الحساب حق وان الجنة والنار حق والجزاء بهما للوعد والوعيد حق وانكم للشفاعة حق لا تردون ولا تسبقون بمشية الله وبأمره تعملون ولله الرحمة والكلمة العليا وبيده الحسنى وحجة الله النعمى خلق الجن والانس لعبادته اراد من عباده عبادته فشقي وسعيد، قد شقي من خالفكم وسعد من اطاعكم وانت يا مولاي فاشهد بما اشهدتك عليه تخزنه وتحفظه لي عندك اموت عليه وانشر عليه واقف به، وليّا لك بريئا من عدوك، ماقتا لمن ابغضكم وادّاً لمن احببتم، فالحق ما رضيتموه والباطل ما سخطتموه والمعروف ما أمرتم به والمنكر ما نهيتم عنه والقضاء المثبت ما استأثرت به مشيتكم والممحو ما لا استأثرت به سنتكم، فلا اله الا الله وحده لا شريك

له ومحمد عبده ورسوله، علي امير المؤمنين وحجة، الحسن حجته، الحسين حجته، علي حجته، محمد حجته، جعفر حجته، موسى حجته، علي حجته، محمد حجته، علي حجته، الحسن حجته وانت حجته وانتم حججه وبراهينه انا يا مولاي مستبشر بالبيعة التي اخذ الله عليَّ شرطه قتالا في سبيله اشترى به انفس المؤمنين فنفسي مؤمنة بالله وحده لا شريك له وبرسوله وبامير المؤمنين وبكم يا موالي اوّلكم وآخركم ونصرتي لكم معدة ومودتي خالصة لكم وبراءتي من اعدائكم أهل الحردة والجدال ثابتة لثاركم، أنا ولي وحيد والله اله الحق جعلني بذلك آمين آمين، من لي الا انت فيما دنت واعتصمت بك فيه تحرسني فيما تقربت به اليك يا وقاية الله وستره وبركته اغنني ادنني ادركني، صلني بك ولا تقطعني، اللهم بهم اليك توسلي وتقرّبي، اللهم صل على محمد وآل محمد وصلني بهم ولا تقطعني بحجتك، اعصمني وسلامك الذي خلقته من ذلك واستقر فيك، فلا يخرج منك الى شيء ابداً أيا كينون أيا مكوّن أيا متعال أيا متقدس، أيا مترحم أيا مترئف أيا متحنن، اسألك كما خلقته غضا ان تصلي على محمد نبي رحمتك وكلمة نورك ووالد هداة رحمتك واملأ قلبي نور اليقين وصدري نور الايمان وفكري نور الثبات وعزمي نور التوفيق وذكائي نور العلم وقوتي نور العمل ولساني نور الصدق وديني نور البصائر من عندك وبصري نور الضياء وسمعي نور وعي الحكمة ومودتي نور الموالاة لمحمد وآله عليهم السلام ونفسي نور قوة البراءة من اعداء محمد واعداء آل محمد حتى القاك وقد وفيت بعهدك وميثاقك فلتسعُني رحمتك يا ولي يا حميد بمرأى الى محمد ومسمعك يا حجة الله دعائي، فوفني منجزات اجابتي أعتصم بك معك معك معك سمعي ورضائي يا كريم[١].

داومت على هذا الورد عدة ايام وكنت اذهب خلالها الى استاذي فيتحدث معي حول التسليم ساعة كاملة، وهو يعتقد بان آيات القرآن الكريم وروايات أهل البيت عليهم السلام تضيء النفس الانسانية وتضيء الطريق الى الكمال:

---

(١) بحار الانوار ج٩٩ صفحة ٩٢ عن مصباح الزائر صفحة ٢٢٣.

وفي مدة قصيرة بلغت مرادي وهو منزلة التسليم فلم يساورني القلق وسأروي لك بعض ما حدثني به الاستاذ:

١ . قال تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾[1].

٢ . قال رسول الله ﷺ: «**ان الله جلّ ثناؤه يقول: وعزتي وجلالي ما خلقت من خلقي خلقاً أحب اليّ من عبدي المؤمن ولذلك سميته باسمي مؤمنا لأُحرِّمه ما بين المشرق والمغرب وهي خيرة له منّي واني لأملّكه ما بين المشرق والمغرب وهي خيرة له مني فليرض بقضائي وليصبر على بلائي وليشكر نعمائي اكتبه يا محمد من الصدّيقين عندي**»[2].

قال لي معلمي:

قال لي تلميذ من تلامذتي وكان فيما يبدو يريد بلوغ منزلة التسليم فكان يجتنب كل عمل يتنافى مع التسليم المحض قال لي يوماً: لقد تركت الدعاء فلن اطلب من الله شيئاً فكل ما يريد الله هو الذي يحصل.

قلت له: انت مخطئ لأن الذي يريد التسليم لأوامر الله عليه أن ينتهي بنهي الله ويأتمر بأمر الله، ولو أنك التفت الى آيات القرآن وما ورد في الروايات لرأيت كيف ان الله سبحانه يريد من عباده الدعاء.

فالقرآن الكريم يخاطب المؤمنين من الذين اسلموا وجوههم لله قائلاً: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[3].

فمن يريد بلوغ درجة التسليم عليه أن يكون سبّاقاً في طاعة الله وعليه أن يطلب كل شيء من الله.

---

(١) سورة الحديد: الآية ٢٣.

(٢) بحار الانوار ٦٨ /١٥٨.

(٣) سورة غافر (المؤمن): الآية ٦٠.

قصة أيوب النبي عليه السلام

قال لي معلمي:

ذات ليلة وفي عالم المكاشفة رأيت أيوب النبي ورأيت ما جرى عليه من البلاء وسأحدّثك عن ذلك النبي الذي ابتلي فصبر.. كأني رأيت الملائكة كما جاء في الروايات تثني عليه. قال ملاك وقد حفّت به الملائكة: «ليس على وجه الأرض مثل أيوب في عبادته وزهده وايمانه. زاد الله في رزقه ومدّ في عمره يعطي السائل والمحروم ومن له حق معلوم ويقضي وقته في الشكر لله على ما أنعم عليه.

ادركت انني في زمن أيوب النبي واشهد قصته في الصبر وتسليمه لله وكان الشيطان يضمر له الكيد.

رأيت الشيطان يصغي بحقد للملائكة وهي تمجد ايوب الانسان وتصف عبادته وشكره وتثني عليه.

وكان همّ الشيطان اغواء الانسان الصالح وافساد عقيدة المؤمن وادخال الوسوسة في قلبه.

في هذه الأثناء رأيت دليلي[1] فاسرعت اليه وطلبت منه ان نذهب الى بيت أيوب لنرى عن قرب صبره وتسليمه ونرى ما سيفعله الشيطان.

رأينا الشيطان يتسلل الى منزله.. ايوب لم ير الشيطان وهو يطوف في المنزل متجسساً فرأى أيوب صاحب نعمة وقد آتاه الله ثراءً ومالاً ولكن الثروة لم تبطره ولم تغرّه وانما كان دائم الذكر لله وكانت يداه تنفقان على

(١) المراد الدليل الروح المقدس لأحد الائمة الاطهار ولا يريد الاستاذ التصريح به.

الفقراء؛ يطعم الجائعين ويكسي العراة ويغيث البائسين والمكروبين ويفك أسر المأسورين وكان اضافة الى كل ذلك يضرب على أيدي الظالمين ويعلم الجاهلين وينشر العلم والنور.

في البداية رأينا الشيطان يوسوس في قلب أيوب يريد أن يخدعه بزخارف الدنيا ومظاهرها الخدّاعة..

ما إن فعل ذلك الشيطان حتى رأينا أيوب يطرده ويلعنه فارتد الشيطان خاسئاً وقد ادرك ان ايوب من عباد الله المخلصين وهؤلاء ليس للشيطان أيَّ سلطة عليهم ولا يمكنه ان يفعل معهم شيئاً.

قال الشيطان لله: ان عبدك أيوب يعبدك ويقدس اسمك ولا يفرغ قلبه من ذكرك ولا يفتر عن تسبيحك.. انه لا يفعل ذلك عن خلوص في نيته ولا يقصد القربى منك. بل عوضاً عما انعمت عليه من مال وبنين وطمعاً بالمزيد ليدوم ملكه ويربو ماله.

أفلا يستحق كل هذا الملك العريض من آلاف الابل ومئات الخيل والبقر والزراع الشكر والعبادة؟

أليست عبادته خوفاً من زوال نعمته وسلب ماله، فيذكرك ويلهج لسانه بحمدك؟

وكان الشيطان صادقاً فيما قال فأيوب كان ثريّا جداً يعيش في نعيم وراحة والله سبحانه يحب أولياءه ويفيض عليهم بالبركات.

قلت لدليلي: أصادقاً كان الشيطان فيما قاله عن أيوب بأن عبادته عن طمع وأنه لولا الطمع ما عبد الله؟

قال دليلي: لأن الشيطان من أهل الطمع ويعبد الدنيا ولهذا يتصوّر غيره هكذا.

وسمعت الشيطان يقول: الهي ان عبادة ايوب انما هي عبادة خوف وطمع خوف من زوال نعمته وطمع في المزيد وهذه عبادة لا قيمة لها ولو أنك سلبت ملكه العريض، سترى حينئذ كيف يسقط ذكرك عن لسانه وتخرج طاعتك من قلبه.

وشدهت لوقاحة الشيطان وجرأته حتى كدت انفجر.. كيف يتكلم في رحاب الله من أجل أغواء الانسان؟!

لكن الله سبحانه قال: ان عبدي أيوب مخلص في عبادته وايمانه لا شائبة فيه وانه لا يعبدني الاّ لأنه وجدني أهلاً للعبادة، فذكره لي منزّه عن حب الدنيا بعيد عن الاطماع ويقينه اسمى من الخوف..

وها أنا أسلطك على أمواله وثروته فاجلب عليه بخيلك ورجالك وسترى بنفسك عاقبة عملك.

وسرّ الشيطان بما مكّنه الله وبرقت في عيونه الشرور، فجمع أعوانه ثم وزّعهم ليهاجموا كل ما يملكه أيوب..

وسرعان ما احترقت المزارع ونفقت الماشية ولم تمض مدّة وجيزة حتى استحال أيوب الى شيخ لا يملك لنفسه حولاً ولا قوّة واصبح أيوب بائساً فقيراً لا يملك شروى فقير.

جئت ودليلي لنرى ما سيفعه الشيطان بعد ذلك.. فرأيناه ينتحل شخصية شيخ حكيم يتوكأ على عصاه حتى اذا مرّ بأيوب قال له ـ وأيوب يعرف هويته ـ :

ألآن وقد احترق كل ما تملك واصبح كل شيء هشيماً تذروه الرياح أفلا تعترض على ربك.. قد احترقت مزارعك الخضراء ونفقت غنمك وخيولك وابلك ما معنى صبرك هذا؟ ان القريب والبعيد يشمت بك..

قال أحدهم: ان أيوب رجل مرائي وما زكاته وصدقاته الاّ رياءً.

وقال آخر: لو كان الله قادراً على جلب الخير ودفع الشرّ ما جرى على أيوب ما جرى.

وقال ثالث ان الله هو الذي أنزل البلاء على أيوب ليسرّ اعداءه ويحزن أصدقاءه.

كان الشيطان يتصور ان ما حدث لأيّوب من البلاء والدمار سيفرغ قلبه من الايمان.. لكني رأيت مع دليلي ايمان ايوب لقد كان قوياً كالجبل وصامداً كشجرة عميقة الجذور لهذا سمعناه يقول لذلك الشيخ المزيف:

ما احترق واندثر وما ذهب لم يكن ملكي كان عاريّة أودعها الله

عندي فاستردّ الله أمانته انتفعنا بها مدّة وشكرناه وقد استردها الله منا، وها أنا صابر على ما حلّ بي وقد سلّمت أمري اليه، فأنا أحمد الله على كل حال، هو مالك الملك يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك عمّن يشاء بيده الخير يعزّ من يشاء ويذل من يشاء.

قال ايوب ذلك وهوى ساجداً لله، فيما كان الشيطان ينظر اليه بحقد وكراهية وحيرة.

غمرتني الفرحة لجواب أيوب لقد كان ذلك صفعة للشيطان الذي ولّى..

ذهب الشيطان ليطلب من الله المزيد من الامكانات في تعذيب أيوب وصبّ البلاء عليه قال له: الهي ما يزال أيوب يشعر بالأمل انه ينظر الى أولاده في عافية سوف يأخذون بيده ويعينوه.. انهم أولاد أشدّاء وسوف يعملون على استعادة ما فقدوه.

لكني لو تسلّطت عليهم وأفنيتهم فإنّ صبر أيوب سوف ينهار أمام مصيبة فقد الأولاد والأهل.

قال الله سبحانه: لقد سلّطتك عليهم، فافعل ما بدا لك انك لن تنال من ايمان عبدي.. ان ايوب نعم العبد.

احترق قلبي من أجل ابناء أيوب ماذا سيفعل الشيطان بهم؟! قال دليلي: الدنيا دار امتحان ولن يحرم ابناء أيوب الأجر والثواب.. وستكون قصّة أيوب عبرة للأجيال على مرّ التاريخ.

وارتقى الشيطان تلّاً ونادى أعوانه فاجتمعوا ولهم صفير فأمرهم أن ينطلقوا الى قصر منيف حيث يعيش ابناء أيوب.. فتبعتهم مع دليلي لننظر ما سيفعلون.. ما إن وصل الشيطان حتى رأينا جدران القصر تهتز وتتزلزل ثم خرّ السقف فجأة وتهاوت الحيطان وما هي الاّ لحظات حتى قتل جميع أولاد أيوب.

تلبس الشيطان صورة أخرى وانطلق الى أيوب ليقول له: أتدري ما صبّ الله على أولادك من البلاء؟ لقد قتلهم جميعاً.. ليتك كنت شاهداً لترى ما حل بهم.. لتسمع تهشم عظامهم تحت الانقاض.. عبثاً ذهبت عبادتك.. الله لم يرع لك حقاً..

ايوب يذرف الدموع لكنه يقول: أولادي هبة الله لي وشاء أن يستردّها وأنا اشكره معطياً ومستعيداً..

وهوى أيوب ساجداً ليله.. أما أنا فقد شهدت كيف احترق الشيطان بنار حقده وكيف استحال الى دخان اسود كثيف؛ ان حقده يتضاعف على أيوب فانطلق يولول نحو الله قائلاً: ان أيوب ينعم بعافيته سوف يتزوج امرأة أخرى ويصبح له أولاد وذرّية وينسى ما حل به من مصائب انه كالنهر فالماء الذي يذهب يأتي مكانه ماء ويجري النهر.. لكني لو تسلطت على بدنه وعافيته فسترى عبادته حينئذ كيف تكون.. ان أيوب سيتمرد.. لن يتحمل عذاب العلل وآلامها.

كنت أصغي ودليلي الى وقاحة الشيطان واتعجب من قسوته وحقده.. فسمعنا صوتاً من قبل الباري عز وجل.. ان أيوب آيتي للعالمين انه يعبدني ولا يشرك بي شيئاً انه مثال التسليم لي.. اذهب لقد سلّطتك على بدنه ولكن ليس لك سلطان على روحه وعقله وفؤاده[١].

وعاد الشيطان وقد برق في عينيه الشر والحقد والكراهية لبني آدم، فراح يعذب أيوب وينخر في بدنه الى أن سقط أيوب طريح الفراش جسمه يذوي ويخبو كشمعة تحترق في قلب الظلمات.

وكان الشيطان يعذبه أشدّ العذاب[٢].

ذهبت مع دليلي لعيادته وجلسنا الى جانبه نبكي؛ انه الآن في أسوأ حال لقد غارت عيناه وذاب لحمه واصبح جلداً على عظم وقد اصفر لونه تماماً.. ومما يحز في النفس ان جميع اصدقائه هجروه وتركوه وحيداً.. لم يبق حوله أحد تفرقوا جميعاً الاّ زوجته الطيبة كانت المصدر الوحيد الذي يمدّه بدفء العاطفة ويضيء قلبه بالنور وكانت «رحمة» مصدر عزاء له في

---

(١) عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: **«ان الله عز وجل يبتلي المؤمن بكل بليّة ويميته بكل ميتة ولا يبتليه بذهاب عقله، أما ترى أيوب كيف سلط ابليس على ماله وعلى ولده وعلى أهله وعلى كل شيء منه ولم يسلطه على عقله، ترك له يوحّد الله به»** بحار الانوار ٦٠ / ٢٠١ ح١٨.

(٢) المصدر السابق ٦٠ / ٢٠٠، ٢٠١ ح١٧ باب قصص ابليس.

كل ما يواجهه من قسوة الزمان والاصدقاء.. وظل أيوب يشكر الله على ما أنعم عليه..

شاهدنا الشيطان يتميز غيظاً ان أيوب ما يزال يقاوم ببسالة نوائب الدهر ومصائب الحياة، فراح يفكر ويفكر فقتل كيف فكر ثم قتل كيف فكر. تساءلت مع دليلي ترى ماذا سيفعل الشيطان وكيف سيعالج هزائمه المنكرة وغروره وتكبّره؟

قال دليلي: انه سيبذل كل ما بوسعه في الصراع مع أيوب انظر انه يريد أن يفعل شيئاً جديداً.. انه يجمع أعوانه ليحدثهم عن هزيمته أمام أيوب قال له أحد الأعوان: اين ذهب مكرك وحيلتك ودهاؤك؟

أين ذهبت حبائلك.. اين نبالك وسهامك القتالة؟!

قال الشيطان ولقد اطلقت عليه آلاف الاسهام والنبال لكنها تكسرت جميعاً عند قدميه ان قلبه ما يزال قلعة للايمان.. لم استطع أن انفذ الى قلبه لحظة واحدة.

قال شيطان مريد: حدثنا كيف أخرجت آدم ابا البشر من الجنة؟

قال الشيطان: عن طريق زوجه حواء خدعتها وسوست لها فجرّت زوجها الى المعصية.

قال الشيطان المريد: اذن جرّب هذه الحيلة واهزم أيوب باستدراجك زوجته!

واطلق ابليس قهقهة شيطانية، أعقبها صوت مخيف فيه صفير وفحيح وانطلق الى زوجة أيوب، تمثل لها بصورة رجل اعترض طريقها بسؤال: أين زوجك؟

قالت هو هناك، انه يعاني من ضعف شديد كأنه يحتضر.. لقد مرّت سنوات وهو يعاني الآلام لا هو بالميت فأقيم عزاء ولا هو بالحيّ فاتعلق بحبل الأمل.

وفرك الشيطان يديه فراح يوسوس لها، راح يذكرها بالأيام الخوالي أيام النعمة والثراء والراحة.. فتدمع عيناها ويحترق قلبها ويتضاعف أساها وحزنها.

فاتجهت الى ايوب وقالت: الى متى يا أيوب تتعذّب الى متى يصبّ عليك ربّك العذاب؟ لماذا انت من بين الناس جميعاً؟ لقد تبددت أموالك ومات ابناؤك.. وانفض عنك أصدقاؤك.. واندثر جلالك أين ذهب كل ذلك ولم يا أيوب؟

قال ايوب بحزن: لقد خدعك الشيطان، كلماتك اسمع فيها وسوسته اللعنة على الشيطان أتأسين يا زوجتي على ما فاتنا.

قالت المرأة: لم لا تدعو ربّك ليرفع عنك البلاء؟

قال ايوب: كم عشنا في نعمة وراحة كم مضى علينا من السنين في ذلك النعيم؟

قالت: ثمانون سنة.

قال: ومن البلاء

قالت: سبع سنين.

قال: اني لأستحي من ربي ان اطلب منه رفع البلاء حتى تتساوى سنوات البلاء مع أعوام النعيم والرخاء..

لكني أظن بأن ايمانك قد ضعف وقلبك قد فرغ فلا تحتملين قضاء الله.. وأني لأحلف بالله إن عوفيت ضربتك مئة سوط وعهد الله علي لا أشرب ولا آكل من يدك وقد حرّمت ذلك عليّ ولن أراجعك في أي عمل..

والآن اغربي عن وجهي حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً.

وتضاعف حزن أيوب بعد أن أصبح وحيداً لا يعينه أحد، إن وقع الألم سيكون شديداً عليه بعد ما حصل ذلك مع زوجته. حينئذ نظر الى السماء ومدّ كفيه وقال بضراعة وخشوع: ربّ ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[1].

لقد شهدتُ ذروة الصبر وعمق التسليم لله ان أيوب يهزم الشيطان.. لقد هزم الانسان المؤمن ابليس.. كل هذا البلاء وكل هذا الألم وأيوب يزداد لله حمداً وتسليما.

(١) سورة الانبياء: الآية ٨٣.

واستجاب الله دعوة ايوب ذلك العبد الصابر فأوحى اليه أن أضرب الأرض برجلك فلما فعل ذلك نبعت الأرض ماءاً بارداً زلالا...

واغتسل ايوب وارتدى أيوب ثوب العافية مرّة أخرى.. لقد التأمت جراحه وقروحه وشاع نسغ الحياة والصحة في بدنه.

وكان مشغول الفكر ماذا يفعل بنذره مع زوجته الوفية الطيبة كيف يفي بنذره؟!

وجاءت رحمة.. جاءت تمرضه كعادتها، انها لا تستطيع ان تترك زوجها الذي يذوي ويذوي ويكاد يموت.. جاءت لكنها لم تجده تلفتت هنا وهناك فلم تجد أيوب.. وجدت شاباً وضيء الوجه تموج العافية في وجهه.. فأطالت النظر اليه لقد رأت فيه شباب زوجها ولم تلبث ان اكتشفت الحقيقة المدهشة لقد حدثت المعجزة وقد نجح أيوب في الامتحان الصعب..

فقامت اليه وعانقته.. وكان أيوب ما يزال مشغول الفكر فأوحى الله اليه أن يأخذ ضغثاً أي خيوطاً من الليف عددها مئة ويضرب برفق زوجته مرّة واحدة ليفي بذلك بنذره ولا يجازي زوجته بالاحسان الاّ احساناً... انها رفيقة دربه وشريكة صبره وايمانه ومقاومته.. وأعاد الله الى أيوب نعمته.. أمواله وأولاده وزاد في رزقه وبارك في حياته فنمت مزارعه وولدت ماشيته اضعافاً مضاعفة!

﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾[1].

وادركت اهمية الصبر والتسليم مقابل مشيئة الله وارادته وان مشقة الدنيا حلاوة الآخرة وان الله يجزي الصابرين.

---

(١) سورة الانبياء: الآيتان ٨٣ ـ ٨٤.

مقام الرضا الرفيع

قال لي معلمي:

زرت يوماً أحد العلماء وكان ذلك في أواخر حياته رحمه الله وقد انتشر الشلل في جسمه، حتى انه كان يوضع الطعام في فمه وكان لا يستطيع الحركة خطوة واحدة.

ذهبت لعيادته وسألته عن حاله إذا به يقول وقد ارتسمت ابتسامة رضا على شفتيه: ماذا اريد من الله؟ لقد وهبني كل طلبت، كأني اسمعه يقول لي: يا عبدي لا تكلف نفسك في الأكل لقد وكلت من يفعل ذلك.

كان يقول هذه الكلمات بحيوية، تشعر من يسمعها بأنها خارجة من اعماق قلبه.. كانت كلماته مفعمة بالرضا.

لقد شعرت وأنا في حضرته بذلك وادركت ان هذا الرجل قد بلغ مقام الرضا الرفيع.. وادركت ان من احب الله رضي بقضائه وحينئذ سيرضى الله عنه يقول سبحانه عن عباده هؤلاء: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾[1].

لقد ادركت تماماً مقام الرضا وفكرت لو اني أعود لمجالسة الآخرين فان هذا الوضوح قد يتراجع مرة أخرى، فطلبت من ولي الله أن أقضي أياماً أخر في مرافقته وهو وافق.. وها أنا انقل لك مشاهداتي عن نموذج «الرضا الكامل» بما استطعت ملاحظته فاصغ لما أقول:

كان اشبه بالسجين وكان المرض يشبه قضبان السجن، قيل له سوف يطلق سراحك من السجن فكان ينتظر الملاك عزرائيل ويعدّه ملاك الرحمة

---

(١) سورة المائدة: الآية ١١٩.

ومن بيده مفتاح السجن.. سجن الدنيا. عندما يشتد عليه المرض كان يتضاعف فرحه ويقول: ان محبوبي يعانقني آه ما الذ الوصال!

وتذكرت في تلك اللحظات ما يقال على المنابر في أيام عاشوراء الحسين إذ كان وجهه يشتد سطوعاً كلما اشتدت المصائب عليه حتى هتف عليه السلام: «رضا برضائك»[1].

فكان في كل حال يشعر بالرضا، حتى رأيت في وجهه ذلك ورأيت في وجهه تألق الآية الكريمة: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾[2].

لقد قضيت أياماً وأنا أراه يتقلب بين الموت والحياة وكان المرض يشتد عليه وكان يتجه بسرعة نحو الموت ولو أصيب غيره بما أصيب به لشكى وبكى لكنني لم أر عليه سوى مظاهر الرضا والطمأنينة والسلام وادركت حينها معنى الآية الكريمة من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾﴾[3].

لكأن هذه الآية تشع بهذا المعنى وهو عندما تبلغ النفس الانسانية الكمال وتستعد للقاء الله العظيم، حيث التسليم لارادته سبحانه حينئذ يتحقق الخطاب الالهي لذلك الانسان الراضي برضا الله، فيكلمه الله ويولد الحب الالهي بين الرب وعبده، فيرضى الله عنه ويرضى هو عن الله.

هذا الحب الكبير الذي يرتفع بالانسان الذي لا يملك من نفسه شيئاً الى مقام فريد، ليكون حبيباً عند محبوب عظيم، فيرتبط بالقدرة المطلقة ومن يصل هذه المرحلة يصل السعادة المطلقة.

فمن بلغ مقام الرضا يعني أنه بلغ الكمال، حين تزول كل الحجب الظلمانية والنورانية ويتخذ مكانه بين أولياء الله في الدنيا وفي الجنة.

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام.

(٢) سورة يونس: الآية ٦٢.

(٣) سورة الفجر: الآيتان ٢٧ ـ ٢٨.

ولـذا ورد فـي الـقـرآن هـذا الـخـطـاب: ﴿فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ۝٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾[1].

وخلال مشاهدتي لولي الله ادركت ان جنته قد بدأت في الدنيا! فما الذي يوجد في الجنة لم يمنح له في الدنيا؟ في الجنة رضوان من الله اكبر وقد حصل عليه، في الجنة علاقة الأولياء بالله وقد تحققت فيه، في الجنة رضا من الله وقد خاطبه الله بذلك في الدنيا.

قال لي معلمي:

حلّقت روحي ليلة وتدفق نبع الحب الالهي في قلبي وروحي وأدركت انها ليلة المبعث النبوي الشريف، فجأة وقبل أن أنام تألقت أمام عيني هذه الآية الكريمة: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ۝٦٥﴾[2].

كانت الآية تشع بنور خاص وكانت تقودني الى مقام الرضا مع انها تشير الى مقام التسليم، لكن لو ان احداً انتفى في قلبه الحرج من قضاء الله وقدره فهو الرضا الكامل عن الله عز وجل.

قال لي معلمي:

رأيت نفسي يوماً في عالم المكاشفة جالساً الى جانب جابر بن عبد الله الانصاري وكان في فراش المرض وفي هذه الاثناء دخل عليه الامام الباقر وقد جاء لعيادته.

وشعرت بالفرحة تغمرني، لأني استطعت رؤية الامام وهو لم يزل في شبابه فيما كان جابر طاعناً في السن.

«فسأله عن حاله فقال: أنا في حالة احب فيها الشيخوخة على الشباب والمرض على الصحة والموت على الحياة.

فقال الباقر عليه السلام: أما أنا يا جابر، فان جعلني الله شيخاً احب

---

(١) سورة الفجر: الآيتان ٢٩ ـ ٣٠.

(٢) سورة النساء: الآية ٦٥.

الشيخوخة، وان جعلني شاباً احب الشيبوبة، وان امرضني احب المرض وان شفاني احب الشفاء والصحة، وإن أماتني احب الموت وان أبقاني أحب البقاء.

فلما سمع جابر هذا الكلام منه قبل وجهه وقال صدق رسول الله ﷺ فانه قال: ستدرك لي ولداً اسمه اسمي، يبقر العلم بقرا كما يبقر الثور الأرض»[١].

قال لي معلمي:

يقول الفيض الكاشاني: من بلغ مقام الرضا تتبدل لديه مرارة القضاء والقدر الى حلاوة.

فالرضا عبارة عن ارتفاع الكراهة واستحلاء المرارة في احكام القضاء والقدر[٢].

قال لي معلمي:

من أحب بلوغ منزلة الرضا فليقرأ هذا الدعاء كل يوم بعد الصلاة:

«رضيت بالله رباً وبالاسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وآله نبياً وبعلي اماماً وبالحسن والحسين وعلي ومحمد وجعفر وموسى وعلي ومحمد وعلي والحسن والخلف الصالح عليهم السلام ائمة وسادة وقادة بهم اتولّى ومن أعدائهم اتبرأ»[٣].

قال لي معلمي:

لقد داومت على قراءة هذا الدعاء اربعين يوماً بعد كل صلاة فحصل لي من الرضا والشوق ما لا يوصف.

كنت طالما اردد شعر حافظ الذي يقول فيه:

أكان فراقاً ووصلاً سواء حبيبي رضاه الذي أطلب
وحيفاً علي فيما لو تمنيت غير الذي يرغب[٤].

---

(١) عوالم العلوم ج١٩ / ٦٤ ح١.

(٢) مقامات معنوي.

(٣) مفاتيح الجنان / التعقيبات المشتركة.

(٤) بالفارسية: فراق ووصل چه باشد رضاي دوست طلب كه حيف باشد از او غير أو تمنائي.

قال لي معلمي:

من أراد بلوغ مقام الرضا فعليه أولاً ان يزكي نفسه وان يكافح الرذائل فيه وبعدها يأنس بالله، فإذا مضى عليه زمان وهو مستأنس بالله حصل لديه «التوكل والتسليم» و«الرضا» فكل هذا يأتي من الانس بالله سبحانه.

مقام الاعتصام

قال لي معلمي:

ان السالك الى الله عندما يصل مقام الرضا يصبح معتصماً بالله لأنه يأنس بربّه ويحبه ويعرفه، ويعدّه حاضراً وناظراً يراقبه ولذا فهو لا يعصي الله ولا يرتكب حتى المكروهات، انه ليس على استعداد ان يخالف ولو مقدار ذرة.

وما الاعتصام الاّ حفظ النفس عن الانحراف والنقص وهذا ينشأ من معرفة الله والأنس به.

والله سبحانه يقول: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ﴾[1]. فالانسان وبالاعتصام يبلغ مصاف الانبياء الذين هم معصومون وعصمتهم نشأت من معرفتهم بالله عز وجل.

الاعتصام يعني علاقة بين المؤمن والانبياء، علاقة صميمية لا تقبل الانفكاك ولذا جاء في الروايات ان حبل الله هو الائمة المعصومون وان معرفة الله لاتتم الا بعد معرفتهم «من عرفكم فقد عرف الله» وانهم «عين الله» وهذا ما نراه واضحاً في الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[2].

وكما ورد الاعتصام بالله في الآية الآنفة الذكر، فقد ورد الاعتصام

---

(١) سورة الحج: الآية ٧٨.

(٢) سورة التوبة: الآية ١٠٥.

بـ«حبل الله» قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[1].

فالحبل الالهي انما هو التمسك بالائمة الطاهرين من آل بيت النبي ﷺ.

وهذا الاعتصام بالله وبحبله يهدي الى الصراط المستقيم يقول عز وجل: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[2].

قال لي معلمي:

أجل العاشق المتيم مفتون برؤية جمال الله؛ هذا الجمال الذي لا يراه الاّ القلب المشرق فإذا هو مشغوف به وقد انعكست آثار الحب عليه انعكاس الشعاع في المرآة.

إنّك ان اسرتني بعينيك الناعستين وقد عشقتك..
ان أحداً لا يستطيع اصطياد ظبيٍ بهذا الجمال..
عبثاً تقول لي دع هذا الجمال..
عبثاً تعظني يا هذا!

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٠٣.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٠١.

مقام الحزن والخوف

قال لي معلمي:

يقول القرآن الكريم: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾[1].

أجل إن الأولياء تحت رداء الله ولا يخشون أحداً الا هو. ولو صبت عليهم مصائب الدنيا ما شعروا بالضعف؛ انهم في ثبات الجبل لا تزعزعه العواصف، لكنهم في نفس الوقت يعيشون حالة من الخوف والحزن تجده في اعماقهم المضطرمة بالايمان... ولكن أي حزن هو حزنهم وأي خوف هو خوفهم؟!

انه حزن من أجل فراق المحبوب وخوف من هجرانه..

يقولون إن العامري الذي جنّ بمحبوبته أخذوه الى ليلاه، لما رآها بكى فقيل له لم البكاء الآن وهي قربك وانت قربها فلم تبكي؟

قال أخاف أن يأخذوها مني!

قال لي معلمي:

ان امرّ البلاء وأصعبه هو الفراق بعد الأُنس وما لم يذق الانسان حلاوة الوصل لن يدرك مرارة الهجران ولن يقلق من هاجس الفراق، فهو لا يخشى الفراق لكنه لو نعِم باللقاء ووصل المحبوب الحقيقي ولو لحظة واحدة، فلن يحتمل حينئذ ألم الفراق! أيصبر لحظة؟ لا أبداً.

---

(١) سورة يونس: الآية ٦٢.

قال لي معلمي:

أعرف أحد الأولياء وهو بمثابة استاذي وقد نال مقام الوصل ينشد شعراً في ألم الهجران والفراق ويذرف دموع الوجد

حتام اجتر حزني لفراق الحبيب

واسهر ليلي أنوح

قلبي المجنون لا يسمع نصحاً

انه ينسج من سوالفه أغلالاً

ويخشى الحرّية من أسر المحبوب

ابتعد ايها الواعظ فكلامك لغو

فلا أمل في فكاكي فهذا قدري

سألته: ألم تبلغ الوصل فلم تنوح بالهجران؟

قال: أجل بلغت الوصال لكنني اخشى الفراق.

أجل فكلما نهل الانسان من نبع الوصال وذاق لذائذه تضاعف خوفه من الفراق وغمر قلبه حزن من هاجس الهجران.

مقام الاخبات

قال لي معلمي:

ذات ليلة وفي عالم المكاشفة أو تخلية الروح ذهبت الى جمع من الأولياء وكانوا جميعاً مستغرقين في صلاة الليل.

رأيتهم جميعاً في طمأنينة تامة، ليتك كنت معي لترى بعينيك الطمأنينة وتشهد تلك السكينة وهي تغمرهم.

انهم بلغوا مقام الاخبات الرفيع فهم ينعمون براحة بال تغمرهم طمأنية وسلام.. الله سبحانه أمر رسوله قائلاً: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾[1].

انهم في حالة السلام الكامل فبشرهم الله به.

طوبى لهم! أعصابهم هادئة وبالهم فارغ، الله سبحانه ينشر عليهم رحمته وحمايته.. محبوبهم يحبهم دائماً ومولاهم معهم دائماً.

أنِسوا بالمحبوب فهم يعبدونه من كل قلوبهم يحدّثونه ويبثونه الهموم فمصيرهم يوم القيامة جنات الخلد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾﴾[2].

قال لي معلمي:

---

(١) سورة الحج: الآية ٣٤.

(٢) سورة هود: الآية ٢٣.

الاخبات مقام يأتي بعد مقام الرضا الرفيع وفي عقيدتي ان الانسان ما لم يبلغ حالة التسليم والرضا فلن يكون من المخبتين كما قال تعالى في محكم كتابه: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾[1].

(١) سورة الحج: الآية ٥٤.

مقام الاخلاص

قال لي معلمي:

الاخلاص مقام هام وخاص وسرّ من أسرار الله عز وجل.

يروى ان حذيفة بن اليمان سأل رسول الله ﷺ: ما الاخلاص؟ فقال رسول الله ﷺ: «**سألت جبريل فقال: ان الله تعالى يقول: الاخلاص سرّ من سرّي استودعه في قلب من احبيته من عبادي**»[1].

قال لي معلمي:

ان على الانسان ان يجعل من اعماله كلها خالصة لله سبحانه[2] وهو القائل عز وجل ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾[3].

وروي عن أمير المؤمنين علي قوله: «**طوبى لمن أخلص لله العبادة والدعاء ولم يشغل قلبه بما ترى عيناه ولم ينس ذكر الله بما تسمع اذناه ولم يحزن صدره بما اعطى غيره**»[4].

وعن الصادق عليه السلام قال: «**الابقاء على العمل حتى يخلص اشدّ من العمل والعمل الخالص الذي لا تريد أن يحمدك عليه أحد الا الله عز**

---

(١) منية المريد / ٢٧.

(٢) سورة النساء: الآية ١٤٦ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ سورة الأنعام: الآية ٦٢ ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾.

(٣) سورة الزمر: الآية ٣.

(٤) بحار الانوار ٦٧ / ٢٢٩ ح٥.

وجل»[1].

وقال رسول الله ﷺ: **«ثلاث من كن فيه أو واحدة منهن كان في ظل عرش الله (الى أن قال) ورجل لم يقدّم رجلاً حتى يعلم ان ذلك لله رضا أو يحبس»**[2].

وعن الامام الجواد عليه السلام: **«افضل العبادة الاخلاص»**[3].

والزهراء سيدة النساء عليها السلام قالت: **«من أصعد الى الله خالص عبادته اهبط الله عز وجل اليه أفضل مصلحته»**[4].

---

(١) المصدر السابق ٦٧ / ٢٣٠ ح٦.

(٢) المصدر السابق ٦٧ / ٢٤٣ ح١١.

(٣) المصدر السابق ٦٧ / ٢٤٩ ح٢٥.

(٤) المصدر السابق.

مقام الخلوص

قال لي معلمي:

وفي هذا المقام يقوم السالك الى الله بما هو أعلى من الإخلاص، وذلك بعد ان يطهّر نفسه من كل شيء الاّ حب الله، فتكون صفاته صفات الهية وتكون يده يد الله ولا ترى عينه شيئاً غير الحق ولا يسمع سوى الحق ولا يقول الاّ الحق.

وليس في ذاته من صفات الشيطان والحيوان مقدار ذرة.

وبعبارة واحدة تكون اعماله واخلاقه وسلوكه وروحيته الهية فلا شائبة في وجوده.

وقد فصّلنا هذه المراحل في كتاب «السير الى الله» فراجع ان شئت.

مقام التوحيد

قال لي معلمي:

اذا استطاع الانسان الخلاص من الرذائل وزكى نفسه وحصل على الرضا الالهي وجعل من نفسه نموذجاً للانسان الكامل وبلغ مرتبة الاخلاص والخلوص وهما من أعلى المراتب واشقها على الانسان، فانه حينئذ سيصل الى مقام القرب الالهي وهو حلم جميع الاولياء.

سيصبح ولياً لله محبوباً من لدنه ومن أنصار الله، واذا أصبح الانسان موحداً تكون ارادته ارادة الله وسيبلغ مقام التوحيد، حيث تذوب كل رغباته وتتلاشى الآلهة المزيفة في وجوده، سيصل مقام الكمال الحقيقي.

وهنا سكت الاستاذ واطلق آهة ثم قال: كم يخطئ هؤلاء الناس وهم يلهثون وراء البطولات في كل الالعاب وفي كل حقول الحياة.. أما في الحقول الانسانية والكمال الروحي، فلا يفكر في ذلك أحد، مع ان الله خلقهم لذلك، هل ان الله تعالى أمرهم بالاستباق في أمور الدنيا؟ أم أنه خاطبهم قائلاً: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾[1].

وهو سباق في طريق الكمال الانساني وهذا ما نجده في حياة أئمة أهل البيت وقد جاء الثناء فيهم: ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾[2].

وقد أمرنا الله سبحانه باتباعهم.

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٤٨.

(٢) سورة فاطر: الآية ٣٢.

مقام الوحدة

قال لي معلمي:

عندما يتزكى الانسان ويطهّر نفسه من كل الرذائل الشيطانية ويصبح مرآة تتجلى فيها صفات واسماء وأفعال الذات الأحدية المقدسة، فانه يكون قد بلغ مقام الوحدة وقد تخلّق باخلاق الله وقد توثقت العلاقة بينه وبين صاحب الأمر، علاقة لا تقبل الانفكاك ينطبق عليها قول الشاعر:

وأنا المولى والمولى أنا نحن روح واحد في بدنين[1]

فكل ما يريده المولى يريده هو وكل ما يأمر به المولى يأمر به هو، عندها يستطيع الاولياء بالارادة الواحدة ان يطبقوا السماء على الارض.

انهم يتوحدون مع مولاهم ولا يوجد بينهما ذرة من الاختلاف وكلما زاد قربهم من المحبوب تتضاءل ارادتهم التكوينية ومن هنا جاء قوله تعالى مخاطباً النبيﷺ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[2].

ويقول رسول اللهﷺ في هزيمة الاحزاب: **«وهزم الاحزاب وحده»**[3] .ففي رؤية النبيﷺ ان الله سبحانه هو الذي هزم جيوش الاحزاب.

هذه هي مرحلة الوحدة وهي نتيجة السير الى الله ولقاء الخالق عز وجل وبلوغ المقصود.

---

(١) جاء في الشعر العربي:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا

فتأمل الصورتين (المترجم).

(٢) سورة الانفال: الآية ١٧.

(٣) مفاتيح الجنان / ١٣.

مقام الفناء في الله

قال لي معلمي:

لقد ذكرت لك معنى «الفناء في الله» وجرى ذلك على لساني فمّما حدّثتك به هو ان الانسان اذا ما وقف امام المرآة، فسوف ترتسم له صورة تشبهه تماماً ولن يجد أي فرق بينه وبينها، فكل الصفات والخصائص الظاهرية سوف تنعكس كما هي في المرآة.

وهنا يمكن القول ان الصورة قد فنيت في هذا الشخص، لانه لا توجد أيُّ علامة فارقة بينهما.

ومثال آخر لو أنك ألقيت بسبيكة من الحديد في موقد حتى اذا احمرّت واتقدت وتوهجت واصبح لها نفس صفات النار حينئذ يمكن القول ان سبيكة الحديد فنيت في النار وامّحت فيه وتصبح في الظاهر ناراً ولا يبقى من الحديد شيء.

والانسان ايضاً اذا ما سما الى مقام الانسانية الرفيع وتخلق باخلاق الله وتجلت فيه صفات أفعال الله واصبح مرآة تامة لله فانه يكون قد بلغ مرتبة الفناء في الله، ولن يكون حينئذ فرق بين العبد ومولاه في الصورة الظاهرة لأنه قد فني فيه.

قال لي معلمي:

«أبى الله ان يجري الاشياء الاّ بالاسباب»[1] كما جاء في الحديث وعن جابر بن عبد الله قال: «**قلت لرسول الله ﷺ: أول شيء خلق الله**

(١) بحار الانوار ٢ / ٩٠ ح١٤.

تعالى ما هو؟ فقال: نور نبيك يا جابر، خلقه الله ثم خلق منه كل خير».

وقال ابو عبد الله الصادق عليه السلام: **«نحن السبب بينكم وبين الله عز وجل»**[1].

ولذا نقول ان المعصومين الاربعة عشر المرآة التي يعكس فيها الجانب الالهي وان على الانسان الذي ينشد الكمال الروحي بكل مراتبه ان يجعل من روحه مرآة لهذه الانوار المقدسة.

يمكن ان نمثل لذلك بالشخص الذي يضع مقابل الشمس مرآة ثم يأتي شخص آخر ليضع مرآة مقابل صورة الشمس المنعكسة داخل المرآة الأولى وصحيح قوله: إن في مرآتي شمساً أيضاً.

لكن صفات الكمال الانساني هي أخلاق الله ونحن نقتبسها من الأنوار المقدسة للائمة الاطهار وصحيح ان نقول اننا تخلقنا باخلاق الله وصحيح أيضاً قولنا اننا اتباع وشيعة امام زماننا.

---

(١) المصدر السابق ١٥ / ٢٤ ح٤٣.

الملائكة

«في هذا القسم حقائق اختلف حولها العلماء، ولذا ينبغي على السالكين الى الله الاهتمام بها والتأمل فيها».

قال لي معلمي:

كنت مبتهجاً ذلك الصباح بعد صلاة الفجر، وقد قرأت الزيارة الجامعة فالتقى قلبي ولياً من أولياء الله واشرقت روحي باللقاء فراح يصف لي خلق الملائكة:

ان الله عز وجل خلق الانوار المقدسة للمعصومين قبل خلق الخلق[1] فهي مستأنسة به لا تفارقه لحظة، تحبه ويحبها ثم خلق الله بعد ذلك الملائكة من أنوارها.

قال رسول الله ﷺ في حديث طويل لعلي عليه السلام: «**ثم خلق الملائكة فلمّا شاهدوا ارواحنا نوراً واحداً استعظموا أمورنا فسبحنا ليعلم الملائكة إنّا خلق مخلوقون وأنه منزّه عن صفاتنا، فسبحت الملائكة لتسبيحنا ونزهته، فلما شاهدوا عظم شأننا هللنا لتعلم الملائكة ان لا اله الاّ الله وإنّا عبيد ولسنا بآلهة يجب أن نعبد دونه أو معه، فقالوا لا اله الاّ الله، فلما شاهدوا كبر محلّنا كبرنا الله لتعلم الملائكة ان الله اكبر من أن ينال (الى ان قال): فبنا اهتدوا الى معرفة الله تعالى وتسبيحه وتهليله وتحميده**»[2].

والملائكة مخلوقات طيبة مطيعة طاهرة بعيدة عن مظاهر التكبر ﴿بِأَيْدِي

(١) الامام علي عليه السلام: «**نحن صنائع ربنا**» بحار الانوار ٥٣ / ١٧٨ ذيل ح٩.

(٢) كمال الدين / الصدوق ١ / ٢٥٤.

﴿سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۝١٦﴾[1]. فهم لا يعرفون غير الطاعة لربهم[2].

وقد علمهم الله سبحانه وأوكل اليهم مهمات يقومون بها ﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ۝٤﴾[3] ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧﴾[4].

وأعمالهم أيضاً حفظ السموات من تسلل الشياطين لاستراق السمع: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ۝٧﴾[5] ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾[6] وهم من الكثرة والعدد ما لا يعلم إلا الله عز وجل.

أما قابلياتهم على استيعاب العلوم فليست كالبشر. وفي الملائكة من تسامت درجته ومرتبته وهم أربعة «جبرائيل واسرافيل وميكائيل وعزرائيل» وقد أوكل الله اليهم مهاماً كبرى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾[7].

فجبرائيل يحمل رسالات الله الى الانبياء وعزرائيل يقبض ارواح الناس ممن حانت آجالهم ﴿مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾[8].

وهؤلاء الاربعة أعظم ما خلق الله من الملائكة[9].

---

(١) سورة عبس: الآيتان ١٥ ـ ١٦.

(٢) بحار الانوار ٥٦ / ١٧١.

(٣) سورة الذاريات: الآية ٤.

(٤) سورة ق: الآية ١٧.

(٥) سورة الصافات: الآيتان ٦ ـ ٧.

(٦) سورة الرعد: الآية ١١.

(٧) سورة الحج: الآية ٦٥.

(٨) سورة السجدة: الآية ١١.

(٩) رسول الله ﷺ: **«ان الله تبارك وتعالى اختار من كل شيء اربعة، اختار من الملائكة جبرئيل وميكائيل واسرافيل وملك الموت»** بحار الانوار ٢ / ٩٢ ح٢١.

عالم الملائكة

قال لي معلمي:

ليلة كنت مستغرقاً في عالم المكاشفة، مستغرقاً في تأملاتي لماذا يرفض البعض بعض الحقائق التي جاءت بها الكتب السماوية وهي معقولة الى حدّ كبير وتنسجم مع الفطرة ثم لا يكتفون بذلك بل يصغون الى أقوال الفلاسفة الماديين من الذين لا يؤمنون حتى بالله عز وجل[1] مع ما فيها من الغموض والابهام ويعدّونها ملاك العقل.

وعلى كل حال قال دليلي عن عالم الملائكة.

خلق الله الملائكة من الهواء والنور ولذا لا تستطيع العين البشرية رؤيتهم[2].

وهم اعداد هائلة لا يعلم عدّتهم أحد الاّ الله. وهم عبيد الله مخلوقون لطاعته ليس فيهم اناث وذكور[3]، وان عدوهم عدو لله[4]، ومن مهماتهم

---

(١) الامام الصادق عليه السلام: «... **فانظروا علمكم هذا عمن تأخذونه، فان فينا أهل البيت في كل خلق عدولاً ينفون عنه تحريف الغالين وانتهال المبطلين وتأويل الجاهلين**». بحار الانوار ٢ / ٩٤ ح٣٢.

(٢) سورة الاحزاب: الآية ٩ ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾. الامام ابو محمد الحسن العسكري عليه السلام: «... **فيما احتج به رسول الله صلى الله عليه وآله به على المشركين: والملك لا تشاهده حواسّكم، لانه من جنس الهواء، لا عيان منه ولو شاهدتموه بان يزاد في قوى ابصاركم لقلتم ليس هذا ميكائيل هذا بشر**». البحار ٥٦ / ١٧١ ح١.

(٣) سورة الصافات: الآيتان ١٤٩ ـ ١٥٠ ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ * أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾.

(٤) سورة البقرة: الآية ٩٧: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ﴾.

حفظ عباد الله من الحوادث[1]، وربما اشتركوا في نصرة الذين يقاتلون في سبيل الحق كما حصل ذلك في معركة بدر حيث اشترك آلاف الملائكة في القتال[2].

وربما تمثل الملك بصورة انسان كما حدث لمريم[3] بنت عمران وابراهيم ولوط[4] وأنهم يحفون بالعرش يسبحون لله خشية منه[5].

وجعل الله لهم اجنحة: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾[6] وهم متفاوتون في العقل والفهم[7] فهم على مراتب مختلفة ووظائف متنوعة فترى بعضهم يحف بالعرش يسبح بحمد الله[8] ويستغفرون من أجل الناس[9] فهم بين السماء والارض في نزول وعروج يأنسون بالمؤمنين ويبددون عنهم وحشة الطريق.. طريق التكامل الانساني: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾[10].

وهم سواء في عملهم في الجنة أو خزنة على النار انما يؤدون طاعتهم لله فهم مظهر الغضب الالهي وتجل الرحمة المطلقة[11].

وقال لي دليلي في عالم المكاشفة: هلم نطوف في عالم الملائكة ونراهم عن قرب، ثم اخذ بيدي وانطلق الى الأعالي حيث الملائكة.

---

(١) سورة الانعام: الآية ٦١: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾.

(٢) سورة الانفال: الآية ٩: ﴿أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾.

(٣) سورة مريم: الآية ١٧: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾.

(٤) سورة الحجر: الآية ٥٢ ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ﴾.

(٥) سورة الرعد: الآية ١٣ ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾.

(٦) سورة فاطر: الآية ١.

(٧) ابو جعفر الباقر عليه السلام: **«ان الله خلق اسرافيل وجبرائيل وميكائيل من سبحة واحدة وجعل لهم السمع والبصر وجودة العقل وسرعة الفهم»** بحار الانوار ٥٦ / ١٧٥ ح٥.

(٨) سورة الزمر: الآية ٧٥: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾.

(٩) سورة الشورى: الآية: ٥: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

(١٠) سورة فصلت: الآيتان ٣٠ ـ ٣١

(١١) بحار الانوار ٥٦ / ٢١٨ دعاء الصحيفة السجادية

في البدء سلكنا الطريق الذي سلكه نبينا عليه الصلاة والسلام في رحلة المعراج[1]. وراح دليلي يقصّ علي بعض ما جرى في تلك الرحلة[2].

---

(١) سورة الاسراء الآية ١: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾.

(٢) في عالم المكاشفات لا معنى للزمن الماضي والمستقبل فكل الازمنة يمكن مشاهدتها في زمان الحاضر.

ومن أخبار رحلة الاسراء والمعراج ما ورد في بحار الانوار:

عن ابي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: **«لما اسري بي الى السماء ما سمعت شيئاً قط هو أحلى من كلام ربي عز وجل: فقلت: يا رب اتخذت ابراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما ورفعت ادريس مكاناً عليا وآتيت داود زبوراً وأعطيت سليمان ملكا لا ينبغي لأحد من بعده فماذا لي يا رب؟ فقال جلّ جلاله: يا محمد اتخذتك خليلاً كما اتخذت ابراهيم خليلاً وكلمتك تكليما كما كلمت موسى تكليما، واعطيتك فاتحة الكتاب وسورة البقرة ولم اعطها نبياً قبلك، وأرسلتك الى أسود أهل الأرض وأحمرهم، وإنسهم وجنهم. ولم أرسل الى جماعتهم نبياً قبلك، وجعلت الارض لك ولأمتك مسجداً وطهورا واطعمت امتك الفيء ولم أحله لأحد قبلها، ونصرتك بالرعب حتى أن عدوك ليرعب منك، وانزلت سيد الكتب كلها مهيمناً عليك قرآنا عربياً مبينا، ورفعت لك ذكرك حتى لا اذكر بشيء من شرائع ديني الا ذكرت معي»**.

وعن أبي عبدالله ﷺ قال رسول الله ﷺ: **«لما اسرى بي ربي فأوحى الي من وراء الحجاب ما أوحى، وشافهني الى أن قال لي: يا محمد من أذلّ لي ولياً فقد أرصد لي بالمحاربة، ومن حاربني حاربته قال: ذاك من أخذت ميثاقه لك ولوصيك ولذريتكما بالولاية»**.

روى الصادق عليه السلام عن رسول الله ﷺ انه قال: **«بينا أنا راقد في الابطح وعلي عن يميني وجعفر عن يساري وحمزة بين يدي وإذا أنا بحفيف أجنحة الملائكة وقائل يقول: الى ايهم بعثت يا جبرئيل؟ فقال: الى هذا ـ وأشار الي ـ وهو سيد ولد آدم وهذا وصيه ووزيره وختنه وخليفته في أمته وهذا عمه سيد الشهداء حمزة، وهذا ابن عمه جعفر له جناحان خضيبان يطير بهما في الجنة مع الملائكة، دعه فلتنم عيناه ولتسمع اذناه ويعي قلبه، واضربوا له مثلاً: ملك بنى داراً واتخذ مأدبة وبعث داعياً. فقال رسول الله: فالملك الله والدار الدنيا والمأدبة الجنة والداعي أنا. قال: ثم اركبه جبرئيل البراق وأسرى به الى بيت المقدس، وعرض عليه محاريب الانبياء وآيات الانبياء، فصلّى وردّه من ليلته الى مكة»**. بحار الانوار ١٨ / ٣٠٥ ـ ٣٣٧.

سيدنا ابراهيم والملكان

عدنا الى زمن ابراهيم..

كان ابراهيم نبياً ورسولاً عظيما وكان ككل الانبياء رمزاً للمحبة والطيبة والاحسان.

ابراهيم الآن في فلسطين في الأرض التي تدعى اليوم بـ«الخليل» يعيش هناك ويستقبل الوافدين والمسافرين فيجدون عنده الظل البارد في الصيف والدفئ لشتاء ويجدون الخبز واللحم واللبن.

عدو الله وابراهيم ذلك النمرود الطاغية اراد احراق ابراهيم بالنار؛ اراد احراق الانسان الموحد، الذي رفض الاوثان الحجرية منها والبشرية وأبى الله فصارت النار برداً وسلاما على ابراهيم..

أما ابراهيم فقد استفاد من النار لايقادها واتخاذها علامة للغرباء والمسافرين.. ان بيت ابراهيم مفتوح للضيوف أنّى شاؤوا متى وصلوا من وعثاء السفر..

ويصل ضيوف غرباء واسرع ابراهيم ليقدم لهم مأدبة حافلة باللحم والخبز واللبن. لكن ايديهم لا تمتد للطعام وهذا في عرف ذلك الزمان وفي تلك البيئة اعلان بالعداء، وشعر ابراهيم بالقلق والتوجس من هؤلاء الضيوف.

لكنهم بددوا هواجس ابراهيم، بأن اعلنوا هويتهم ومهمتهم التي جاؤوا من أجلها، في البداية بشروه بغلام حليم.

قال ابراهيم: اتبشرونني وقد مسني الكبر؟

وكانت سارة واقفة فشعرت بالدهشة وقالت: كيف ألد وأنا عقيم وهذا زوجي شيخ طاعن في السن.

قالت الملائكة: كذلك قال ربك.. انما أمره اذا قال شيئاً أن يقول له كن فيكون!

ولما ذهب عن ابراهيم الخوف والروع سأل الملائكة عن مهمتهم قالوا له: انا ارسلنا الى قوم لوط.. لقد حلّ بهم غضب الله واننا سنقلب عاليها سافلها انهم قوم مجرمون.. لقد عم الفساد في سدوم وآن دمارها وهذه ارادة الله.

واراد ابراهيم عليه السلام دفع العذاب عنهم، فقال للملائكة ان فيها لوطاً قالت الملائكة: نحن اعلم بمن فيها.. وان لوطاً لن يشمله العذاب وكذا اسرته الا امرأته فيشملها العذاب.

وانطلقتُ برفقة الدليل الى «سدوم» في فلسطين؛ انها من القرى الفاسدة لقد شاع فيها المنكر، فمن أخلاقهم المنحطة انهم يأتون الرجال شهوة من دون النساء لقد اعتادوا اللواط واصبح جزءاً من ثقافتهم...

وعندما جاءت الملائكة الى سدوم، دخلوا في هيئة مسافرين شبان عليهم سيماء الجمال.. وكانت ابنة سيدنا لوط تستقي الماء من بئر في القرية فطلب احد الشبان منها أن ترشدهم الى منزل يستقبل الضيوف والغرباء، وعندما رأت الفتاة جمالهم أسرعت الى والدها لتخبره قبل أن يطّلع سكان القرية على ذلك.. انها تخشى الفضيحة فأهل القرية لن يتورعوا عن ارتكاب عمل مشين بحق هؤلاء المسافرين..

ووقع لوط في حيرة ماذا يفعل هل يستقبلهم وهو لا يستطيع الدفاع عنهم أم يحذرهم من البقاء في القرية والفرار منها في اسرع وقت؟!

ولكن عدم استقبال الضيوف ينطوي على العار، لهذا تحمل المسؤولية وخف لاستقبالهم بحفاوة، وادخلهم الى منزله وهو يحذر من ان ينتبه أهالي القرية.

ولأن امرأة لوط كانت من أهل تلك القرية وهي امرأة عجوز لم تؤمن بزوجها وكانت راضية بعمل قومها، فقد اخبرت أهل القرية بقدوم ضيوف

الى منزل زوجها. وما أسرع ان تراكض أهل القرية الى منزل لوط وراحوا يطرقون الباب بعنف.

ماذا يفعل النبي مع هؤلاء القوم الفاسقين؟ انهم يريدون ان يفضحوه في ضيوفه، وفتح لوط الباب وراح يعظهم ويتحدث معهم برفق، حتى انه عرض عليهم الزواج من بناته فهذه سنة الله والطبيعة..

لكنهم وبكلّ وقاحة قالوا ليس لنا حاجة في بناتك وانك لتعلم ما نريد.

وشعر النبي بالحزن... بالأمس أرادوا طرده من القرية لأنه يستنكر عملهم المنحط واليوم جاؤوا للاعتداء على ضيوفه.

قال بحسرة لو أن لي قوّة أو آوي الى ركن شديد..

ان الأمور تزداد سوءاً والازدحام على الباب بلغ من الشدّة، بحيث شعر النبي أنه لن يستطيع ان يفعل شيئاً من أجل الدفاع عن ضيوفه!

وفي هذه اللحظات المصيرية كشف الملائكة عن هوّيتهم الحقيقية انهم رسل الله لتدمير هذه القرية الظالم أهلها، لقد حل بسدوم العذاب والغضب الالهي.. وقالوا أما انت فغادر مع أسرتك القرية هذه الليلة.. وخرج الملائكة الى أهل القرية الذين ازدحموا على الباب وأشاروا بأصابعهم فكأنما انبعثت اشعة فقأت عيونهم.

وعندما حان المساء رحل لوط وبناته وتبعتهم العجوز على مضض لكنها سوف تلتفت الى القرية وعند ذاك سوف يشملها العذاب، لقد حذر الملائكة لوطاً من النظر الى القرية والالتفات اليها.. ولكن زوجة لوط لم تلتزم فاصابها ما أصاب سدوم من العذاب.

واستحالت سدوم في الفجر الى تلال من الملح والرماد واصبحت أثراً بعد عين.

القصة كما وردت في القرآن الكريم:

﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾

قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ (٧٩) قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ (٨٠) قَالُوا۟ يَـٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (٨١) فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَـٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ (٨٢) مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ (٨٣)﴾ هود: ٧٧ ـ ٨٣.

﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ (٥١) إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ (٥٢) قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَـٰمٍ عَلِيمٍ (٥٣) قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ (٥٤) قَالُوا۟ بَشَّرْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَـٰنِطِينَ (٥٥) قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ (٥٧) قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ (٥٨) إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٩) إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ ۙ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ (٦٠) فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ (٦١) قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ (٦٢) قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَـٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ (٦٣) وَأَتَيْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ (٦٤) فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَـٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ (٦٥) وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَـٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ (٦٦) وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ (٦٧) قَالَ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ (٦٨) وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ (٦٩) قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ (٧٠) قَالَ هَـٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ (٧١) لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ (٧٢) فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ (٧٣) فَجَعَلْنَا عَـٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ (٧٤)﴾ الحجر: ٥١ ـ ٧٤.

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ (٢٨) أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ (٢٩) قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ (٣٠) وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ (٣٢) وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ (٣٣) إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا

كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾﴾.
العنكبوت: ٢٨ ـ ٣٥.

ولقد ادركت ان الملائكة ليس لهم شكل خاص ولكنهم يتمثلون باشكال مختلفة وقد تمثلوا مرّات بصور بشرية وأن الانسان حتى لو كان كافراً يستطيع رؤيتهم[1]. وان الانبياء قد يعجزون عن اكتشاف هويتهم الحقيقية كما حصل ذلك لابراهيم ولوط.

---

(١) سورة القمر: الآية ٣٧ ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾.

هاروت وماروت

من سدوم في زمان ابراهيم عليه السلام عدنا الى زمن سيدنا سليمان عليه السلام حيث الملائكة في أفواج تهبط الى الارض وتعرج الى السماء تسجّل وتنقل ما يقوم به الانسان من أعمال وكانت فيما بينها تشعر بالدهشة لما يقوم به الناس من أعمال مشينة مخجلة.. يا لهذه المخلوقات التي ترتكب الآثام والمعاصي وتكذب على الله وتشرك به وتعبد غير الله... وقال بعض الملائكة ان الله عز وجل حليم وان حلمه اكبر من شرور البشر ولو شاء غضب عليهم ودمرهم تدميراً.. وقالت: ان البشر يستحقون اللعنة والفناء واننا نعجب لأن العذاب لم يحل بهم وقد امتلأت الأرض بالشر.

واراد الله سبحان أن تدرك الملائكة، انها خلقت معصومة منزهة عن الخطأ وأنها لو أعطيت ما أعطي البشر من الغرائز والحرّية، لقامت بأسوأ مما يقوم به البشر...

وأوحى الله للملائكة أن ينتخبوا اثنين منهم ليعيشوا في الأرض وأن الله سيمنحهم ما منح البشر من الشهوة والغريزة والحرص والأماني ومشاعر الجوع والظمأ وكل الصفات التي تميز الانسان وسترى الملائكة بعد ذلك ما يصنعان.

وكان «هاروت» و«ماروت» من اكثر الملائكة استياءً مما يقوم به البشر من أعمال مخجلة وأوحى الله الى الملكين هاروت وماروت، أن اهبطا الى الارض، سأمنحكما ما منحت البشر من الطباع والصفات فلا تشركا بي أحداً ولا تقتلا النفس الاّ بالحق ولا تزنيا ولا تشربا الخمر. وهبط هاروت وماروت الى الارض بشرين وحلّا في مكان مرتفع يشرف على المدينة..

ووقعت عيناهما على أمرأة غاية في الحسن والجمال، كان عطرها يفوح ويملأ الفضاء وقد أرتدت من الثياب ما جعلها فاتنة فجاءا اليها وتحدثا معها وكانت من الفتنة بحيث تحركت شهوتهما وراوداها عن نفسها قالت المرأة: ولكن ديني لا يسمح بذلك الاّ إذا دخلتما فيه!

سأل الملكان: وما هو دينك؟

قالت: ان لي إله لا يرضى بذلك حتى تسجدا له!

قالا: ومن هو الهك؟

قالت: هذا الوثن!

تبادل الملكان النظرات: لقد نهانا الله عن االزنى الشرك!

ولكن قوّة الشهوة غلبت تفكيرهما فقالا للمرأة: سنفعل كل ما تطلبين وقالت المرأة لهما في المنزل: تعالا اذن لتشربا خمراً أعطيكما ما تريدان.

تبادل الملكان النظرات: وهذا ايضاً مما نها الله عنه! ومع ذلك فقد كانت الشهوة أقوى عليهما.. فراحا يكرعان الخمر بعد أن سجدا للصنم.. وتزينت المرأة وتهيأت للمضاجعة، فدخل رجل استنكر وجودهما وقال لهما: ماذا تفعلان هنا مع امرأة وحيدة في خلوة؟! وعندما أراد الرجل الخروج قالت المرأة ان هذا الرجل سيفضحنا فاقتلاه والاّ لن اضاجعكما؛ فقام الملكان بقتله وعندما عادا الى المرأة لم يجدانها ورفعهما الله الى السماء وقال لهما: لقد ارسلتكما الى الارض ساعة واحدة فارتكبتما من الآثام أربعة وكنت قد قدمت اليكما بالنهي عنها أفلم تخجلا؟ ألم تكونا اكثر الملائكة اعتراضاً على البشر؟

القصة كما وردت في القرآن الكريم:

﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ

وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[1].

وقد ورد في التفسير: في عيون أخبار الرضا في حديثه مع المأمون: وأما هاروت وماروت فكانا ملكين علّما الناس السّحر ليتحرّزوا به عن سحر السحرة ويبطلوا كيدهم، وما علما أحداً من ذلك شيئاً الا قالا له: انما نحن فتنة فلا تكفر، فكفر قوم باستعمالهم لما أمروا بالاحتراز عنه وجعلوا يفرّقون بما يعملونه بين المرء وزوجه قال الله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

في الدر المنثور عن نافع عن ابن عمر قال: سمعت من رسول الله ﷺ قال: ان الملائكة قالت: يا رب كيف صبرك على بني آدم في الخطايا والذنوب؟ قال: إني ابليتهم وعافيتهم. قالوا: لوكنا مكانهم ما عصيناك. قال: فاختاروا ملكين منكم فلم يألوا جهداً أن يختاروا فاختاروا هاروت وماروت فنزلا فألقى الله عليهما الشبق (الشهوة) فجاءت امرأة يقال لها الزهرة فوقعت في قلوبهما فجعل كل واحد منهما يخفي عن صاحبه ما في نفسه ثم قال أحدهما للآخر هل وقع في نفسك ما وقع في قلبي؟ قال: نعم. فطالباها لأنفسهما فقالت: لا امكنكما حتى تعلماني الاسم الذي تعرجان به الى السماء وتهبطان فأبيا ثم سألاها أيضاً فأبت ففعلا فلما استطيرت طمسها الله كوكباً وقطع أجنحتهما..

يقول الطباطبائي صاحب تفسير الميزان: وهذه قصة خرافية تنسب الى الملائكة المكرّمين. الذين نص القرآن على نزاهتهم وطهارة وجودهم عن الشرك والمعصية. أغلظ الشرك واقبح المعصية وهو عبادة الصنم والقتل والزنى شرب الخمر ونسب الى كوكبة الزهرة انها امرأة زانية مسخت. وإنها أضحوكة. وهي كوكبة سماوية طاهرة في طبيعتها فهذه القصة كالتي قبلها قصة خرافية تشبه خرافات اليونان في الكواكب والنجوم[2].

وادركت من هذه الحادثة ان الملائكة لا فرق بينهم مع البشر الآ

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٠٢.

(٢) الميزان في تفسير القرآن: ١ / ٢٤١ ـ ٢٤٢.

بالشهوة والغريزة وانه لو كانت فيهم لارتكبوا من الآثام ما لم يرتكبه البشر وأن الله سبحانه خلقهم منزّهين عن الخطأ والمعصية.

وانتقلنا من بابل في ذلك الزمن الى فلسطين والى بيت المقدس في زمان وقوع اكبر حادثة في التاريخ وهي ميلاد السيد المسيح.

السيدة مريم والملك

كانت السيدة مريم في محرابها مستغرقة في العبادة، فلا يحق لرجل أي كان أن يدخل عليها في ذلك المكان المقدس... فجأة رأت أمامها انساناً...

شعرت مريم بالذعر من هذا الرجل، لقد دخل عليها في خلوتها فقالت أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا.. ولكن ذلك الانسان كشف عن هويته، قال لها انا ملك ارسلني الله لابشرك بغلام.

لم تفرح مريم بل ارتاعت من هذه البشرى قالت: كيف ألد وأنا لم أتزوج بعد ولست بغياً!!

قال الملك: كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمر مقضيا.

وفيما كانت مريم تحدق في وجه ذلك الملك بهيئته الانسانية اختفى تماماً وعاد الصمت يهيمن على المكان.

أنا ودليلي في عالم المكاشفة نشهد ما يجري وكنت أبكي من أجل هذه الفتاة الطاهرة، ترى ماذا ستقول لقومها غداً؟ ماذا ستقول لو رأوها حاملاً أتحمل أمرأة بلا زواج؟! الهي لا اعتراض على حكمك.

وكانت مريم المؤمنة في حالة تسليم كامل لارادة الله.

من أجل هذا رحت ودليلي نتابع ما يجري... رأينا ان الله سبحانه ستر على مريم، فلم يعلم أحد بحملها حتى ساعة المخاض.. انها تعيش في مدينة الناصرة وفي عزلة عن الناس.. بيتها الذي اتخذته بسيط جداً وفي مكان قصي عن المدينة..

وخرجت الى البرية واضطرتها آلام المخاض الى جذع نخلة يابس فجلست عنده وحيدة فلا قابلة تعينها ولا أم أو أخت تنجدها وتستمد منها الشجاعة والمقاومة.. وراحت مريم تذرف الدموع وتمنت أنها لم تخلق ولم تر نور الحياة.

قالت: يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً.

وولدت العذراء طفلاً بهي الوجه قال لها: أماه لا تحزني وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً، فكلي واشربي وقرّي عينا.. واذا ما سألك أحد فقولي له أني صائمة.. اني نذرت للرحن صوماً..

وكانت المعجزة أن هزت مريم بوهن جذع النخلة فإذا نسغ الحياة يتدفق في الشجرة اليابسة وإذا هي تحمل رطباً شهياً، راح يتساقط على مريم وتدفق نبع قريب منها. وكانت مريم تشعر بالضعف بسبب الجوع وآلام الولادة فتناولت رطبات أكلتها على مهل وشربت ماءً وشعرت بالراحة، ان الله معها وهو وحده الذي يحميها من ألسن الناس..

وحملت طفلها وعادت المدينة.

وراحت العيون تتطلع الى مريم بدهشة.. قالوا لها: يا مريم ما هذا الذي معك؟! يا مريم ما كان أبوك امرء سوء وما كانت أمك بغياً؟!! ولم تجب مريم وأشارت الى الطفل.. حدثت المعجزة عندما تكلم الطفل الرضيع وقال: اني عبد الله واني رسوله اليكم وقد آتاني الحكمة وجعلني نبياً.. وجعلني مباركاً أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً.. وأوصاني أن أبرّ بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً..

هذا ما جرى على مريم وطفلها عيسى عليه السلام واليك قصتها كما وردت في القرآن الكريم:

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَـٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَـٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَـٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ

ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ﴿٣١﴾ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ قَوۡلَ ٱلۡحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمۡتَرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ سورة مريم: الآيات ١٦ ـ ٣٤.

قال لي معلمي:

لقد رأيت في عالم المكاشفة الملائكة كما عرّفهم القصص القرآني وادركت ان علينا اذا ما أردنا الارتقاء الى درجتهم أن نزكي أنفسنا وأن نرى الحقائق بعين اليقين.

الـجـن

قال لي معلمي:

وفقني الله لزيارة العتبات المقدسة في العراق، وقرأت زيارة عاشوراء في حرم سيد الشهداء عليه السلام وطلبت من دليلي في عالم المكاشفة أن يتحدث لي عن الجن فقال لي: ان الله عز وجل خلق الجن فهم خلق آخر يختلف عن الملائكة في أمور.

١ ـ ان الله منحهم نعمة العقل والحرّية. فهم مميزون، ان شاؤوا أطاعوا وان شاؤوا عصوا ولذا فهم بحاجة الى تربية وترشيد[١].

٢ ـ وانهم ليسوا كالملائكة خلقوا لتدبير الخلق، بل انهم مثل البشر مطلوب منهم التكامل والسمو ولذا ففيهم الطالح والصالح[٢].

٣ ـ انهم مخلوقون من نار ولذا يتطاير منهم الشر أما الملائكة فقد خلقوا من النور[٣].

وكانوا يختلطون بالملائكة ويتعلمون منهم[٤].

ولم يكن مطلوب منهم أن يتعلموا شؤون التدبير بل عليهم تربية

---

(١) سورة الذاريات: الآية ٥٦: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.

(٢) سورة الجن: الآية ١١: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾.

(٣) الصادق عليه السلام: **«ان الله عز وجل خلق الملائكة من نور»** بحار الانوار ٥٦ / ١٩١ ح٤٧.

(٤) في قصص الراوندي عن ابي جعفر الباقر عليه السلام: **«سئل أمير المؤمنين عليه السلام: (الى قوله): وكانت الجن تطير في السماء فتلقى الملائكة في السموات فيسلمون عليهم ويزورونهم ويستريحون اليهم ويتعلمون منهم»** المصدر السابق ٥٤ / ٣٢٢ ح٥.

أنفسهم والتخلق بالأخلاق الالهية والعمل بما يعلمون والتكامل في طريق الخير[١].

ثم خلق الله سبحانه بعد ذلك الانسان[٢] فالجن مخلوقون للعبادة كما هو البشر[٣].

ومع أن امتحانهم هو في الدنيا مع الناس ولكنهم عالم آخر لا علاقة له بالبشر وليس في قدرتهم ايذاء الناس فليس لهم على البشر من سلطان[٤].

والجن ينقسمون الى قسمين قسم منهم شياطين وهمهم ايذاء البشر وحرفهم عن الطريق المستقيم وقسم آخر لا شأن له بالانسان.

ولكن عليك أن تحذر من أحدهم واسمه عزازيل لأنه أول من عادى البشر واعترض على خلقه ورفض السجود له بل وأقسم على اغواء الناس وايقاعهم في جهنم[٥].

فعليك أن تعرفه جيداً وأن تحذره لأنه لا يضمر لك الاّ العداوة والشر ولا يريد بك خيراً أبداً، واعلم أن صداقتك له يعني هجراني لأنه ظلماني[٦] وأنا نوراني.

ثم راح يحدثني عن الشيطان وصفاته وأحواله فقال.

ولقد كان تلميذاً فاشلاً مشاغباً واستغلّ الحرّية التي وهبها الله ايّاه فلم يصغ لحقيقة ولا لقول الحق وكان كثيراً ما يعصي، ولم يكن له من الاستعداد والقابلية ما يجعله يستوعب الحقائق الكبرى.

ولذا جاء فهمه عن معرفة الله ناقصا أو مشوهاً بل ان ذهنيته الظلمانية

---

(١) سورة الجن الآيتان ١ ـ ٢: ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا * يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا﴾.

(٢) سورة الحجر: الآية ٢٧: ﴿وَٱلۡجَآنَّ خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ﴾.

(٣) سورة الذاريات: الآية ٥٦: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾.

(٤) بحار الانوار ٦٠ / ٨٣ ح٣٨.

(٥) سورة ص: الآية ٨٢: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾.

(٦) من وصية موسى بن جعفر عليه السلام لهشام بن الحكم وصفته للعقل: **«يا هشام خلق الله الجهل من البحر الاجاج الظلماني فقال له: ادبر، فادبر، ثم قال له: اقبل، فلم يقبل فقال: استكبرت؟ فلعنه»** بحار الانوار ١ / ١٥٨.

جعلته ينعت الله بصفات هو سبحانه منها منزّه.

فكان مصيره الطرد بعد أن انكشف جهله المطبق[١].

فاضمر الحسد والحقد لآدم وذرّيته.

وكان من شيطنته ان استغل براءة الملائكة وطهرها وعدم اطلاعها على خبثه المضمر، فتسلل الى عالمهم يؤدي طقوس العبادة التي يؤدونها، وخلال تلك المدّة اطلع على الحقائق[٢].

وكانت الملائكة ترى أنه منها حتى جاءت حادثة الخلق الإلهي لآدم وأمر الله بالسجود له، فسجد الملائكة كلهم اجمعون الاّ ابليس ظهرت حقيقته كأجلى ما يكون عندما قال: أنا افضل منه خلقتني من نار وخلقته من طين.

وغاب عن هذا الجاهل الظلماني ان مجد آدم وشرفه ليس في بدنه الترابي الطيني وانما بقابليته على تعلم جميع الاسماء (وعلم آدم الاسماء كلها) وما يزال الشيطان يتصور بجهله أنه أفضل من البشر على أساس أصل الخلقة ولذا أقسم على أغواء الجنس البشري: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٣].

من أجل هذا طرد من عالم الملائكة بعد معصيته وظهور جهله: ﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾﴾[٤].

وبدل أن يندم على ما بدر منه ويحاول العودة الى الجنة والحياة الخالدة في ظل طاعة الله.. بدل ذلك ظل سادراً في غيّه وطلب من الله أن

---

(١) المصدر السابق: ١ / ١٠٩ ح٧.

(٢) **بحار الانوار: ٦٠ / ٢١٨ ح٥٥: «عن جميل بن دراج عن ابي عبد الله عليه السلام، قال: سألته عن ابليس اكان من الملائكة أو هل كان يلي شيئاً من أمر السماء؟ قال: لم يكن من الملائكة ولم يكن يلي من أمر السماء وكان من الجن وكان مع الملائكة وكانت الملائكة ترى انه منها وكان الله يعلم انه ليس منها فلما أمر بالسجود كان منه الذي كان».**

(٣) سورة الحجر: الآية ٣٩.

(٤) سورة الحجر: الآيتان: ٣٤ ـ ٣٥.

ينظره ويمهله الى يوم القيامة عوضاً عن عبادته[1].

وبلغت وقاحته حدّاً لا يوصف عندما قال: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾[2].

وقال الله له: ﴿قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾﴾[3]

وقال الشيطان: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾[4].

وأقسم على اغواء جميع الناس الآ المخلصين منهم[5].

ولكن الله سبحانه لم يجعل له من سلطان على البشر الآ على المشركين من أولياء الشيطان[6].

وهكذا اصبح اسم ذلك الجنّي الشيطان وابليس وعدو الله وعدو الناس.

قال لي معلمي:

وقبل أن أنقل لك بعض المكاشفات أودّ أن أوضح لك بعض ما يخص موضوع الشيطان:

منذ طفولتي سمعت من أبي وأمي ومن الناس في الأزقة والأسواق وفيما بعد عندما كبرت في القرآن الكريم وكتب سائر الاديان هذا الاسم أعني الشيطان لكني لم ألمسه ولم أره ولم أعرف ما هو وأين ولم أعرف حقيقته أهو أسطورة أم لا؟

---

(١) بحار الانوار: ٦٠ / ٢٣٥ ح٧٦: **«قال أمير المؤمنين عليه السلام في ابليس: فانه سجد سجدة واحدة اربعة آلاف عام لم يرد بها غير زخرف الدنيا والتمكين من النظرة».**

(٢) سورة الاسراء: الآية ٦٢.

(٣) سورة الاسراء: الآيتان ٦٣ ـ ٦٤.

(٤) سورة الاعراف: الآيتان ١٦ ـ ١٧.

(٥) سورة الحجر: الآية ٣٩.

(٦) سورة النحل: الآية ١٠٠: ﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾.

عندما كنت صغيراً وكنت أقوم ببعض الاعمال غير الصحيحة كان والداي يخاطباني بهذا الاسم وعندما كنت أجلس مثلاً على حافة الحوض كانت أمي تحذرني وتقول لا تجلس هنا.. الشيطان يدفعك وتسقط في الحوض وشيئاً فشيئاً عرفت أن المجتمع يمقت الشيطان فالناس يستعيذون بالله من شروره.

والشيطان من أكثر المفردات معروفية تجده في الكتب السماوية وفي كتب الفلسفة وفي الكتب العلمية وتجد الكثير من القصص عن شروره.

وسأشرح لك شيئاً عن حياته...

ربما تتساءل كيف لنا أن نعرف عن حياة الشيطان وأحواله ونحن لا نراه ولا نلمسه[١].

الشيطان [من اعداد المترجم]

عرف الانسان الشيطان عن طريق الوحي الالهي ولا شك. وفي قصة خلق آدم وسكناه الجنة وسجود الملائكة له الاّ ابليس أجلى صورة؛ ذلك أن الله سبحانه حذر آدم وزوجه من الشيطان الذي حسد آدم وراح يتربص به الدوائر محاولاً اغواءه، وقد نجح في ذلك لولا أن تداركت الرحمة الالهية آدم الذي تلقى كلمات من ربه فتاب عليه.

والشيطان هو الشديد البعد عن محلّ الخير[٢] وهو مخلوق من نار. ولهذا أصبحت للشياطين اجسام لطيفة قادرة على التشكل باشكال مختلفة وقادرة على التمدد والانقباض مما يوجب لها سهولة النفوذ[٣].

فهو روح الشر وأمير الارواح الشريرة اعتبرته الزرادشتية واليهودية والنصرانية ملاكاً ساقطاً تمرّد على أمر الله وعمل على اغواء الانسان ودفعه الى المعصية[٤].

أما إبليس فاسم اعجمي ولهذا فقد منع من الصرف وقيل انه اسم

---

(١) بحار الانوار ٦٠ / ١٣١ باب ابليس.

(٢) التوثيق على مهمات التعاريف / محمد عبد الرؤوف المناوي ص٤٣.

(٣) شرح المصطلحات الاسلامية / ١٨٠.

(٤) موسوعة المورد م٢ ص٧٠١ .

عربي مشتق من الابلاس واليأس من رحمة الله أو الابعاد عن الخير ومنع من الصرف لانه لا نظير له في الاسماء أو شباهته بالاسماء الاعجمية.

وهو أبو الشياطين وأصلهم الأول[1].

«والشيطان لا يتمكن من نفس الانسان الاّ اذا أعرض عن هداية الله، وخرج عن المنهج المرسوم.

فإذا أعرض الإنسان عن الطريق المرسوم له عاقبه الله بتمكين الشيطان منه، فيوجهه وجهة الشر والفساد في كل قول وفي كل فعل.

﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾﴾[2].

ومع التمادي في الغي والضلال يستحوذ الشيطان على النفس الإنسانية، ويستولي عليها استيلاء كاملاً؛ حتى يبلغ الإنسان أن يكون جندياً لإبليس، أو عضواً في جماعة الشياطين.

﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾[3].

وحين يصل الإنسان الى هذا المستوى، ويهبط إلى هذا الدرك يكون قد بلغ النهاية في الانحطاط الروحي والكفر بذخائر النفس.

وفي هذا الدرك تختل المقاييس، وتضطرب الموازين وتلتبس الحقائق، ويعلو سلطان الباطل، وتسود شريعة الغاب، ويتعادى الناس تعادي الحيوانات المفترسة، ويصبح الإنسان وهو أبدع ما أنشأته العناية الإلهية أداة من أدوات الشر والفساد، وعاملا من عوامل الهدم والتخريب.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾﴾[4].

---

(١) العقائد الاسلامية / ١٣٩.

(٢) سورة سورة الزخرف الآيات ٣٦ ـ ٣٩.

(٣) سورة المجادلة الآية ١٩.

(٤) سورة مريم الآية ٨٣. أي تغريهم بالمعاصي إغراء وتزعجهم إليها إزعاجاً شديداً.

بل يصل الإنسان إلى الحالة التي يتبرأ الشيطان فيها منه.

﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾[1].

التحذير من عداوة الشيطان

إن الشيطان يمثل الشر في الأرض، ويعمل دائباً على تدمير حياة الإنسان بزحزحته عن هداية الله، وإبعاده عن منهج الحق والرشاد.

لهذا حذرنا الله من كيده، وأخبرنا بعداوته، ودعا إلى مقاومته بكل وسيلة حتى يضعف سلطانه، وتخف شروره وآثامه، فقال:

﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾[2].

وقص علينا من عداوته لأبينا آدم ﷺ ما فيه العظة البالغة، فقد استطاع أن يُغريه بالأكل من الشجرة، وأن يخرجه من الجنة بكذبه وخداعه، وأن يوقعه في مخالفة أمر الله وأرتكاب نهيه، ثم قال عقب ذلك:

﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[3].

وبيّن للإنسان ما أخذه الشيطان على نفسه منذ خصومته لآدم، أنه سيقعد على الصراط المستقيم يغوي الناس ويضلهم. قال:

﴿أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ[4] مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ[5] وَأَجْلِبْ[6] عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ

---

(١) سورة الحشر الآية ١٦.

(٢) سورة فاطر الآية ٦.

(٣) سورة الأعراف: الآية ٢٧.

(٤) أتصرف فيهم بالوسوسة.

(٥) الاستفزاز: الحث بشدة.

(٦) وسوستك.

(٧) أي صح عليهم بجندك مشاة وراكبين.

﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾[1].

وفي سورة الاعراف يقول الله تعالى:

﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ [2] ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ[3] وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾[4].

وكان حكمه هذا ظناً وقد تحقق:

﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾[5].

وفي سورة النساء يقول الله سبحانه:

﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا [6] وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا[7] ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ اللهُ وَقَالَ لَاتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا[8] وَلَأُضِلَّنَّهُمْ[9] وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ[10] فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ[11] وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ[12] وَيُمَنِّيهِمْ ۖ[13] وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾﴾[14].

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٦٤.

(٢) أي على الصراط وهو طريق الله.

(٣) أي لا يترك جهة إلا هجم عليهم منها.

(٤) سورة الاعراف: الآية ١٦.

(٥) سورة سبأ: الآية ٢٠.

(٦) أصنام ذات أسماء مؤنثة ـ اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ..

(٧) شدة التمرد والخروج على الطاعة.

(٨) معينا ومحتماً استيلاؤه عليه.

(٩) أضلنهم عن الحق بالوسوسة.

(١٠) أي أن الشيطان حلَف أن يأمر أتباعه بقطع آذان الأنعام تعظيماً للأصنام وكان الوثنيون يقطعون أذن الناقة ويشقونها إذا ولدت خمس بطون وجاءت في المرة الخامسة بذكر، وكان ذلك علامة على أنها ملك للأصنام لا تركب ولا ينتفع بها أحد.

(١١) أي يأمرهم بسوء التصرف فيتغير خلق الله ولا سيما الدين الذي هو فطرة..

(١٢) يعدهم بالفقر إذا أنفقوا في سبيل الله وبالغنى إذا غشوا ولعبوا القمار مثلا ونحو ذلك.. ويمنّيهم الباطل الذي لا حقيقة له. وما يعدهم في الحقيقة إلا بما يغر ويضر وليس له أصل ولا نفع.

(١٣) يشغلهم بالأماني الباطلة كطول العمر وعدم البعث والجزاء على العمل حتى يغفلوا عن الاستعداد للقاء الله.

(١٤) سورة النساء: الآية ١١٧.

ويعلمنا أن الشيطان جادّ في إلقاء خواطر السوء، ومهتم بتقوية دواعي الشر والباطل في النفس الإنسانية.

﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِ﴾[1].

أي أن الشيطان يوسوس للإنسان، ويلقي في نفسه بأن الانفاق يذهب بالمال، ويأمره بالإمساك والبخل والحرص على المال ومنع الزكاة.

ومن ثم كان من الواجب الحذر منه، واتقاء شروره وآثامه.

﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ * إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾[2].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ﴾[3].

ومن أبلغ ما ذكره القرآن في الترهيب من متابعة الشيطان ما جاء في سورة الأنعام:

﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ قَدِ ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِۖ وَقَالَ أَوۡلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلۡإِنسِ رَبَّنَا ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٖ وَبَلَغۡنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلۡتَ لَنَاۚ﴾[4].

أي أن الله يقول يوم الحشر للجن وقد استكثرتم من إغواء الإنس، وقال أتباعهم من الإنس: ربنا استمتع بعضنا ببعض أي استمتع الجن بالإنس حيث قادوهم، وأخضعوهم لسلطانهم، فكانت لهم لذة السيطرة ومتعة الرياسة، واستمتع الإنس بالجن حيث زينوا لهم الشهوات أو دلّوهم عليها، واستمر هذا الاستمتاع حتى بلغوا الأجل المقدر لهم.

وفي مشهد من مشاهد القيامة يميز الله فيه المجرمين، ويوجه اليهم الخطاب ناعياً طاعتهم للشيطان وعبادتهم له.

﴿وَٱمۡتَٰزُواْ[5] ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٥٩﴾ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ[6] إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٦٨.
(٢) سورة الأنعام الآية ١٤٢.
(٣) سورة النور الآية ٢١.
(٤) سورة الأنعام الآية ١٢٨.
(٥) انفردوا.
(٦) العهد: الوصية.

﴿تَعۡبُدُواْ[1] ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٦٠ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٦١ وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا[2] كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ٦٢﴾[3].

وفي مشهد آخر من مشاهد القيامة يخطب الشيطان في أتباعه موقعاً اللوم عليهم في ضلالهم ومتابعتهم له.

﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّۖ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾[4].

قال ابن كثير: يخبر الله تعالى عما خاطب به إبليس أتباعه بعد ما قضى الله بين عباده، فأدخل المؤمنين الجنات، وأسكن الكافرين الدركات، فقام فيهم إبليس لعنه الله يومئذ خطيباً؛ ليزيدهم حزنا إلى حزنهم، وغما إلى غمهم، وحسرة إلى حسرتهم، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ﴾ على ألسنة رسله، ووعدكم في اتباعهم النجاة والسلامة، وكان وعدا حقاً وخبرا صدقا، وأما أنا فوعدتكم، فأخلفتكم، كما قال الله تعالى: ﴿يَعِدُهُمۡ وَيُمَنِّيهِمۡۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾.

ثم قال: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ﴾.

أي ما كان لي عليكم فيما دعوتكم إليه دليل ولا حجة فيما وعدتكم به إلا أن دعوتكم، فاستجبتم لي بمجرد ذلك، هذا وقد اقامت عليكم الرسل الحجج والأدلة الصحيحة على صدق ما جاءوكم به، فخالفتموهم، فصرتم إلى ما أنتم فيه ﴿فَلَا تَلُومُونِي﴾ اليوم ﴿وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ﴾ فإن الذنب عليكم لكونكم خالفتم الحجج، واتبعتموني عندما دعوتكم إلى الباطل ﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ﴾ بنافعكم ومنقذكم ومخلصكم مما أنتم فيه، ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّۖ﴾ بنافعي بانقاذي مما انا فيه من العذاب والنكال ﴿إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ﴾ قال قتادة: أي بسبب ما أشركتموني من قبل، وقال ابن

---

(١) عبادة الشيطان طاعته والاستجابة له.

(٢) جبلاً: أقواماً.

(٣) سورة يس الآية ٥٩ ـ ٦٢.

(٤) سورة إبراهيم الآية ٢٢.

جرير: يقول: إني جحدت أن أكون شريكا لله عز وجل.. وهذا الذي قاله هو الراجح.. وحين يقف الإنسان وقرينه أمام الله في الآخرة يقول الإنسان: يا رب هذا أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني، فيقول شيطانه الذي وكل به: «ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد» فيقول الله:

﴿لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ * مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾[1].

لا سلطان للشيطان على المؤمن.

والإيمان يفيض على النفس إشراقا، ويملأ القلوب نوراً، وإذا أشرقت النفس واستنار القلب انمحى كل ما يوسوس به الشيطان.

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾[2].

واذا ألم بالقلب الموصول بالله من مس الشيطان شيء فسرعان ما يستيقظ:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾[3].

وقد استطاع الشيطان أن يغري آدم بالاكل من الشجرة، وأن يوقعه فيما حظره الله عليه، وأن يحرك في نفسه بواعث الهوى ودواعي الشر إغراء وخداعا.

﴿وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ * وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ

---

(١) سورة ق الآيات ٢٧ ـ ٢٩.

(٢) سورة النحل الآيات ٩٨ ـ ١٠٠، ففي الآية الأولى نفى سلطانه على المؤمنين المتوكلين، وفي الثانية أثبت سلطانه على من تولاه وعلى أهل الشرك.. والمقصود بالسلطان الطريق الذي يتسلط به على الغير بالإغواء والإضلال.

(٣) سورة الاعراف الآية ٢٠١.

وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾[1].

إلا أن نوازع الخير ودواعيه تيقظت في قلب آدم وحواء، وعلما أنه خدعهما ومكر بهما، فتغلبت هذه النوازع والدواعي على وسوسة الشيطان وحظه من النفس، فتابا الى الله، وأنابا قائلين:

﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾[2].

فقبل الله توبتهما واستجاب دعاءهما:

﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾[3].

﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ * ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ ﴾[4].

وبالتوبة والإنابة الى الله تغلب جانب الخير على جانب الشر، ومتى تغلب جانب الخير على جانب الشر في نفس الإنسان تعرض لهداية الله، وكان أهلا للاجتباء والاصطفاء.

والله لم يذكر لنا هذه القصة الا لتكون مثلا حيّا لما ينبغي أن يكون عليه الإنسان، فالإنسان لم يخلق ملكا منزها عن النقائص، وإنما خلق وعنده استعداد للبر والإثم، والصواب والخطأ، والخير والشر، والطاعة والمعصية، والتقوى والفجور.

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ ﴾[5].

والإنسان بمقتضى خلافته عن الله في الأرض مكلف بأن ينمي في نفسه معاني البرِّ والصواب والخير والطاعة والتقوى، وأن يقاوم نوازع الإثم والخطأ والشر والفجور حتى يبلغ الكمال الروحي الذي أراده الله له.

---

(١) سورة الأعراف الآيات ٢٠ ـ ٢٢.

(٢) سورة الأعراف الآية ٢٣.

(٣) سورة البقرة الآية ٣٧.

(٤) سورة طه الآيتان ١٢٠ ـ ١٢١.

(٥) سورة الشمس الآيتان ٧ ـ ٨.

وفي هذه المعركة يتدخل الشيطان؛ ليصرف الإنسان عن تنمية قواه العليا من جانب، وليضعف من روح المقاومة بطريق الخداع والإغراء والتزيين من جانب آخر.

ومن ثم كان واجباً على الإنسان أن يحذر مكايد الشيطان ويعرف أساليبه التي يتخذها؛ ليصرف الإنسان عن وظيفته الأولى في هذه الحياة.

فاذا زلّت به قدم، أو تورط في الإثم، أو جانبه صواب، أو مارس شرّاً، أو اقترف معصية، أو ارتكب فجورا، فأمامه السبيل الذي رسمه له ابوه آدم من التوبة، واستئناف حياة أزكى وأطهر.

وبهذا يخلص الإنسان من سلطان الشيطان وسيطرته عليه.

مقاومة الشيطان

إن الله لم يذكر في القرآن النفس الأمارة بالسوء، ولا النفس اللوامة إلا مرة واحدة، ولكنه ذكر الشيطان وكرر التحذير منه في صور متنوعة، وما فعل ذلك إلا ليكون الإنسان منه على حذر؛ كي لا يضل، ولا يشقى؛ ذلك أن عمل الشيطان في النفس مثل عمل الميكروب في الجسم، والميكروب ينتهز فرصة ضعف الجسم فيهجم عليه محاولا القضاء عليه والفتك به، ولا خلاص للجسم من عمل الميكروب إلا إذا كانت له حصانة، وفيه مناعة تبطل عمل الميكروب، وتقضي على ضراوته.

وكذلك الشيطان ينتهز فرصة ضعف النفس ومرضها، فيهجم عليها محاولا إفسادها.

ولا خلاص منه إلا إذا صحت النفس من أمراضها، التي هي المداخل الحقيقية للشيطان ووسوسته.

وأمراض النفس التي هي مداخل الشيطان هي نقائص الانسان التي يجب عليه أن يتخلص منها حتى لا يكون للشيطان سبيل عليه، وهذه الأمراض أو هذه النقائص هي على سبيل المثال لا الحصر:

الضعف، واليأس، والقنوط، والبطر، والفرح، والعجب، والفخر، والظلم، والبغي، والجحود، والكنود، والعجلة، والطيش، والسفه، والبخل، والشح، والحرص، والجدل، والمراء، والشك، والريبة،

والجهل، والغفلة، واللدد في الخصومة، والغرور، والادعاء الكاذب، والهلع، والجزع، والمنع، والتمرد، والعناد، والطغيان، وتجاوز الحدود، وحب المال والافتتان بالدنيا، فهذه هي أمراض النفس، وبواسطتها يتسلل الشيطان ليدمر حياة الإنسان، وليزحزحه عن فضائله العليا.

ولا سبيل إلى طرده ومعالجة وسوسته واغوائه إلا إذا عولجت النفس أولاً عن طريق المجاهدة حتى تبرأ من هذه الأمراض جميعها، وتعود إليها الصحة والعافية، وتكون نفساً مطمئنة بالحق والخير.

إن سعادة الانسان لا تتم إلا بكبح جماح النفس، والتغلب على هواها باتباع وحي الله، ومحاربة نزغات الشيطان.

﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾[1].

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾[2].

حكمة خلق إبليس

وقد يقال لم خلق الله إبليس يوسوس للبشر، ويدعو إلى محادة الله ومحاربة تعاليمه، وقد أجاب عن ذلك بعض العلماء فقال:

إنه يظهر للعباد قدرة الله تعالى على خلق المتضادات المتقابلات. فخلق هذه الذوات التي هي أخبث الذوات وسبب كل شر، في مقابلة ذات جبريل التي هي من أشرف الذوات وأطهرها. وهي سبب كل خير، فتبارك الله خالق هذا وهذا. كما ظهرت قدرته في خلق الليل والنهار، والدواء والداء، والحياة، والموت والحسن والقبيح، والخير والشر، وذلك دليلاً وبرهاناً على كمال قدرته وعزته وملكه وسلطانه، فانه خلق هذه المتضادات، وقابل بعضها ببعض وجعلها مجال تصرفه وتدبيره، فخلو

---

(١) سورة المؤمنون الآية ٩٨.

(٢) سورة الناس.

العالم عن بعضها بالكلية تعطيل لحكمته وكمال تصرفه وتدبير مملكته.

ومنها ظهور آثار اسمائه القهرية: مثل القهار، والمنتقم، والعدل، والضار، والشديد العقاب، والسريع الحساب، وذي البطش الشديد، والخافض، والرافع، والمعز، والمذل، وأن هذه الأسماء والأفعال كمالات لابد من وجود معتلّها، ولو كان الجن والإنس على طبيعة الملائكة لم يظهر اثر هذه الأسماء[١].

ومع كل هذا الحث في تخطئة الشيطان فقد ظهرت نزعة بفرنسا خاصة في أوائل القرن التاسع عشر كانت روحها العامة الدفاع عن الشر وتمجيد الشيطان في الأساطير لِما نُسِبَ إليه من شجاعة وكبرياء عند مواجهته للسلطة الإلهية، فأصبح يُنظر إليه بوصفه شبه زعيم ثوري بطولي. وكانت هذه النزعة بمثابة بدعة لدى الشعراء الرومانتيكيين الفرنسيين: من أمثال فيكتور هوجو Victor Hugo، وألفريد دي موسيه Alfted de Musset، وشارل بودلير Charles Baudelaire، الذين استوحوا هذه الاتجاه من اللورد بايرون Lord Byron، في إنجلترا، وهنريخ فون كلايست Heinrich von Kleist في ألمانيا، والماركيز دي ساد D.A.F. de sade في فرنسا[٢].

وشخصية الشيطان تظهر كثيراً في القصص والمسرحيات عبر تاريخ الآداب الأوروبية منذ تأثرها بالمسيحية، وأهم سمة لشخصية الشيطان، أشتقت من وصفه في العهد القديم وفي الإنجيل، وهي شدة غروره وثوريته الناتجة عن عصيانة للسلطان الإلهي، فوصف الشيطان في آداب العصور الوسطى بأنه قائد جيش من الأبالسة، ووحش قبيح جداً، أقصى همّه بث الفتنة والفوضى في الخليقة ليثأر من ربه. لذلك كان مجال نشاطه الانسان، وسلاحه الإغراء بالثراء وتحقيق رغبات الجسد والنفس وسوى ذلك من المغريات. ويتحقق ذلك بابرام عهد بينه وبين الإنسان يُسلّم الإنسان بمقتضاه اليه روحه، ويمنحه الشيطان في نظير ذلك كل ما ترتضيه نفسه. وفكرة العهد هذه تظهر في المسرحية الدينية لتيوفيلوس Le mysere de Theophile

---

(١) العقائد الاسلامية / ١٤٤ ـ ١٥٥.

(٢) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة ص١٢٠.

التي تطورت من اصل يوناني قديم في القرن السادس الميلادي، حتى انتشرت في كل آداب أوربا في القرن الثالث عشر، ولا يقوى الإنسان على خبث الشيطان وحيله إلا بالتقوى والخضوع للإرادة الإلهية مهما كلفه ذلك من ثمن وتضحية. وقد يؤدي إفساد خطط الشيطان الى تحوله شخصية حقيرة مضحكة، كما هي الحال في كثير من المسرحيات الدينية الشعبية في العصور الوسطى. أما الشيطان المغرور المخيف فنجده بصفة خاصة في كتاب «الجحيم» من «الكوميديا الإلهية» لدانتي (المؤلفة فيما بين ١٣٠٧، ١٣٢١م)، وفي مسرحية «الساحر العجيب» (El magico Prodigioso 1637م) للمؤلف المسرحي الإسباني كالديرون ديلا باركا (١٦٠٠ ـ ١٦٨١م) Calderon de la Parca. كما أن شخصية هذا الشيطان ازدادت عمقاً نفسياً وتعقيداً في ملحمة «الفردوس المفقود» (Paradise Lost 1667م) لجون ميلتون John Milton حيث ظهر بكل مظاهر العظمة والفطنة والصفات القيادية الممتازة والتعصب للتحرر من كل الضغوط، وأصبحت هذه الشخصية تلعب دوراً كبيراً في خيال شعراء أوروبا الرومانتيكيين منذ أواخر القرن الثامن عشر حتى اواخر القرن التاسع عشر.

وهناك جانب آخر لشخصية الشيطان في الأدب استولت أيضاً على خيال الرومانتيكيين هي شخصية الشيطان الحزين الذي يبكي آلامه وفشله، ولا يبتهج بفوزه، كما هي الحال في شخصية ميفيتسوفيليس Mephistopheles في أسطورة «الدكتور فاوست» Dr. Faustus الشهيرة. ويُلاحظ أنَّ تطور نظرة الأدباء لشخصية الشيطان منذ القرن الثالث عشر حتى القرن العشرين شمل صوراً عديدة من الشخصية البذيئة الهزلية، إلى المارد العظيم، الى مُحب الحرية، إلى مدرك زيف الدنيا، إلى الفيلسوف المتشكل الحزين[1].

وهكذا يرمز الشيطان إلى كل القوى المخيفة، المظلمة، التي تُضعِف الوعي وتجعله يتراجع إلى وسط الليل (الالتباس والغموض) في مقابل مركز الضوء (الله): الشيطان يحرق في عالم سفلي، الله يشعُّ في السماء.

---

(١) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ص ٢٢١ ـ ٢٢٢.

الشيطان رمز الكائن الخبيث، الشرير، اللعين، مهما تأنّق في أزيائه، وتحلّى في أقنعته، وتجلّى في اشكاله. فهو دوماً الغاوي والجلّاد.

الشيطان المقسِّم والمبدّد (Diabole) هو خلاصة القوى المفكّكة والمهدمة لشخصية الإنسان.

الجحيم، المجال الحيوي للشيطان، حيث يندغم الحيوان والإنسان (ابليس).

على الصعيد النفساني، يُظهر الشيطان العبودية التي تنتظر كلّ من يظلّ خاضعاً للغريزة خضوعاً أعمى[١].

الشيطان في القرآن الكريم

ذكر القرآن الكريم الشيطان وسمّا ابليس في مواقع كثيرة[٢] وانه من طائفة الجن[٣] وان خلقه تم قبل خلق البشر وقد خلق من النار[٤] ولذا اعترض على الأمر الالهي بالسجود لآدم[٥].

والجن مكلف كما البشر بانتهاج طريق التكامل، ولذا نجد ابليس من خلال عبادته يرتقي الى أن يصل عالم الملائكة فيختلط به ويسبح بحمد ربه، وعبادته كانت ظاهرية لأنه فشل في أول اختبار للطاعة وكشف عن جهله فهو في الظاهر كان كالملائكة فيما ظل باطنه دون تكامل حقيقي، وقد انكشفت حقيقته عندما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم فسجدوا جميعاً ورفض ابليس السجود[٦].

---

(١) سلسلة المعاجم العلمية ج١ معجم الرموز.

(٢) سورة الحجر: الآية ٣٠: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾.

(٣) سورة الكهف: الآية ٥٠: ﴿فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾.

(٤) سورة الحجر: الآية ٢٧: ﴿وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾، سورة الرحمن: الآية ١٥: ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾.

(٥) سورة الاعراف: الآية ١٢، سورة صٓ: الآية ٧٦، ﴿خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ﴾.

(٦) الامام الصادق عليه السلام: **«ان الملائكة كانوا يحسبون ان ابليس منهم وكان في علم الله انه ليس منهم فاستخرج الله ما في نفسه بالحميّة فقال: خلقتني من نار وخلقته من طين»** بحار الانوار ٦٠ / ٢١٨ ح٥٥، ٦٠ / ٢٢٠ ح٥٩.

ومن تلك اللحظة اصبح اسمه ابليس يعني لا أمل له في رحمة الله[1].

وكان اسمه «عزازيل» [2].

وشاء الله ان ينظره الى يوم البعث وأن يكون نشاطه لاغواء البشر فهو يتحرك باتجاه معاكس لاتجاه الهداية الالهية فاصبح يجري في عروق بني آدم جريان الدم[3].

ذلك أن الله عز وجل يرتبط باوليائه وانبيائه بالوحي[4]، وإذا كان تبارك وتعالى يحث عباده بالالهام الى عمل الخير فان الشيطان يقوم بعمل مضاد عن طريق الوسوسة[5].

واذا كان الله عز وجل وعبر رسله وانبيائه يدعو الناس الى السعادة فان الشيطان يدفع بهم عبر الطواغيت الى الشقاء[6].

وأخيراً اذا كانت المكاشفات والاطياف الرحمانية موجودة فهناك أحلام شيطانية والشيطان يأتي الانسان من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله بل ويجري في عروقه مع الدماء التي تجري؛ بل وفي قدرته ان يوسوس للناس جميعاً في لحظة واحدة[7]. فجسمه ينطوي على هذه القابلية بل وينطوي على قابلية التشكل في جسم مرئي[8].

الشيطان في رأي بعض العرفاء والمتصوفة

يرى بعض المتصوفة والعرفاء أنه لا شيء يمكن أن يخرج على ربوبية رب العالمين، واذن فان الشيطان مربوب لله تبارك وتعالى ووجوده خير

---

(١) الامام العسكري عليه السلام: **«الشيطان: هو البعيد من كل خير، الرجيم: المرجوم باللعن المطرود من بقاع الخير»** بحار الانوار: ٦٠ / ٢٧٢ ح١٥٩.

(٢) الامام الرضا عليه السلام: **«ان اسم ابليس: الحارث، وانما قول الله عز وجل يا ابليس يا عاصي، سمّي ابليس لأنه ابلس من رحمة الله»** المصدر السابق: ٦٠ / ١٥٩ ح٣، ٤.

(٣) المصدر السابق: ٦٠ / ٢١٩ ح٥٨.

(٤) سورة الانعام: الآية ١٢١: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ﴾.

(٥) سورة البقرة: الآية ١٦٩.

(٦) سورة آل عمران: الآية ١٥٧.

(٧) بحار الانوار: ٦٠ / ٢٢٠ ح٥٨.

(٨) المصدر السابق: ٦٠ / ٢٣٧ ح٨١.

محض ومن ضرورات الخلق الالهي. يقول الشيخ محمد شبستري في كتابه «درس دين»:

اسمع مني حكاية الشيطان..
اعرف انك لا تعرفها..
بالرغم من كفره اليوم
غداً يكون مسلماً
واذا كان في بدئه شرّاً
فسيصبح خيراً في النهاية
لأنه لا يمكنه الخروج عن قدرة الله
وبالرغم من طرده من رحاب الحق
يأتي وقت انتهاء الحرمات
ليعرف المحسن من المسيء
الشيطان هو الذي سيكشف الحقائق
وقد قال الشيطان لما قال له موسى: أيها الشرير
لم لم تسجد فاصبحت ذليلاً؟!
ـ خشيت أن أصبح مثلك
ـ مثلي وأنا نبي؟! كذلك قال موسى
قال الشيطان: لك النبوّة دون الفتوة
لأنك يوم اللقاء قلت: رب أرني انظر اليك
فلم حولت نظرك صوب الجبل
وستبقى محروماً من رؤية الله
أما أنا فقد عشقت الله وحده
ولعشقي له لم أسجد لآدم
حتى لا أحوّل وجهي الى غيره
فلا أعرف شيئاً سواه

قريباً كنت أو طريداً

قال ذلك السر وفارق موسى

وهو لا يعرف ماذا وقع وأين أضحى.

وهناك طائفة تتخذ من سيدنا عليٍّ ألهاً وهم يدعون انفسهم بأهل الحق يرون في ضوء العدل الالهي ان جميع المخلوقات من صنع الله وقد اقتضت حكمة الله خلقها فكل شيء في حد ذاته خير.

والشيطان من مخلوقات الله التي اقتضت حكمته سبحانه وتعالى خلقه وما قدرته الاّ من قدرة الله فهو جزء من حضرة الحق[1].

ولذا يعبد فريق من هذه الطائفة الشيطان ويعتقدون بالوهيته.

وهذا الاعتقاد نجده في أول سطر من كتاب (آئين ياري) إن تأملنا فيه جيداً.

ومن المحتمل جداً لدى اتباع زرادشت ان «اهريمن» هو الشيطان، الذي هو خالق الشرّ والظلمة..

وعلى كل حال فكل فريق له اعتقاداته في الشيطان.

ومن مجموع المليارات البشرية اليوم قليل جداً من القى عن عنقه نير الشيطان.

فالشيطان يغوي اكثر الناس في عقائدهم، ويحرف قسماً في أخلاقهم وآخرين في أعمالهم.

فعاليات الشيطان

قال لي معلمي:

في إحدى مكاشفاتي طلبت من النور المقدس أعني دليلي أن يريني جزءاً من فعاليات الشيطان حتى يمكنني نقلها الى الناس فاحذرهم من كيده.

فاخذ بيدي فاجتاز بي آلاف السنين غائصاً في أعماق الماضي الى قرون متمادية قبل ميلاد السيد المسيح.

---

(١) برهان الحق / ١٩.

قال لي: ان صور العالم في أي زمان تبقى محفوظة في صور برزخية وملكوتية نسخة طبق الأصل.

فلو أردت مثلاً الاطلاع على عالم ما قبل ألف سنة او حادثة وقعت في ذلك التاريخ فستجدها في عالم الملكوت كما هي وقت وقوعها.

لأنه ما من شيء يقع الّا وله صورة محفوظة في عالم الملكوت وأنه لا فناء للاشياء.

وعلاوة على وجود نسخة من كل ما يحدث، فان نفس الحادثة لا تقبل المحو والزوال ويبقى لها حضور بكل جزئياتها وكيفياتها وخصوصياتها ولذا يمكنك الذهاب الى أي من مشاهد التاريخ والزمن الماضي لترى الحقيقة كما هي.

قلت لدليلي: أريد أولاً أن أرى ابليس كيف وقع في الابتلاء ولماذا تعرض للطرد من رحاب الله ولماذا منحه الله كل هذه القدرات؟

قال لي: انظر الى هذه الجهة فسترى كل شيء.

ونظرت الى الجهة التي أشار اليها فرأيت ابليس يخلق من شعلة من النار[1].

ومنحه الله عز وجل الحرّية في الاختيار بين طريق الخير وطريق الشر[2].

ثم رأيت صحراء تزخر بالملائكة وهي تسبح الله وتحمده وتعبده، فاتخذ الشيطان طريقه الى هناك واستغرق في تسبيح الله في ذلك العالم الوسيع.

ومع ذلك فيمكن تحديده وسط ذلك العالم لأن الله خلقه من نار ودخان والملائكة خلقها من نور فكان الشيطان فيها كنقطة سوداء باهتة.. كان في الملائكة كأحدهم مع أنه ليس منهم[3].

---

(١) سورة الرحمن: الآية ١٥: ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ۝١٥﴾.
(٢) سورة الجن: الآية ١٤: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ﴾.
(٣) الامام الصادقعليه السلام: «**كان ابليس منهم بالولاء ولم يكن من جنس الملائكة**».

كنت مستغرقاً في النظر الى ذلك العالم عندما وضع دليلي كفه على كتفي قائلاً انظر الى تلك الجهة!

فنظرت فإذا جنّة غناء تزخر بالاشجار المثمرة.

فانطلقت مع دليلي اليها وغمرتنا الحيوية والنشاط حال دخولنا فيها.

أراد الله عز وجل لآدم أن يسكن الأرض ويعمرها، وكان سبحانه قد قال للملائكة إنه سيجعل له في الأرض خليفة.. خليفة يعمرها وينتشر نسله في أطرافها وأكنافها وينعم بخيراتها.. ولأن الملائكة لم تدرك الحكمة من وراء خلقه ولأن الله الهمها من قبل أن الملائكة اكثر المخلوقات له طاعة وتسبيحاً من أجل هذا قالت الملائكة: اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك؟

أنا أيضاً شاركت دهشة الملائكة لأني لم أحط بأسرار الخلق.. قلت لدليلي: ما أكثر فطنة الملائكة، لكأنها رأت تاريخ الانسان عندما تساءلت باعتراض!

قال دليلي: الآن سيتضح خطؤك فاصغ وانصت لقول الله عز وجل:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً

قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ؟!

قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ.

وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ

فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ؟

قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ.

قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ.

فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ.

قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾.

الله ردّ على الملائكة اعتراضها لأنها تجهل ما يعلمه الله.

ونفخ الله من روحه في آدم.

وأمر الله سبحانه الملائكة بالسجود لآدم.. فهوت جميعاً الى السجود ورأينا ابليس وحده يرفض الأمر الالهي وقد طفح الحقد والتكبر على شكله.

﴿قَالَ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّـٰجِدِينَ﴾

﴿قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾

﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾

﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾

﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾

﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾

﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾

﴿قَالَ هَـٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ﴾

﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾

وطرد الله ابليس وقال له: ﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[1][2].

وشعرت بالدهشة من وقاحة الشيطان.. يتمرد على الله سبحانه خالق كل شيء واردت أن أعرف ماذا حصل بعد ذلك كيف سيغوي الشيطان آدم وذريته.

الله سبحانه أعد لآدم مكاناً للحياة الهانئة وحذره من الشيطان وأحابيله.

قال الله سبحانه لآدم بعد أن خلق له زوجه: ﴿وَيَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾.

﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَـٰلِدِينَ﴾.

---

(١) سورة الحجر: الآيات ٢٨ ـ ٣٢.

(٢) سورة الاعراف: الآية ١٨.

﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾.

﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ﴾

﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ

قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾[1].

وغفر الله سبحانه لآدم وحواء معصيتهما بعد أن تطهرا بالندم والبكاء والعودة الى الله.

وقال الله سبحانه يخاطب الجميع: ﴿قَالَ ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ

قَالَ فِيهَا تَحۡيَوۡنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنۡهَا تُخۡرَجُونَ﴾[2].

وأصبحت الأرض مكاناً للامتحان ومحلاً للاختبار وطريقاً للتكامل نحو الله سبحانه.

---

(١) سورة الاعراف: الآيات ١٩ ـ ٢٣.

(٢) سورة الاعراف: الآيتان ٢٤ ـ ٢٥.

العفو الالهي

قال لي معلمي:

ذات ليلة وفي عالم المكاشفة رأيت مدينة يغمرها النور وعندما حدقت جيداً فإذا هي (المدينة المنورة) في زمن النبي ﷺ وإذا هو ﷺ على مرتفع وقد نزلت عليه هذه الآية الكريمة: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾[1].

وفي هذه اللحظة وقعت عيني على قمة جبل ثور في مكة واذا ابليس يصرخ ويدعو الشياطين جميعاً وإذا هم يحدقون به من كل جانب وقد قدموا بسرعة مدهشة والكل يتساءل ماذا حصل وما الأمر؟

قال ابليس قد نزلت من الله آية على رسوله الى الناس: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ وهذا يعني ان الانسان مهما ارتكب من المعاصي ومهما اجتهدنا في اغوائه، فانه سيعود الى الله بالتوبة وسيغفر الله ذنوبه جميعاً وتذهب جهودنا هباءً منثوراً!

فمن منكم يستطيع أن يعطل هذه الآية عن عملها فلا تؤثر في الناس؟

قال عفريت من الشياطين: أنا لها.

قال ابليس: أنت اعجز من ذلك.

وقام آخر فقال: أنا. فأجلسه ابليس حتى إذا قام شيطان اسمه الخناس وقال: انا لها إن سمحت لي فأقول ما سأفعل.

قال ابليس: ما الذي ستقوم به؟

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٣٥.

قال الخناس: في البداية أعدهم وأمنيهم وأوسوس لهم بالمعاصي وما فيها من المنافع واللذات... فإذا اصغوا ووقعوا في المعصية أحول بينهم وبين التوبة والاستغفار بالنسيان. فرح ابليس وقال: أنت لها يا خنّاس[1].

وفي عالم المكاشفة قال لي النور المقدس الآن وقد رأيت ما جرى ورأيت كيف يمكن للشيطان ان يغوي الناس أرى ان تتصل به مباشرة فتعرف صفاته وخصائصه..

ثم أشار الى ظلمة كثيفة وقال: انظر في ذلك السواد الذي يشبه الدخان ستجد هناك ابليس فاذهب اليه وسله عما تريد.

مقابلة مع الشيطان

في البداية سألته عن هدفه من وراء اغواء ابناء آدم؟

قال: نفس الهدف الذي عندكم انتم يا أهل الدنيا؛ ما الذي تطمحون اليه في دنياكم؟ لماذا وأنا المخلوق من النار.. النار التي هي أشرف الموجودات لا يكون لي أتباع وسلطان[2].

أنا موجود خطير له شأن، وذات يوم أمرني الله أن أسجد لآدم ذلك المخلوق الطيني. وقد يأمرني بأمر آخر يعني يريد مني الطاعة والتسليم الكاملين بلا قيد أو شرط. فلا تكون لي ارادة مستقلة وشخصية مستقلة، انه يريد منّي تحطيم عظمتي وقدرتي ويسحق شخصيتي أو كما يقال أن أكون عبداً له وهو مولاي.. فما فائدة ذلك اذن؟ لو كنتم مكاني ايها البشر وكانت لكم كل هذه القدرة والمجد[3]، اكنتم تفعلون غير ما فعلت؟

بعضكم لا يملك واحداً بالألف من قدراتي واذا ملك ذلك فانه يبحث عن أعوان وأتباع ومريدين، انتم تبحثون عن الشهرة ولا تتورعون عن فعل كل شيء في سبيل ذلك وهذا ما فعلته. إن الفرق الوحيد بيني

---

(١) تفسير البرهان / ٣١٦ ح٥، بحار الانوار ٦٠ / ١٩٧ ح٦.

(٢) أمير المؤمنين علي عليه السلام في سجود ابليس: **«فانه سجد سجدة واحدة اربعة آلاف عام لم يرد بها غير زخرف الدنيا والتمكين من النظرة»** بحار الانوار ٦٠ / ٢٣٥ ح٧٦.

(٣) الأصل الناري (المترجم).

وبينكم هو أنكم لا شخصية مستقلة لكم انتم تعتبرون أنفسكم عبيداً لله وأولياء له وتقولون ذلك للناس حتى يتبعوكم.. أما أنا فاعمل باستقلالية.

والله يحذركم مني ومن شرّي بل وقال إنني عدو له وإنني أقطع الطريق على الله. انتم تدعون الى انفسكم على أساس أنكم أحباء لله والأجدر أن تسألوا انفسكم لماذا انتم تفعلون ذلك وتضلّون الناس؟

قلت له: كيف ترتبط مع اتباعك؟

قال: كما أن الله يتحدث الى الناس مع أوليائه (وكما تقولون انتم بواسطة الوحي) فأنا ارتبط بهم أيضاً بهذه الوسيلة[١].

واذا كان الله يرتبط بالناس عن طريق الالهام فيقذف في نفوسهم وقلوبهم نور الحقيقة، فأنا أقوم بالوسوسة اليهم يعني اتحدث اليهم بصوت غير مسموع، وادفع بهم الى طريق الشر.

واذا كان الله يبلغ رسالاته الى الناس عن طريق الانبياء، فأنا أيضاً أقوم بابلاغ الكثير من اللوائح الى الناس، عبر أتباعي من البشر وعملائي فهناك العشرات من الكذابين والدجالين والطواغيت[٢].

وأعلم أيضاً ان رسلي هم علماء يتبعون أهواءهم ولا همّ لهم الاّ طلب الجاه والشهرة والرئاسة، فهؤلاء هم رسلي الذين يتزعمون الحركات الفكرية الهدّامة والضالة ويدعون الناس الى طريق بعيد عن طريق الله..

وانظر الآن الى اتباعي فمن مجموع خمسة مليارات من سكان البشر لا يوجد من يعبد الله ويتبع طريقه الاّ القليل والآن هل فهمت من أكون ومدى قدرتي؟

وادركت وهو يتحدث أن ما كشف عن ذاته الخبيثة قد صرح به القرآن الكريم وجاءت به الروايات والأخبار.

وانتبهت الى نفسي على يد تربت فوق كتفي لتخلصني من أي تأثير شيطاني قد يتسلل لنفسي.. وكانت يد دليلي الذي قال لي: والآن انظر كيف

---

(١) سورة الانعام: الآية ١٢١: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ﴾.

(٢) سورة الانعام: الآية ١١٢: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ﴾.

يقوم الشيطان باغواء الآخرين. وفي عالم المكاشفة حيث يصبح الانتقال من مكان الى مكان ومن زمان الى زمان امراً ميسوراً.

في هذا العالم نظرت الى الجهة التي أشار اليها دليلي فرأيت على حافة الصحراء مدينة صغيرة وكان سكانها يجلّون شخصاً ويتعاملون معه بقداسة كما لو أنه الرب يقبلون يديه ويقعون على قدميه.

وفي عالم المكاشفة حيث يمكن سبر أغوار الانسان وحقيقته وجدت ذلك الرجل جاهلاً مغروراً وأنانياً لا يعبد الاّ هواه ذليلاً أمام الشيطان.

اقتربت مع دليلي منه لنرى ما قال له الشيطان وكيف دفعه الى ارتكاب جريمته البشعة ولماذا يساعد الشيطان ويصبح آلة طيّعة بيده.. رأينا حياته الماضية تتمثل أمامنا كشريط سينمائي منذ أيام دراسته وطفولته..

كان طفلاً ذكياً حاد الذكاء فكان الأول على أقرانه في كل ميدان. معلمه معجب به. الناس الذين يعرفونه يثنون عليه ويشجعونه لكي يتقدم في دراسته أكثر فأكثر، وكان هذا التشجيع بمثابة سماد يزيد في نموه كشجرة تتغذى بالأسمدة. وينسى البستاني مبيدات السموم التي تحمي تلك الشجرة من الآفات لقد تركوا الصبي دون درس أخلاقي لتهذيب أخلاقه وتزكية نفسه فتسلل اليه التكبر والغرور والأنانية حتى حصل الذي حصل.

في ذلك الصباح توفي أبوه وغادر الدنيا وكان يومها في السابعة عشرة من عمره فعامله الناس باعتباره مسؤول الاسرة وتصرّفوا معه باحترام كامل كشخص يقوم مقام والده.. وهذا العمل ليس خطأً في حدّ ذاته ولكنه لم يتلق تربية أخلاقية كافية. ومن هنا تسلل الشيطان، ففي تلقي التعازي تمثل الشيطان كأحد الناس وراح يعامل الفتى بما ينفخ في نفسه الغرور والتعالي على الناس.

ثم وسوس اليه ان هؤلاء الناس غير جديرين بالاحترام وما دام الناس يجلّونه فلماذا لا يسعى الى الزعامة والرياسة، بل ويطلب منهم أن يكونوا عبيداً له.

فوسوس له الشيطان تزوير وصية عن ابيه ما دام ختمه وامضاؤه في يده فيحوز أولاً ثلث أمواله فينفق بعضها على الدجالين والمشعوذين وادعياء التنجيم وبعض الدراويش ويتعلم منهم بعض الاعيبهم العجيبة ثم يطرح

نفسه دليلاً للناس على طريق الكمال والحقيقة ثم يتظاهر بالزهد ليتسلل الى قلوب الناس. ثم استفاد من بعض المحتاجين الذين يبحثون عمن يقرضهم أو المرضى ممن ينشدون الشفاء فساعده الشيطان على شفاء بعض الحالات المرضية وقد شهدت مثلاً أحدهم وكان مصاباً بـ«الهستيريا» وقد اصيب بالشلل النصفي جراء ذلك فجاء الى ذلك الشاب وقد اصيب بانهيار روحي ويحتاج الى بعض الايحاءات التي تعزز الثقة في نفسه فأجراها عليه وأرشده الى بعض الأدوية العشبية التي تنفع في التسكين فاسترد عافيته.

الذين شهدوا الحادثة اعتبروا ذلك كرامة ما بعدها كرامة وانتشر الخير بين الناس فأحدقوا به ولم يكتف الشاب أن يعرف نفسه ولياً من أولياء الله بل ادعى القطبية؛ يعني أنه لا نظير له في العالم، فهو نقطة المركز وأنه الإمام ومن له الاتصال المباشر مع الله وأن كل الصفات التي يفترضها المسلمون عن الانسان الكامل تجتمع فيه، وكان الشيطان يساعده في دعايته ووحي اليه وكما يدعي انه يسمع صوتاً يأتيه من الغيب..

وهكذا انخدع به البسطاء من الناس والسذج وقد وصل به الغرور والضلال الى أن اخترع مذهباً وأنا لا أريد التصريح باسمه حتى لا ينهض للدفاع عن مذهبه ويستعين بالشيطان في تثبيت ركائز مذهبه الضال.

تغيير المفردات

قال لي معلمي:

في إحدى مكاشفاتي رأيت شخصاً قادماً أعرفه من بعيد، أخذ بيدي وانطلق بي الى الصحراء بعيداً عن العمران وقال لي في الطريق: ان أحد أعمال الشيطان لإغواء الناس على المدى البعيد ويعاونه في ذلك اتباعه من الانس والجن، هو افراغ المفردات من معانيها الحقيقية في اذهان الناس ومنحها معاني مزوّرة خاطئة[١].

والآن لننطلق الى الأزمنة السحيقة، حيث بداية النوع الانساني على وجه الأرض..

لننظر الى ذلك الجبل.. وعندما حدقت في الجهة التي أشار اليها رأيت الشيطان وحوله اتباعه من الجن أي الشياطين وقد أحدقوا به وهو يزودهم بتعليماته وحبائله في اغواء البشر:

إن أفضل وسيلة لإغواء بني آدم هي تغيير المعاني الحقيقة للمفردات الدينية وصياغة مفاهيم جديدة معاكسة وترويجها بينهم[٢].

وبرقت عيون الشياطين بالشر لهذه الخطة الخبيثة في تضليل الناس وإغوائهم.

وراحوا يتداولون الرأي في كيفية تنفيذ هذه الخطة: ما هي المفردات

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٦٩: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ.

(٢) سورة الانعام: الآية ١١٢: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾.

التي ينبغي قلب معانيها وما هي المفردات التي يمكن تغيير معانيها والمفردات التي يمكن تشويه معانيها الحقيقية؟

وكان كل واحد يقول ما في جعبته من المكر والخديعة والأحابيل[1].

قال ابليس: أولاً نلقن بني آدم ونعرفهم بأن الله جبار قهار منتقم قبل أن يكون رحماناً رحيماً ورؤوفاً كريماً، حتى تكون فكرة الله في أذهانهم مقرونة بالظلم وأنه يفعل ما يشاء بلا حساب وأن الانسان مهما عبد الله حتى لو عبده مئة عام فمصيره عند الله مجهول وعاقبته غامضة وقد يعذبه الله في النهاية أشدّ العذاب!

وانطلق الشياطين يوحون الى أوليائهم؛ وراح هؤلاء الأولياء واتباع الشيطان من الإنس يرسمون صورة مخيفة عن الله والملائكة، حتى ان الانسان لا يذكر الله أو الملائكة الا وارتسمت في ذهنه صورة مرعبة. وشيئاً فشيئاً ذابت في اذهانهم صور المغفرة الالهية والعفو والرحمة.

كيف بدأ الشيطان ذلك؟ جاء الى انسانٍ يعتبره الناس مقدساً وهو في الواقع انسان أمي جاهل لا رحمة في قلبه، فأوحى اليه أن يعمل على وعظ الناس ولكن كيف سيعظهم؛ وهنا ألقى الشيطان في ذهنه ان يحمل الناس على الخوف من الله، فراح يصوّر لهم سطوة الله وغضبه وانتقامه ولم يحدثهم مرّة واحدة عن عفوه ومغفرته ورضوانه، وهو في كل هذا يتصور انه قد انتهج الطريق الصالح لحمل الناس على طاعة الله.

قال ابليس لشياطينه في ذلك الاجتماع الهام والخطير:

عليكم أن توسوسوا للناس عن حب الدنيا والاقبال على ماديات الحياة وزخارفها وأن هذه الحياة الدنيا هي كل شيء وأن الاكثار من بهارج الحياة يعني السعادة..

اقطعوا الطريق الى الله طريق الحب الالهي لأن الانسان اذا سلك هذا الطريق فانه يصل مرحلة الخلوص وسيكون الله دائماً في وجدانه وعندها سوف نعجز عن اغوائه ولأن الانسان اذا احب الله فانه سيرفضنا

---

(١) الامام الباقر عليه السلام: **«ان الشياطين يلقى بعضهم بعضا فيلقي اليه ما يغوي به الخلق حتى يتعلم بعضهم من بعض»** تفسير البرهان ١ / ٥٤٩ ح٣.

ويطردنا ولن يصغي الى صوتنا.. نحن اعجز من اغواء أي انسان مخلص[١].

مرق شيطان مريد كُلّف بتغيير معنى مفردة «الزهد» لكي يقطع طريق الناس عن خير الدنيا وخير الآخرة؛ وبدأ نشاطه هكذا.

في البداية ذهب الى مجموعة من الفقراء الكسالى الخاملين فانتخب منهم عدداً، ثم راح يوسوس اليهم: لقد تركتم الدنيا واعرضتم عنها فمرحى لكم انتم الزهاد.. واعراضكم عن أمور الدنيا وشؤون الناس هو الزهد..

وبهذه الطريقة شوّه الشيطان مفهوم الزهد وجعله رديفاً للكسل والتواكل والخمول والانقطاع عن الدنيا.

وراح الشيطان يشيع المعنى المزيف للزهد فاذا ذكرت مفردة الزهد تداعت الى ذهن المرء صور التكامل والخمول والموقف السلبي من الحياة.

أما الزهد بمعناه الحقيقي وبما جاءت به كتب السماء والرسالات الالهية فهو الاعراض عن حب الدنيا والانشداد اليها لا الاعراض عن نفس الدنيا فالزهد الحقيقي هو التحرر من كل القيود والاغلال التي تصادر حرّية الانسان الحقيقية، لكي لا يكون عبداً للاطماع فلا يحزن على ما فاته من متاع الدنيا ولا يفرح بمظاهرها الخادعة [٢].

فالزهد بمفهومه الصادق لا يتعارض مع النشاطات الاجتماعية والسياسية والدنيوية.

وانطلق شيطان آخر وكانت مأموريته تشويه مفردة «الصبر» فالصبر بمعناه الحقيقي هو المقاومة وتحمل المشاق في سبيل تحقيق الأهداف الانسانية العليا، ولكن الشيطان راح يوحي الى من يصغي لوسوساته انه الانسحاب من الحياة والخنوع والوقوف مكتوفي الأيدي وعدم الاقدام على أي عمل ايجابي.

وانطلقت شياطين أُخر لتشويه معنى «التقية» لتكتسب معاني مشوهة تصل الى حد المداهنة والنفاق، فترى الجبناء والخائفين يروجون للتقية بهذا المعنى الهابط الذي يتنافى مع معطيات القرآن والشريعة الاسلامية..

---

(١) سورة الحجر الآيتان: ٣٩ ـ ٤٠: ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾.

(٢) سورة الحديد الآية ٢٣: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾.

وهكذا نرى ابليس يبتهج لهذا النجاح الكبير في تضليل واغواء الناس بعد أن تمكن اتباعه من الهاء الناس بالخرافات والطلاسم والشعوذة والاسرار والالغاز وبعد أن اعتقد الناس ان فيها قوى خفية(١).

وابليس لا يخلد للراحة أبداً ولا يقف مكتوف الأيدي فتراه يحوم هو وأتباعه على قلوب الناس يحجبون عنهم الرؤية الواضحة للاشياء(٢).

والشياطين من الخبث والمكر بحيث لم يتركوا شيئاً الاّ ولجوه وشوهوه حتى مسألة الطهارة نجد الشيطان يوسوس الى هذا الرجل أو تلك المرأة فتراهما يشككان في صحة الوضوء ويعيدانه مرّة وأخرى وثالثة والشيطان لا ينفك يوسوس ان الوضوء باطل! هناك جرم حجب الماء عن جزء من الوجه... أو أن الماء لم يغمر هذا المكان من العضو المراد غسله.

وربما يدرك المرء أن هذه الشكوك وسوسة ولكنه لا يجد من حيلة بعد ان اصغى للشيطان وأطاعه.

فترى أحدهم في ذلك الجو البارد القارس البرد وهو يغسل وجهه بالصابون مراراً وتكراراً ويحك جلده، حتى يكاد يسلخه أو مع هذا يوسوس له الشيطان: إن اردت التأكد من عدم وجود مانع فانظر الى وجهك في المرآة وحدّق جيداً.. فإذا فعل ذلك عاد الشيطان ولكن هل تأكدت من وصول الماء الى زوايا عينيك واطراف منخريك!

ولا يتركه الشيطان الاّ وهو ممزق نفسياً، يتوضأ وفي نفسه الشك والوسواس من احتمال بطلانه وعدم صحته(٣).

وربما ترى امرأة وسواسة تغسل اشياء وتطهرها ثم لا تطمئن لطهرها فتعيد غسلها مراراً وتكراراً، فإذا حل ضيف في المنزل فذلك يوم الثبور!!

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٠٢ ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾.

(٢) رسول الله ﷺ: **«لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السموات والأرض»** بحار الانوار ٦٠ / ٣٣٢.

(٣) الامام علي عليه السلام: **«اذا توضأ أحدكم ولم يسم كان للشيطان في وضوئه شرك»** المصدر السابق ٦٠ / ٢٠٣ ح٢٧.

وقد ترى مريضاً مصاباً بوعكة صحية خفيفة ولكن الشيطان يوسوس له أنه مصاب بمرض خطير وأنّ عليه أن يراجع الاختصاصيين ولا يكتفي بواحد أو اثنين بل عليه أن يدور على كل العيادات حتى يتأكد من سلامته!! فتراه يتصرف كما لو أنه مصاب بالمرض الفلاني مع أنه سليم معافى من كل شيء!

تحضير الارواح

قال لي معلمي:

قادني دليلي يوماً في عالم المكاشفة الى جمع من الناس اجتمعوا من أجل تحضير الروح وكانوا يتصورون أنهم يحضرون روح أحد الناس، ممن توفاهم الله فيسألون روحه بعض اسئلة العقيدة، فيما الحقيقة كانت الروح التي يسألونها هي روح شريرة لشيطان حضر جمعهم، فكان يجيبهم على خلاف العقل والعلم ويريد بذلك تضليلهم واغواءهم.

ولأن الوسيط كان انساناً لا عقيدة له ولا ايمان بل كان من أولياء الشيطان فكان يردد كلمات يعدّها الجاهل غيباً.

قلت لهم ان الروح التي حضرت انما هي روح خبيثة لشيطان مريد وهدفه هو حرفكم عن جادة الصواب والصراط المستقيم، فاصغوا الى كلامي وانفضّوا عن ذلك الرجل.

وفي جمع آخر من هذه المجالس رأيت الشياطين قد حضرت وكانت الروح الخبيثة تتحدث لهم عن تناسخ الارواح وبعض المسائل الأخرى التي تفوح برائحة الضلال.

فمثلاً حضرت مجلساً وقد انكشف لي ملكوت هذا المحفل، فعندما قال أحدهم لقد قمت باحضار روح العالم الفلاني فسلوه عما يبدو لكم؛ لكني رأيت شيطاناً يجيب عن الاسئلة.

فعندما سأل أحدهم عما تبقى له في الحياة من السنين اجاب الشيطان: خمسين سنة، وكان عمر الرجل سبعين سنة.

سألت دليلي: لم يؤمله الشيطان بهذا العمر؟ فقال: حتى يفرح

ويصدّق تحضير الارواح ولا يعتقد بالأجل أو يستعد للقاء الله فيطول أمله وينسى أجله(1).

وسأل آخر: هل عقائدنا صائبة وصحيحة؟ فقال: نعم ولكن عليكم أن تنقطعوا الى فلان واعملوا بكل ما يقول.

قال دليلي: أتعرف المذكور؟ قلت: لا أعرفه.

قال دليلي: انه رجل ضال وهو من أولياء الشيطان مئة بالمئة وهو يدعو الناس الى مذهب خاص.

سأل آخر: لقد رحل أبي عن الدنيا فكيف حاله (وكان أبوه من أعوان الظلمة ويضطهد الضعفاء وهو في العذاب).

قال الروح (على زعمهم وهو في الحقيقة الشيطان): انه في أحسن حال وان الله غفر له ذنوبه لأنها من اللمم الذي يغفره الله.

قال دليلي: أرأيت كيف يصور ظلم الضعفاء وقهر الناس بشكل عادي.

قلت لدليلي: انني اعتقد بأن الذين يقومون بتحضير الارواح دون تزكية نفوسهم وخاصّة عندما يسألون عن القائد فان الارواح التي تحضر هي في الحقيقة شياطين وأنه لا يمكن الركون الى أقوالهم، ووافقني دليلي على ذلك(2).

بعض الشياطين يقومون بإخافة الناس من كل شيء والأعجب من ذلك البعض ممن يخشى الظلام وإن كان خفيفاً.

فابليس وشياطينه يؤذون البشر بحيث يسلبون منهم الاحساس بالأمن.

وفي عالم المكاشفات تتلاشى الحواجز بين الماضي السحيق والمستقبل البعيد.. حتى ان المرء يستطيع في هذا العالم مشاهدة البدايات الأولى للخلق ويرى الجنة والجحيم لا يخفى من ذلك شيء.

لذا وعندما أراد دليلي أن يريني عاقبة الشيطان التفت جهة اليمين

---

(1) سورة النساء: الآية ١٢٠: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾.

(2) سورة الزخرف: الآيتان ٣٦ ـ ٣٧: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ۝ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾.

واخترق ملايين السنين وقال انظر الى هناك فماذا ترى؟

عندما نظرت باتجاه الاشارة رأيت صحراء واسعة مترامية لا حدود لها اسمها القيامة وكان البشر في شجار مع ابليس وصياحهم يملأ الفضاء: لم خدعتنا وضللتنا عن عبادة ربّنا؟

قال ابليس ياللعجب منكم يا بني آدم؟! ان الله هو الحق المبين ووعده الوعد الصادق وهؤلاء رسله ووعده ووعيده حق وصدق وقد وعدكم وأوعدكم وقد جاءت رسالاته وحذركم رسله وانبياؤه.. لكنكم اعرضتم وصدّقتم بوعودي الكاذبة وأوهامي ولم يكن لي عليكم من سلطة ونفوذ سوى وعود كاذبة .. فلا تلوموني ولوموا انفسكم..

وانقض الضعفاء على الذين غروهم من المستكبرين: ماذا فعلتم بنا؟ من يدفع عنا العذاب الذي حاق بنا؟ لقد كنا لكم اتباعاً فماذا ستفعلون لنا؟

قال المستكبرون: لا شيء لقد انتهى كل شيء لو هدانا الله لهديناكم: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ.

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1].

ويفرّ الشيطان تاركاً حشود البشر زائغي الاعين وقد أحدق بهم المصير الأسود وكانوا يعضون اصابع الندم ولات حين مناص..

الشيطان يقول للانسان اكفر ويكفر الانسان فإذا كفر تبرأ الشيطان منه وتركه وحيداً: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾﴾[2].

---

(١) سورة ابراهيم: الآية ٢٢.

(٢) سورة الحشر: الآيتان ١٦ ـ ١٧.

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ مُلِئَتْ مُلِئَتْ مُلِئَتْ مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾[1].

فالجن ليس له سلطة على البشر ولا نفوذ لا يملك سوى الوسوسة والخيالات والأوهام وخطأ الانسان أنه يصغي للشيطان ولو راجع ضميره ووجدانه وفطرته وعقله لوجد طريق الله مضيئاً.

---

(١) سورة الجن: الآيات ١ ـ ١٥

عالم الملكوت

قال لي معلمي:

ليلة وفي عالم المكاشفة طلبت من دليلي أن يأخذني الى عالم الملكوت وأن يريني البعد الثاني للاشياء ما أمكن، فقد استطيع أن أنقل مشاهداتي للناس عن عوالم سوف يرونها ذات يوم.

ودليلي قال كلمات ولجت قلبي فانفتحت بصيرتي فإذا أنا أمام الاشياء بعد الموت يعني بعد انفصال الروح عن البدن وانقطاعها عن العالم المادّي.

وانفتحت عيني على الحقيقة ورأيت كل الاشياء ببعدها الملكوتي، ورأيت سيرة جميع الاشياء وها أنا انقل لك بعض مشاهداتي فاصغ:

«عالم الدنيا».. رأيته سجناً رهيباً يعمل فيه الأولياء وكأنهم محكومون بالاعمال الشاقة فهم يتأوهون من أجل الخلاص منه.

ثم رأيت «عالم الذر» حيث تعيش ارواح البشر في اجسام صغيرة هي نسخة من الاجسام في الدنيا.

رأيت مليارات البشر بل مئات المليارات في فضاء واسع لا نهائي بين السماوات والأرض..في حدائق مفعمة بالصفاء والحب الالهي وفي حياة هانئة[١].

---

(١) بحار الانوار ٦٤ / ١١٦ ح٢٤: «عن ابي جعفر (الباقر) عليه السلام في حديث طويل: ... فنظر آدم الى ذرّيته وهم ذر قد ملؤوا السماء، قال آدم: يا ربّ ما أكثر ذرّيتي ولأمر ما خلقتهم، فما تريد منهم بأخذك الميثاق عليهم؟ =

ولكن الله سبحانه وحتى لا يغترّوا وحتى يعرفوا انفسهم ولا ينسوا ميثاق العبودية ارسلهم الى الدينا لمدّة قصيرة يمتحنهم بها ويبلوهم فيها.

قال لي دليلي وهو يتحدث عن عالم الذر: هلمّ الى روح حان سفرها الى عالم الدنيا هلم نرافقها لنرى ما يجري عليها.

وعندما هززت رأسي موافقاً قال: إن اردت أن تدرك حقيقة الدنيا من كل ابعادها عليك أن تقوم ببعض ما يلي:

أولاً: أن تعود الى الزمن الماضي قدراً من القرون فهذا يسرّع في وصولنا مقصدنا ولن يزاحمنا الزمان حينئذ.

ثانياً: نتحرك مع بعض الارواح التي حان موعد سفرها الى الدنيا كلاً على حدة لنرى كيف تتعامل مع الدنيا وما هي أحوالها وما ستقوم به من اعمال؟

قلت: لا بأس نفعل هذا.

فأخذ الدليل بيدي الى ما قبل اكثر من الف واربعمئة عام وبالضبط الى مكة حث النبي ﷺ وهو يصدع بأمر الله ويدعو الناس الى الهدى ودين الحق فهذا الزمان هو أفضل زمان لمعرفة حالات الناس.

فهلم لنرى أولاً أحد الاشقياء من الذين فتنتهم الدنيا ببريقها الخلاّب فسحق روحه وداس على فطرته.. هلم لننظر كيف يتعامل مع النبي ﷺ.

لهذا رحت أتابع روح أحد الذين حان سفرهم الى الدنيا ومغادرة عالم الذر.

انه أحد الذين لم يعاهدوا الله على الميثاق بالوفاء فكان من الاشقياء[(١)].

في البداية وقبل أشهر من مجيئه الى الدنيا خلق الله له بدناً كالذي

= قال الله عز وجل: (يعبدوني ولا يشركون بي شيئاً ويؤمنون برسلي ويتبعونهم). قال آدم: يا رب فما لي أرى بعض الذر أعظم من بعض وبعضهم له نور كثير وبعضهم له نور قليل (الى أن قال) قال الله عز وجل: .. وخلقتك وخلقت ذريتك من غير فاقة بي اليك واليهم وانما خلقتك وخلقتهم لابلوك وابلوهم أيّكم احسن عملا في دار الدنيا في حياتكم».

(١) بحار الانوار ٦٤ / ١٢٧ ح٣١: «قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام: «انت الذي احتج الله بك في ابتداء الخلق حيث اقامهم اشباحاً، فقال لهم: ألست بربكم؟ قالوا بلى، قال: ومحمد =

كان له في عالم الذر ووضعه في رحم امرأة عاهرة[1] وهكذا قدر له أن يلج الدنيا من هذه البوابة، ولذا أراد أن يرفض لأنه كان قبل ذلك في عالم واسع رحب ينعم بالصفاء.

فكيف يطيق ظلمات الرحم والبطن وكيف يطيق هذا المكان الضيق هذه المدة يغتذي خلالها على دماء الحيض، ولكن أنّى له مقاومة أمر الله[2].

وهكذا حلّت الروح في بدن لا حول له ولا قوة في رحم عدّة أشهر ليخرج من المكان الذي يخرج منه البول ويدخل عالم الدنيا وهو ما يزال عاجزاً لا يستطيع عمل شيء وقد نسي كل معلوماته، الاّ من بعض الادراكات البسيطة[3] لقد نسي كل شيء واصبح كما خلقه أول مرّة في عالم الارواح، وعالم الذر مع فارق واحد أنه الآن يتذكر شيئاً فشيئاً ما نسيه من حقائق وهي مستودعة في فطرته[4].

انه يريد أن يتذكر المعلومات التي نسيها فيعمل بها ويُمتحن بها، لكنه انخدع بزخرف الحياة وأخذته الحواس الخمس الى نوم عميق، فانتهى نومه الى موت روحه وصيرورة قلبه حجراً، لقد عميت بصيرته فهو لا يسمع ولا يبصر ولا يستطيع أن ينطق بالحق بل لا يستطيع أن يدرك الحقائق[5].

لم اكن ادري أنه ميت، ولذا عندما رأيت روحه في الفلاة بدا لي

= **رسولي؟ قالوا: بلى قال: وعلي أمير المؤمنين؟ فأبى أكثر الخلق جميعاً الاّ استكباراً وعتوا عن ولايتك الاّ نفر قليل وهم اصحاب اليمين».**

(١) المصدر السابق ٦٤ / ١٢٦ ح٢٩، ٦٠ / ٢٠٧ ح٤٠، ٦٠ / ٢٠٨ ح٤٣: قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام: **«فإذا كان يوم القيامة دعي الناس بأمهاتهم الاّ شيعتك فانهم يدعون باسماء آبائهم لطيب مولدهم».**

(٢) المصدر السابق ٥٨ / ٣٠ ح٢ الامام الصادق عن أبيه (عليهما السلام): **«ان روح آدم** عليه السلام لمّا أمرت أن تدخل فيه كرهته فأمرها أن تدخل كرهاً وتخرج كرهاً».

(٣) سورة النحل الآية ٧٨: **«والله أخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئاً».**

(٤) المصدر السابق: ٥ / ٢٤٣ ح٣٢ **«عن زرارة قال: سألت أبا جعفر (الباقر)** عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ (الآية) قال: **ثبتت المعرفة ونسوا الموقف وسيذكرونه يوماً ولولا ذلك لم يدر أحد من خالقه ولا من رازقه».**

(٥) سورة البقرة: الآية ١٨: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝١٨﴾.

نائماً وكانت مختلف الحيوانات تنهش فيه، حاولت أن أوقظه ولكن دون جدوى.

وكان حيوان «حب الدنيا» ينهش فيه ونار «الحسد» تلهبه وحيوانات مثل «حب الجاه» «الرياسة» و«القسوة» تتخطفه، أما هو فقد كان غارقاً في النوم.

وادركت حينئذ ألاّ أمل في حياته ورحت أفكر في هذا المصير الذي وصل اليه.. ترى ما الذي جرّه الى هذا المصير؟!

لقد كان يعاني في عالم الذر من بعض الأمراض وظهرت عليه في مرحلة الطفولة ولم يبادر الى علاجها.

ولجهله هذا كانت حالته تتفاقم سوءاً واصبحت مستعصية على العلاج.

أخذ دليلي بيدي وقال: انتبه للامراض الروحية واحذر منها في دنياك.. ان امراضاً مثل «حب الدنيا»، «حب الجاه»، «الرئاسة» و«القسوة» هي أمراض خطيرة وقاتله.

والآن هلم الى مكة في زمن النبيﷺ، إنه الآن يريد هداية الناس الى طريق الله.. انظر الى هناك.. الى ذلك المرتفع.. انه رحمة لكل العالمين[١].

انه يريد لهم الحياة الطيبة ولذا تراه يشقى من أجل الناس[٢].

الله سبحانه يشير الى ذلك الانسان الذي كنا نتحدث عنه ورأيناه نائماً في الصحراء وأمثاله[٣].

لقد مات هؤلاء موتاً روحياً لا أمل فيه أبداً، ولذا مما يقول الله سبحانه لرسوله: انك لا تسمع الموتى، ولا تسمع الصم وانك لا تستطيع أن تهدي العمي فلقد ختم على قلوبهم واسماعهم وعلى عيونهم غشاوة.. وغرقت في تأملاتي وادركت عندها ان بعض الناس الذي نعدّهم أحياءً انما

---

(١) سورة الانبياء: الآية ١٠٧: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾.

(٢) سورة طه: الآيتان ١ ـ ٢: ﴿طه ۝ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾.

(٣) سورة البقرة: الآيتان ٦ ـ ٧ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ﴾.

هم موتى، فالذي لا يسمع صوت النبي ولا يصغي لكلماته والله سبحانه يقول لنبيه انما هم موتى وانك لا تسمع من في القبور[١].

وقال لي دليلي: انظر في سيرة هذا الشخص لترى حقيقة حاله: وعندما نظرت لم أجد فيه سوى بقايا الحيوان!

همّه بطنه وما يرتدي من الحلل الفاخرة وما يتحلى به من الجواهر وما يجعله متكبراً مغروراً.

لم يفكر يوماً بهدفه من الحياة ولماذا خلق؟ انه ميت بكل معنى الكلمة وليس في وجوده بقيا من الانسانية.

هكذا عاش حتى انفصلت روحه عن جسده حينئذ انفتحت رؤيته ليرى الحقائق ولكن بعد فوات الأوان.. سيحيى حياة البرزخ في عذاب متواصل الى يوم القيامة والى ما بعد ذلك.

وهنا قال دليلي: في الوقت الذي تموت فيه حيوانية الانسان لحظة الموت تنبعث انسانيته وسيكون آنذاك كطالب في قاعة امتحان شارد الذهن لم يحضر للامتحان لكي يؤديه، ثم يغادر قاعة الامتحان ليرى نتيجته راسباً.. أيُّ حالة اذن هي حالته.. انه غارق في حزن مرير.

ان حزن أولئك الناس في يوم يفوق حزن الطالب الراسب مئات المرّات وخاصّة وأنه لن يكون هناك فرصة لاعادة الكرّة[٢].

قال لي معلمي:

أخذني دليلي يوماً في عالم المكاشفة الى عالم الذر أعادني نحو الماضي السحيق وعرّفني على روح تتأهب للسفر الى الدنيا هذه الروح تختلف عن تلك فهذه وفيّة للميثاق الالهي، من أجل هذا هيأ الله سبحانه وسائل طيبة للسفر[٣] ولم يكن هذا سوى ثمرة موقف الوفاء للعهد

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٥: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾.

(٢) سورة المؤمنون: الآيتان ١٠٠ ـ ١٠١ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ * لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

(٣) علي بن الحسين، عن البري، عن ابن محبوب، عن الحسين بن نعيم الصحّاف قال: **«سألت الصادق عليه السلام عن قوله: ﴿فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ فقال: عرَّف الله عز وجل إيمانهم بولايتنا، وكفرهم بتركها يوم أخذ عليهم الميثاق وهم ذرّ في صلب آدم عليه السلام».**

والميثاق[1] فاستقرت نطفة في رحم طاهر من أب صالح[2].

ومع هذه الوسائل لم تكن الروح مبتهجة بهذا السفر وكانت تشعر بالوحشة قال دليلي بعد أن رأى دهشتي: أنت لا تدرك الفرق بين العالمين الروح هنا تعيش في عالم مفعم بالصفاء مغمور بالنور.. انظر الى الدنيا انها مكان ضيق غارق في الظلمات. أين هذا المكان من هذا العالم المغمور بالضياء والسلام؟!

بعض الارواح تدرك هذا الفرق فهي لا تحب استبدال الضوء بالظلام والسعة بالضيق..

لكن الارواح عندما تلج عالم الدنيا تنسى عالم الذر وتستأنس شيئاً فشيئاً بالعالم الجديد..

ولو أنك أطلعت على سعة هذا العالم لهتفت: «وضاقت الارض».

وفي النهاية عندما بلغ الجنين شهوراً اربعة حلّت به الروح، ثم بعد خمسة اشهر يدخل عالم الدنيا ويفتح عينيه على هذا العالم الجديد، لكنه ومنذ نعومة اظفاره لم يفكر الاّ بتزكية نفسه وسلوك طريق التكامل الانساني.

ولا تظن انه مجبر على ذلك كلا ولكن ظروف حياته وطهارة نفسه جعلته منسجماً مع أعمال الخير وأن يفي بعهده الذي قطعه على نفسه في عالم الذر.

وهنا أخذ الدليل بيدي الى جبل شاهق، حيث يمكنني من رؤية جميع الاشياء بل وحقائقها أيضاً ورؤية بعدها الملكوتي..

بعض الاماكن في الدنيا وفي بعدها الملكوتي كالجنان التي وصفها القرآن الكريم..

فمثلاً أرض طوس التي تدعى اليوم «مشهد المقدسة» من الاماكن التي تشبه الجنة ولذا لفتت نظرنا منذ اللحظة الأولى.

عندما القيت نظرة بعين ملكوتية على المكان رأيت الامام الرضا عليه السلام

---

(١) المصدر السابق ٥ / ٢٢٦ ح٥.

(٢) المصدر السابق ٦٤ / ١٢٦ ح٢٩، ٦٠ / ٢٠٧ ح٤٠ باب الطينة والميثاق.

الامام الثامن للمسلمين حاكماً قائداً عادلاً طيباً والناس يقصدونه بحاجاتهم وكان يغمر الجميع بعطفه ورحمته..

كان يشفع للمذنبين ويطهرهم من الآثام[1].

وفي هذا العالم عالم المكاشفة عندما تأملت فيه رأيته خبيراً بمعادن الناس وجواهرهم فإذا جاءه انسان جاهل وبيده خاتم ثمين جداً لا يعرف قيمته لكثرة ما تراكم فوقه من الوسخ، أخذه منه وصقله وخلّصه مما تراكم عليه من الدرن[2] ثم أعاده الى صاحبه قائلاً: ان هذا خاتم ثمين للغاية وأنا أعرف له مشترياً ثرياً يأخذه منك بأعلى قيمة فان رغبت ببيعة ادلّك عليه[3].

وهنا أرى بعضهم يفهم كلامه ويصغي الى نصحه وبعضهم لا يفهم فهو معرض لا يكاد يفقه شيئاً، فالذين يصغون ويفهمون يبادرون الى البيع وقد ربحت تجارتهم.

وأهل المعرفة يدركون ان ذلك الخاتم ما هو الآ الروح والنفس الانسانية وما الادران والوسخ سوى الآثام والمعاصي، التي لا تتراكم الا بسبب الجهل فإذا بادر ذلك الانسان الى زيارة الامام (الرضا) غفر الله ذنوبه وأما الذي يشتري بالثمن الجزيل فهو الله سبحانه وتعالى[4].

وذهبت الى أحد الذين لم يصغوا لكلام الامام وقد غُفرت ذنوبه ولكن بصيرته لم تتفتح ذهبت اليه لأستطلع حاله.

فإذا به يعود الى نفس المستنقع الذي جاء منه وقد تلوث من جديد

---

(١) سورة النساء: الآية ٦٤: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾.

(٢) امير المؤمنين عليه السلام: **«ألا فمن زاره في غربته غفر الله له ذنوبه ما تقدم منها وما تأخر ولو كان مثل عدد النجوم وقطر الامطار وورق الاشجار»** بحار الانوار ٤٩ / ٢٨٧ ح١١، جامع أحاديث الشيعة/ كتاب المزار / ٩٠.

(٣) سورة الصف: الآية ١٠: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

(٤) سورة التوبة الآية ١١١: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾.

بما تطهر منه في زيارته، وعندما يتلوث الفيروز بالوسخ والدرن تهبط قيمته وكذا روح الانسان اذا ما تراكمت عليها الآثام والمعاصي فهي تنتهي الى مصير بائس[1].

وكانت الملائكة تحف بالمكان الطاهر وتطوف حوله وكانت بركات الله تغمر هذه الجنة وافواج من ارواح الانبياء تهبط ثم تعرج الى السماء[2].

رأيت الامام الرضا يبتسم وهو يغمر محبيه الذين جاؤوا من كل حدب وصوب لزيارته ويعدهم برد الزيارة في أماكن يحتاجونه فيها[3].

قال دليلي: كأنك لا تريد الخروج من هذه الجنة.. اعرف انك منشد اليها مبتهج فيها ولكن التأخر هنا يعني فوات الفرصة في متابعة ما جئنا من أجله..

قال هذا وأخذ بيدي الى جبل شاهق آخر يطل على جميع الاشياء.

قال لي: انظر الى هذه الجهة فسترى جنة أخرى اسمها الظاهري كربلاء حيث مرقد سيد الشهداء[4].

ان تراب هذا المكان وفيه شفاء وبركة وانطلقت مع دليلي الى المكان المقدس وكانت ليلة جمعة وبالرغم من الظلام الدامس الذي يغمر الوجود، الاّ ان تلك البقعة كانت مغمورة بالنور كشمس في منتصف الليل فكانت الاضواء تدعو المسافرين للضيافة، سألت دليلي: كأن احتفالاً هنا؟

قال: أجل هذا الاحتفال يقام كل اسبوع ليلة الجمعة وأنك لترى الانبياء جميعاً يحضرون.. ولو انفتحت بصيرتك لرأيت الله بقلبك ورأيت رموز العالم[5].

---

(١) سورة الروم الآية ١٠: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

(٢) جامع أحاديث الشيعة/ كتاب المزار باب ٩٠.

(٣) المصدر السابق / ٥٩٤ ح٤، ٤٩٩: الامام الرضا عليه السلام: **«من زارني على بعد داري آتيه يوم القيامة في ثلاثة مواطن حتى اخلصه من أهوالها، اذا تطايرت الكتب يميناً وشمالاً وعند الصراط وعند الميزان»**.

(٤) المصدر السابق / ٥٧٦ باب ٨٦.

(٥) جامع أحاديث الشيعة / كتاب المزار / ٤٢٦ باب ٥٢.

ودخلنا تلك الجنة حيث الانبياء والاولياء؛ وترى الملائكة واقفة تحيي الداخلين وشبان بني هاشم واصحاب الحسين نجوم الحفل السماوي يحيون الانبياء.

وقد جلس سيد الشهداء على سرير وعن يمينه ابنه علي الاكبر وشماله أخوه أبو الفضل العباس.

وكان المكان مغموراً بالبركات الالهية وهي تفيض على القلوب وتدخل فيها السلام وسيد الشهداء لا ينفك يغمر زائريه بالمحبة والدفء[1].

وأُلهمت ان الله سبحانه يستجيب دعائي إذا دعوت ويعطيني منيتي إن سألت[2].

ووددت ان أبقى الى ما لا نهاية في هذا المكان الزاخر بالصفاء والحب والطمأنينة، ولكن دليلي كان يأخذني الى جنة أخرى هي جنة «البقيع» في المدينة المنورة حيث ضريح سيدنا ونبيّنا محمدﷺ.

ورأيت قبة من النور تسطع فوق الجنة[3] ورأيت في تلك البقعة المباركة كثيراً من الانبياء والاولياء.

وكان سبط النبيﷺ الحسن المجتبى والامام السجاد وابنه الباقر وحفيده الصادق يستقبلون الزوار والملائكة ترحب وتحتفي بهم.

ورأيت النبيﷺ وابنته الزهراء يقضيان حوائج الزائرين وكان شذى أهل البيت يدور في الفضاء ويملأ المكان الطاهر[4].

وادركت ان هذا المكان من أعظم بقاع الوجود وان من زاره كمن زار عرش الله، لما تضمن من ارواح أهل البيت الطاهرين.

وانطلق بي الدليل الى قرب «الكوفة» الى «النجف الأشرف».

---

(١) المصدر السابق / ٣٦٤ باب ان الحسين ينظر الى زواره وهو أعرف بحالهم وباسمائهم وبدرجاتهم ومنزلتهم عند الله.

(٢) المصدر السابق / ٥١٦ باب استحباب الاكثار من الدعاء وطلب الحوائج عند قبر الحسينؑ فان الدعاء عند قبته مستجاب..

(٣) المصدر السابق / ٢٧٦ باب فضل الاقامة بالمدينة المنورة.

(٤) المصدر السابق / كتاب المزار / ٢٨٢ باب ما ورد في ان مكة حرم الله والمدينة حرم رسول الله..

وقال دليلي: انظر الى هذا الوادي الزاخر بالانوار.

ثم اشار الى جهة فنظرت فرأيت أميرالمؤمنين علياً في هيبة وجلال وقد انعكست عليه أنوار السموات[1].

وأخذتني الرجفة وكدت انسى ذكر ربي فقال دليلي قل:

«الله أكبر الله أكبر أهل الكبرياء والمجد والعظمة، الله اكبر أهل التكبير والتقديس والتسبيح والآلاء الله اكبر مما خاف واحذر، الله اكبر عمادي وعليه أتوكل، الله أكبر رجائي واليه أنيب اللهم انت ولي نعمتي والقادر على طلبتي تعلم حاجتي وما تضمره هواجس الصدور وخواطر النفوس، فأسألك بمحمد المصطفى الذي قطعت به حجج المحتجين وعذر المعتذرين وجعلته رحمة للعالمين أن لا تحرمني ثواب زيارة وليك وأخي نبيك أمير المؤمنين وقصده وتجعلني من وفده الصالحين وشيعته المتقين برحمتك يا أرحم الراحمين».

واردت أن أهفو اليه أعانقه فأمسك بي دليلي وقال: ألا ترى قبة النور فقل: الحمد لله على ما اختصني به من طيب المولد واستخلصني اكراماً به من موالاة الابرار السفرة الاطهار والخيرة الاعلام، اللهم فتقبل سعيي اليك وتضرّعي بين يديك واغفر لي الذنوب التي لا تخفى عليك، انك انت الله الملك الغفار.

وغمرتني رحمة الله وبركاته وحانت مني التفاتة فرأيت عند مدخل الوادي المضيء سيدنا «هود» وسيدنا «صالح».

ورأيت الشهيدين «كميل بن زياد النخعي» و«ميثم التمار» وقد رحب بي الجميع.

وهتفت من أعماق قلبي وقد سطعت في روحي أنوار اليقين:

«الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، الحمد لله الذي سيّرني في بلاده وحملني على دوابه وطوى لي البعيد وصرف عني المحذور ودفع عني المكروه، حتى أقدمني حرم أخي رسول الله ﷺ»[2].

---

(١) بحار الانوار ٢٤ / ١٩١.

(٢) مفاتيح الجنان / الزيارة المطلقة.

آه ما أروع الحياة في هذا الوادي الغارق في السلام.

ارواح المؤمنين حلقات حلقات تتجاذب أطراف الاحاديث.. أحاديث الروح والحقائق العالية[1].

وترى الملائكة تطوف في الوادي الزاخر بالنور ورأيت شاعراً يشدو ويترنم بالثناء على أهل البيت:

أيـهـا الـراكـب الـمـجـد رويـدا بـقـلـوب تـقـلـبـت فـي جـواهـا
ان تراءت ارض الغريين فاخضع واخلـع النعل دون وادى طـواهـا
واذا شـمـت قـبـة الـعـالـم الأعـلـى وانـوار ربـهـا تـغـشـاهـا
فـتـواضـع فـثـم دارة قـدس تـتـمـنـى الافـلاك لـثـم ثـراهـا
قـل لـه والـدموع سـفـح عـقـيـق والحشـا تـصـطلـى بـنـار غـضـاهـا
يـا بـن عـم الـنـبـي أنـت يـد الله الـتـي عـم كـل شـيء نـداهـا
انـت قـرآنـه الـقـديـم واوصـا فـك أيـاتـه الـتـي اوحـاهـا
خـصـك الله فـي مـآثـر شـتـى هـي مـثـل الاعـداد لا تـتـنـاهـى
لـيـت عـيـنـا بـغـيـر روضـك تـرعـى قـذيـت واسـتـمـر فـيـهـا قـذاهـا
انـت بـعـد الـنـبـي خـيـر الـبـرايـا والـسـمـا خـيـر مـا بـهـا قـمـراهـا
لـك ذات كـذاتـه حـيـث لـولا انـهـا مـثـلـهـا لـمـا آخـاهـا
قـد تـراضـعـتـمـا بـثـدي وصـال كـان مـن جـوهـر الـتـجـلـي غـذاهـا
يـا أخـا الـمـصـطـفـى لـديّ ذنـوب هـي عـيـن الـقـذا وأنـت جـلاهـا
لك في مرتقى العلى والمعالي درجـات لا يـرتـقـي ادنـاهـا
لك نفس من معدن اللطف صيغت جـعـل الله كـل نـفـس فـداهـا

وولجت قبة النور وقلت: «**الحمد لله الذي ادخلني هذه البقعة المباركة التي بارك الله فيها واختارها لوحي نبيه اللهم فاجعلها شاهداً لي**».

ثم قلت: «**اللهم لبابك وقفت وبفنائك نزلت وبحبلك اعتصمت ولرحمتك تعرضت وبوليك صلواتك عليه توسلت فاجعلها زيارة مقبولة ودعاءً مستجاباً**».

---

(١) بحار الانوار ٩٧ / ٣٨٥ باب فضل الكوفة.

ورأيت أضرحة الاولياء يغمرها النور وشعرت أن هذا المكان هو حرم الله فقلت:

ورايت ما لا عين رأت ولم يخطر على قلب بشر، فلا استطيع وصفه فلقد رأيت قصوراً من ذهب ورأيت في ذلك القصر علماء الاسلام، فقلت لدليلي كيف أدخل فقال سلّم على رسول الله وقل:

«اللهم ان هذا الحرم حرمك والمقام مقامك وأنا أدخل اليه، اناجيك بما أنت اعلم به مني ومن سرّي ونجواي، الحمد لله الحنان المنان المتطول الذي من تطوله سهل لي زيارة مولاي باحسانه ولم يجعلني عن زيارته ممنوعاً ولا عن ولايته مدفوعاً بل تطول ومنح، اللهم كما مننت علي بمعرفته فاجعلني من شيعته وادخلني الجنة بشفاعته يا آرحم الراحمين».

«السلام على رسول الله أمين الله على وحيه وعزائم أمره الخاتم لما سبق والفاتح لما استقبل والمهيمن على ذلك كله ورحمة الله وبركاته. السلام على صاحب السكينة، السلام على المدفون بالمدينة، السلام على المنصور المؤيد السلام على أبي القاسم محمد بن عبد الله ورحمة الله وبركاته».

قال دليلي:

استأذن رسول الله بالدخول:

فقلت، ودخلت جنّة مفعمة بالسعادة فإذا أنا أرى أميرالمؤمنين جالساً على منبر من نور ورأيت نبي الله آدم ونوحاً والملائكة تطوف افواجاً افواجاً تستقبل الزائرين وتغمرهم بالبركات.

سألت دليلي: لقد رأيت آدم ونوحاً من دون الانبياء في هذا المكان قال لأنهما دفنا هنا وكان نبي الله نوح يعرف بركة هذا المكان وقد كتب على صخرة اسم الامام[1].

---

(١) جاء في زيارة الامام علي عليه السلام في يوم الأحد: **«السلام عليك وعلى ضجيعيك آدم ونوح»** مفاتيح الجنان.

ومن هذه الجنة الوارفة انطلقنا الى جنة أخرى هي الكاظمين وهي في الظاهر بالقرب من بغداد ولكن في عالم الملكوت تفصلها عن بغداد المسافات الشاسعة.

وفي هذا المكان المقدس مثوى امامين هما الكاظم والجواد.

وكانت الانوار تسطع من المكان.

ورأيت في هذه الجنة علماء مثل الشيخ المفيد والطوسي والشريف الرضي وشقيقه المرتضى.. أولهما جامع نهج البلاغة والآخر من فقاء الشيعة المبرزين وكانا يقضيان حوائج الزائرين.

ومن هذه الجنة انطلقنا الى سامراء، حيث ضريح الامامين الهادي والعسكري وهناك السرداب، الذي كان الامامان يتعبدان فيه ثم لجأ اليه فترة من الزمن الامام المهدي وكان المكان يزخر بالانوار اين منها أنوار الشموس!

ثم عدنا الى ذات الجبل الشاهق لنطلع على جنات أُخر فرأيت الكثير الكثير الذي يحتاج الى تفصيل، فكل المساجد كانت تتلألأ بالنور وكانت أضرحة الانبياء هي الأخرى تزهو بالخضرة والنور.

ورأيت أول مسجد بني للناس وهو الكعبة العظمى وكانت أكثر الجنان ازدهاراً وأنواراً وكانت الملائكة والانبياء تحف بالكعبة وتطوف.

ومن هناك انطلقنا الى قم، حيث مرقد السيدة فاطمة بنت الامام موسى الكاظم.

قال دليلي أتعلم لم سميت هذه البقعة بهذا الاسم؟ قلت: لا، واحب ان أعرف.

فأخذني دليلي نحو الماضي الى أكثر من ألف واربعمئة عام الى الزمن الذي عرج فيه سيدنا محمدﷺ الى السماء.

وأخذني الدليل الى رسول الله وسأله عن ذلك فقالﷺ:

«لما أسري بي الى السماء حملني جبريل على كتفه الايمن، فنظرت الى بقعة بأرض الجبل حمراء أحسن لوناً من الزعفران واطيب ريحاً من المسك، فإذا فيها شيخ على رأسه برنس (قلنسوة طويلة).

فقلت لجبريل ما هذه البقعة الحمراء التي هي أحسن لوناً من الزعفران واطيب ريحاً من المسك؟

قال: بقعة شيعتك وشيعة وصيّك علي. فقلت: من الشيخ صاحب البرنس؟ قال: ابليس. قلت فما يريد منهم؟ قال: يريد أن يصدّهم عن ولاية أميرالمؤمنين ويدعوهم الى الفسق والفجور.

فقلت: يا جبريل أهوِ بنا اليهم.. فأهوى بنا اليهم اسرع من البرق الخاطف والبصر اللامح.

فقلت: قم يا ملعون! فشارك أعداءهم في أموالهم وأولادهم ونسائهم، فان شيعتي وشيعة علي ليس لك عليهم سلطان فسميت قم[1].

ويقول الامام الصادقعليه السلام: «سميت قم لأن أهلها يجتمعون مع قائم آل محمد ويقومون معه ويستقيمون عليه وينصرونه» [2].

وقم حرم آل محمد وستكون في آخر الزمان عشاً لذرية فاطمةعليها السلام وشيعة علي بن أبي طالبعليه السلام.

ورفع الستار فجأة فرأيت هذه البقعة المباركة، حيث مرقد فاطمة بنت الامام موسى الكاظمعليه السلام رأيتها جنة حيث الملائكة وحور العين.

وكانت الملائكة تطوف وأفواج تهبط وأفواج تعرج الى السماء، وكلما عرج الى السماء فوج من الملائكة، هبط فوج آخر وقد زخر الفضاء باجنحتهم.

وقد رأيت الارض مليئة بالجنات ولو دقق الانسان النظر، لاكتشف الجنّة في هذه الدنيا.

قال لي معلمي:

قال لي دليلي يوماً في عالم المكاشفة: لنذهب الى ذات الجبل الشاهق الذي ذهبنا اليه من قبل ورأيت العالم بأسره من فوق.

هلم هذه المرّة لأريك البقاع الملعونة واماكن الجحيم في هذا

(١) بحار الانوار ٦٠ / ٣٢٨ ح٨٢، ٥٧ / ٢٠٧.

(٢) المصدر السابق ٥٧ / ٢١٦.

الكوكب.. سوف أريك هذه البقاع في بعدها الملكوتي لترى كيف تكتسب الارض جحيمها.

ثم قال: انظر جهة اليسار وأشار الى جهة في البعيد وعندما امعنت النظر رأيت البصرة التي ورد لعنها على لسان علي[١].

ان هذه الأرض في بعدها الملكوتي بمثابة جحيم يعيش أهلها في عذاب دائم.

ثم اشار الى جهة أخرى فرأيت صحراء ورأيت حضرموت هناك جحيماً آخر حيث وادي العذاب ومكان ارواح الكفار[٢].

ورأيت مقابر الكفار والمشركين تستعر ناراً وبعضها يموج بالأفاعي والعقارب.

وهنا وضع الدليل يده على صدري، فانفتحت بصيرتي حتى سمعت الجمادات والنباتات والحيوانات تسبح لله وتحمده بلغة لا يفهمها البشر[٣].

قال لي معلمي:

ذات يوم أخذني دليلي الى عالم الدنيا وأراني البعد البرزخي للناس فرأيت أكثرهم حيوانات وحشية ونصف أهلية وكان بعضهم حشرات.

رأيت بعض الناس عقارب فسألت دليلي عن ذلك فقال: هؤلاء ناس اعتادوا الايذاء وديدنهم النميمة والتجسس، فكانت صورهم البرزخية بهذه الهيئة[٤].

ورأيت جمعاً آخر خنازير وقال دليلي: هؤلاء ناس خلطوا الحلال بالحرام حتى لم يعودوا يعرفون الفرق بينهما، فهم كبني اسرائيل فكانوا يأكلون ما حرّم عليهم ربهم.

ورأيت البعض يتصوّر نفسه كبيراً وهم موجودات لا فائدة منها ولا

---

(١) المصدر السابق ٦٠ / ٢٠٤.

(٢) المصدر السابق ٦٠ / ٢٠٦.

(٣) سورة الاسراء: الآية ٤٤: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾.

(٤) بحار الانوار ٦٢ / ٢٢٢ ح٤.

فن لهم سوى ايذاء الناس واخلاقهم والزنى واللواط فصارت هيئتهم بصورة الفيلة[1].

ورأيت بعضهم كالبعوض يميلون مع كل ريح وهؤلاء ممن يسخرون بالانبياء والاولياء.

وبعضاً رأيت ضفادع وهم من يشتمون أولاد الانبياء ويعادون الطيبين.

ورأيت نساءً عناكب وهن من يؤذين ازواجهن ولاهمّ لهن الاّ بهرج بيوتهن.

ورأيت شباباً طووايس وهم ممن يخدعون النساء المحصنات بجمالهم واناقتهم، فهم مغرورون بما بحظهم من الجمال[2].

ورأيت فريقاً منهم بهيئة الفئران والجرذان وهؤلاء كانوا يجمعون المال ويؤذون الناس[3].

ورأيت حشداً بهيئة الزنابير وكانوا قصّابين لحامين يلسعون الناس ويؤذونهم[4].

وظللت مشدوهاً بما أرى، كما يبهت المرء اذا رأى حديقة الحيوانات لاول مرة.

وفي هذه الاثناء قال دليلي: انظر الى هذه القردة واعتبر ولما نظرت رأيت العجائب كانت قردة بوجوه آدمية وهؤلاء هم من يستخدمون الحيل الشرعية للوصول الى مآربهم فهم عبيد الدنيا فاصبحت سيرتهم سيرة قردة حقيرة[5].

---

(١) المصدر السابق: ٦٢ / ٢٢١ ح٣.

(٢) المصدر السابق ٦٢ / ٢٢٩ ح١٣.

(٣) المصدر السابق ٦٢ / ٢٢١ ح٣.

(٤) المصدر السابق ح٢.

(٥) المصدر السابق ٦٢ / ٢٢٢ ح٤.

(٦) قال تعالى: ﴿وَسْئَلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ﴾ فانها قرية كانت لبني اسرائيل قريبة من البحر، وكان الماء يجري عليها في المدّ والجزر، فيدخل أنهارها وزروعهم ويخرج السمك من البحر حتى يبلغ آخر زروعهم، وقد كان الله حرّم عليهم الصيد يوم السبت، فكانوا يضعون الشباك في الأنهار =

وكان من بني اسرائيل من يفعل ذلك[1].

وكان بعض تلك القردة كبيراً في الحجم وهؤلاء همهم في الدنيا اللعب واللهو وممن اتخذوا دينهم هزواً.

ورأيت بعضاً منهم في اشكال أخرى وهؤلاء الغارقين في غفلتهم وقد نسوا الآخرة والمعاد ويوم القيامة.

ورأيت البعض دبة وهؤلاء هم البلداء وشغلهم كان السطو والخيانة والعدوان على أموال الناس وخاصّة على أموال الحجاج[2].

ورأيت ارانب وكانوا نساءً يخن أزواجهن ولا يقمن بما أوجب الله عليهن من الدين.

قال لي معلمي:

أخذني دليلي في عالم المكاشفة ذات يوم الى مكان من عالم البرزخ يشبه البحر، لأرى سيرة بعض الناس من الذين تنكروا لانسانيتهم حتى أبغضهم الناس ونفروا منهم.

وهؤلاء هم الانانيون ممن يرون أنفسهم أفضل العالم كله فهم لا يرون سوى أنفسهم وذواتهم.

فوقفت مع دليل على الساحل نراقب حياة انسان في الظاهر ولكنه استحال الى افعى بحرية وكان هذا نماماً ديوثاً وكافراً برسالات الانبياء[3].

ورأيت في هذا البحر البرزخي نساءً في اشكال حيوانات بحرية وكان

= ليلة الأحد، ويصيدون بها السمك، وكان السمك يخرج يوم السبت ويوم الأحد لا يخرج وهو قوله: ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾. فنهاهم علماؤهم عن ذلك فلم ينتهوا فمسخوا قردة وخنازير. وكان العلّة في تحريم الصيد عليهم يوم السبت أن عيد جميع المسلمين وغيرهم كان يوم الجمعة فخالف اليهود وقالوا: عيدنا السبت فحرّم الله عليهم الصيد يوم السبت ومسخوا قردة وخنازير ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾﴾ الميزان ١٤ / ٥١ ـ ٥٢.

(١) المصدر السابق ٦٢ / ٢٢٢ ح٤.

(٢) المصدر السابق ٦٢ / ٢٢١ و٢٢٩ ح١٤.

(٣) المصدر السابق ٦٢ / ٢٢٣ و٢٢٤.

عملهن الخداع وفتنة الناس الطيبين يراودن الرجال! [1].

ورأيت في البحر سلاطين الجور من الذين يثقلون شعوبهم بالضرائب ويقهرون رعيتهم وكانوا في شكل حيوان يدعى «سهيلا» [2].

وقال دليلي انك لو نظرت الأرض ببعد ملكوتي، لرأيت اكثر أهلها بهذه الاشكال التي رأيت هنا.

قال لي معلمي:

وفي إحدى مكاشفاتي أخذني الدليل الى حيوان يعبده أهل الدنيا، وأراني سيرته..

وأراد دليلي أن يربيني ويؤدبني فقال: انظر الى هذه الحيوانات في حظيرتها.

وكانت الحظيرة في ظاهرها قصراً لأحد الأعيان من أصحاب النفوذ والسطوة، فرأيت ماضيه ومستقبله مثل شريط سينمائي ولم يكن في بيته ذرة من الانسانية والروح ورأيت في المكان حيوانات بل أدنى مرتبة من الحيوانات فالحيوانات لا تعرف مراسم الاستقبال والتشريفات.

ليس لهم من الأخلاق شيء ولا من العاطفة الانسانية ولا يعطف كبيرهم على صغيرهم ولا صغيرهم يحترم كبيرهم.

وهم في نزاع دائم مع أزواجهم يؤذون جيرانهم ويحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ولا قيمة للمرء في أعينهم الاّ بمقدار ما يملك من الذهب والجواهر.

فمن يملك منهما الكثير حاز من التبجيل اكثر من غيره، وكان كبيرهم وقد اجتاز السبعين لاهم له الاّ تدخين الحشيش والافيون واستمتاعه باللذائذ فهو في غفلة عما ينتظره من الموت وما بعد الموت غارقاً في غفلته.

ولو أنك ذهبت فرأيت ماذا تفعل القردة في أقفاصها لانطبق ما تفعله هذه الحيوانات على هذا الصنف من البشر فالقردة لا هم لها ولا غم الاّ الاكل والشرب ولا يعني لهم الماضي شيئاً ولا المستقبل.

---

(١) المصدر السابق ٦٢ / ٢٢٥.

لا يعرفون من أين جاؤوا ولماذا جاؤوا والى أين المصير! وما حياتهم الاّ حياة القردة في اقفاصها تقوم بحركات بهلوانية يضحك منها الاطفال.

واقسم بالله لقد رأيت حياة هؤلاء الاعيان، كما نرى القردة في اقفاصها، وهم في حياتهم الدنيوية محل تبجيل واحترام ممن لا يرى بعين البصيرة حقائقهم.

أهل الدنيا يغبطونهم وحقائقهم تدعو الى الأسف، ذلك ان الانسان عندما يخسر انسانيته فلا يعوضه شيئ من زخارف الدنيا الزائلة.

وغادرنا ذلك المكان وأهله، لنذهب صوب حياة أحد المتنفذين من الذين لا عاطفة في قلوبهم فكل همه التدرج في المناصب ولو على جماجم الابرياء.

فأول ما رأيناه كان في صورة ذئب جائع، يتربص بالناس الدوائر قد كشّر عن انيابه وقد تحفز لافتراس ضحاياه، ولم يبق من انسانيته شيئ فقد اصبح حيواناً كاسراً في جوع دائم.

قلت لدليلي: ما اشقاه لقد استحال الى ذئب ليس له من صفات الانسانية شيء.

قال دليلي: انك لم تر الاّ جزءاً لا يحتسب بالنسبة الى بشاعته.

لأن الذئب كحيوان لا يستطيع ان ينزل من الظلم والرعب في نفوس الناس مثلما يصنع هذا الانسان.

ان الاطفال والنساء والابرياء في رعب دائم منه فهو يفترس الناس ولا يشبع فتراه منهوماً شرهاً فاتحاً فمه مكشراً عن أنيابه يطلب المزيد من الضحايا.

وقال دليلي: سآخذك الى مكان آخر نعتبر منه، أهله في غفلة عما يراد بهم.

فأخذني الى مكان لا أعرف موقعه ولكني رأيت آلاف الحيوانت وقد كانوا أناساً مضللين وقد اصيبوا جرّاء الادران المتراكمة برمد في بصائرهم حتى انهم لا يرون أجلى شيء في الوجود هو الله تبارك وتعالى.

لا يعرفون من الدنيا سوى الأكل والشرب وممارسة الفعاليات الحيوانية، ولو أنهم أزاحوا الحجب عن بصائرهم والادران عن قلوبهم، لرأوا الله عز وجل فتعلقوا به ولكتب لهم الخلاص مما هم فيه من الشقاء.

قال دليلي انه رسول الله وهو طبيب الارواح والقلوب، سعى في علاجهم ولكن هؤلاء الاشقياء يأبون العلاج.

قلت: اين هذا المكان وما أهله؟ قال: هذه بلدان الشيوعيين حيث يساق الناس هنا الى الشقاء والنظر الى الحياة بعين مفقوءة.

واطلق دليلي آهة حرّى وتجمعت في عينيه الدموع ثم قال: ان قلبي يتصدّع من أجل هؤلاء الناس فلا هم من غفلتهم يستيقظون ولا هم للعلاج يقبلون.

وسكت قليلاً ثم قال: أتريد أن تعرف متى بدأ شقاؤهم؟

قلت: احب أن أعرف ذلك. فقال: فاصغ اذن وما سأقوله لك هو في بعده الملكوتي فقط.

قال لي معلمي:

وأخذني الدليل الى فترة ظهور الاسلام واشار الى جبل «النور» يوم كان سيدنا محمدﷺ قد بلغ الأربعين من عمره الشريف.

ورأيت في غار «حراء» ينابيع من ماء الحياة تجري من قلب الرسولﷺ. كان جبريل يخاطبه:

﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾.

ان مشيئة الله سبحانه قد اقتضت أن يتدفق النبع ويفيض على الدنيا بالخيرات.

وكان أول قلب يتفتح للنبع قلب علي بن أبي طالبعليه السلام ثم خديجة ثم راح يجري بين أودية قلوب العالمين.

وكان النبي طبيباً همّه علاج جميع أمراض الروح وجميع مرضى العالمين.

وحتى لا تضل الانسانية طريقها الى النبع الالهي، فقد جعل له من بعده وصياً هو علي ومن بعد عليّ ذريّته من فاطمة وهم أحد عشر كوكباً.

أما موسم المطر الغزير، فسوف يأتي عند ظهور الامام المهدي وهو الامام الثاني عشر حتى يعم الخير جميع ربوع العالم وتصل الانسانية الى هدفها المنشود في العدل والخصب والسلام.

المتحف الملكوتي للحيوانات

قال لي معلمي:

وأخذني دليلي الى المتحف الملكوتي للحيوانات حيث حيوانات العالم العجيبة..

كنت فيما مضى لا أعرف الآ ان الحيوانات ليس لها في الحياة الآ الأكل والنوم والتكاثر.

غير أني اكتشفت أن لكل حيوان نوعاً من العلاقة مع الله سبحانه وهو يتمتع بمستوى من الادراك والشعور وهم مثل الناس يعيشون امماً[1].

فهي أمام الله خاضعة طائعة تسجد له[2] وتسبح بحمده وتدعوه[3] والطير مسخرات وقد سخرت لبعض الانبياء كداود وسليمان[4].

كل يسبح له وإن غفل بعضها وقع في أسر الصياد.

واليك ما يقوله بعض الحيوانات:

فالفاختة تقول: ليت الخلق لم يخلقوا.

والطاووس يقول: كما تدين تدان.

والهدهد يقول: من لا يرحم لا يرحم.

والببغاء تقول: كل حي ميت وكل جديد بالٍ ويل لمن الدنيا همه.

والخطاف (السنونو) يقول: قدموا خيراً تجدوه.

والحمامة تقول في هديلها: سبحان ربي الأعلى ملئ سماواته وأرضه.

---

(١) سورة الانعام: الآية ٣٨: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾.

(٢) سورة النحل الآية ٤٩: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾.

(٣) سورة النور الآية ٤١: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ﴾.

(٤) سورة الانبياء: الآية ٧٩ ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ﴾.

والقمري يقول: سبحانه ربي الأعلى.

والحداة تقول: كل شيء هالك الاّ وجهه.

والقطا يقول: من سكت سلم.

والضفدع يقول: سبحان ربي القدوس.

والباز يقول: سبحان ربي وبحمده.

والدراج يقول: الرحمن على العرش استوى(١).

ثم قال دليلي: اليوم هو يوم الجمعة فاصغ الى ما تقول الطيور.

ثم أخذني دليلي الى زمن بعض الانبياء وأولياء الله وقال: انتبه الى ما تقوله الحيوانات.

فانطلقنا الى ملك سليمان عليه السلام وكان يتأهب مع جيشه للسير...

﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾(٢).

---

(١) سورة النمل: الآية ١٦ ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ﴾.

(٢) سورة النمل: الآيات ١٧ ـ ٢٧.

سكرات الموت وعالم البرزخ

قال لي معلمي:

وأخذني دليلي الى «سكرات الموت وعالم البرزخ» وما يجري هناك وأنا أنقل لك مكاشفاتي وما عليك الاّ أن تصغي وتتأمل لتستطيع أن تدرك وتكتب للناس أو تقول لهم عن عوالم سوف يراها الجميع إن عاجلاً أم آجلاً.

قال لي معلمي:

في البداية أخذني الدليل الى ملك كبير من الملائكة وهو «عزرائيل» لأعرف طبيعة عمله...

ان مكانه في السماء الثالثة[1] كان جالساً وقد بدا مهيباً يشع بالنور، إنه من العظمة بحيث تبدو كرة الأرض أمامه مثل كأس أو مسكوكة في قبضته[2].

وأمامه طومار فيه اسماء البشر وهو منتبه الى الطومار المضيء[3].

انه مستغرق في عمله لا يفتر أبداً، يقبض أرواح البشر بحسب آجالهم التي كتب الله لهم[4].

والى يمينه وشماله اصطفت أفواج من الملائكة تنتظر أوامره أما هو

---

(١) بحار الانوار ٥٦ / ٢٥٢ ح١٢، ٦ / ١٤٢ ح٣.

(٢) المصدر السابق ٦ / ١٤٤ ح١٣.

(٣) المصدر السابق ٦ / ١٤٢ ح - ٣.

(٤) ان قبض الروح لا يعني فقط تلك الضغوط التي يتعرض لها البدن أثناء نزع الروح وانما انفصال الروح بأي سبب مرضاً كان أو حادثة من قبيل حوادث الدهس.

فقد بدا قائداً مرهوب الجانب، يصدر أوامره الى جنوده ويرسلهم[1] لقبض الارواح التي انتهت آجالها وانقضت مدّة وجودها في الابدان، وعملهم هذا انما هو طاعة لله سبحانه[2].

وهذا الطومار لا يحتوي فقط مدّة الأجل وانما نتيجة العمل ومصير الانسان شقاءً أم سعادة.

فإن كان الانسان مؤمناً كان سعيداً وكان مصيره النعيم أرسل اليه ملائكة الرحمة لقبض روحه[3].

أما إن كانوا اشقياء كفاراً فيرسل اليهم ملائكة العذاب تنزع أرواحهم انتزاعاً[4].

وربما ذهب بنفسه لقبض روح عظيم[5].

وأنا ودليلي اتخذنا قراراً أن نرافق مرّة ملاك العذاب ومرّة أخرى ملاك الرحمة ومرّة ثالثة نرافقه هو شخصياً، فننطلق صوب الأرض ونرى عن كثب عملهم ومأمورياتهم.

لذا رافقنا أحد ملائكة العذاب وهم كثيرون جداً.

ففي كل مرّة ينبعث مئات الملائكة بأمر من «عزرائيل» وسرعتهم هائلة جداً وقد رافقنا أحدهم فما أسرع ما وصلنا الأرض ودخلنا منزل أحد الظالمين من الذين حان أجلهم.

فوجدنا عنده مأموراً من قبل الشيطان، يريد المزيد من فتنته وشقائه رأيناه جالساً عنده ويمنّيه الامنيات الطوال ويضرم حب الدنيا في قلبه.

كان يقول: أنت لن تموت الآن وسوف تنجو من هذا المرض فلا تعتذر عمّا بدر منك من أعمال الظلم[6].

---

(١) المصدر السابق ٦ / ١٤٢ ح٦.

(٢) سورة النحل: الآية ٥٠: ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.

(٣) سورة النحل: الآية ٣٢ ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾.

(٤) سورة النحل الآية ٢٨: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾.

(٥) بحار الانوار ٦ / ١٤٢ ح٦.

(٦) المصدر السابق.

وعندما وقعت عين الشيطان على ملك الموت ولّى هارباً، ورأيت هذا الملك لحظة شروعه بالعمل قد اربد وجهه وقد بدا غاضباً، حتى يصعب النظر اليه وكان في يده سوط ورائحة كريهة تنبعث منه وهو يرتدي حلّة سوداء والنيران تنبعث من فمه وانفه واذنيه(١).

وعندما وقعت عيني على الأولياء رأيتهم جميعاً ينظرون بغضب جهة المسجّى وكان الشيطان يرقص مبتهجاً بالمصير الأسود لابن آدم هذا.. ان جهوده لم تذهب سدى في تضليل هذا الكافر وسوقه نحو المصير الأسود الذي ينتظره.

ملك الموت بدأ عمله بقبض روحه فكأنه يقرضه بالمقراض قرضاً وكان ينتزع روحه من كل خلية في جسده انتزاعاً.

قال الملك: أين كنت في هذه الدنيا وفيم كنت؟ ويبكي الكافر ويتوسل ويتضرع الاّ يقبض روحه يقول له مبرراً ما سلف من أعماله: لم يكن أحد يهتم بتربيتي ويعرّفني الحقائق.

ويقول الملك: اليست أرض الله واسعة؟ ألم يكن بوسعك الهجرة لتعرف الحقيقة..

ان الطريق الذي سلكته في حياتك لا يؤدي الاّ الى جهنم وبئس القرار(٢).

ثم ينهال الملاك بالسوط على وجهه وظهره ويقول ذق العذاب الذي كنت تكذب به(٣).

ويستمر النزع لأن الكافر مشدود الى الدنيا لا يريد فراقها ثم يزداد تشبثه بها، لأنه يرى ما ينتظره من مصير أسود وعذاب شديد.

---

(١) المصدر السابق ٦ / ١٤٣.

(٢) سورة النساء: الآية ٩٧: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾.

(٣) سورة الانفال: الآية ٥٠: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾. سورة محمد: الآية ٢٧: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾.

وتركنا المكان والكافر في النزع الأخير يتعذب تحت سياط الملك ليذيقه أهوال المصير الذي غفل عنه طوال حياته وكان هذا جزاء الكافرين[1].

ثم عدت مع دليلي الى السماء لنرافق أحد ملائكة الرحمة وهو يستعد لمأموريته في قبض روح انسان مؤمن.

فعدنا الى الأرض كلمح البصر وكان على الملك أن لا يقبض روح ذلك المؤمن حتى يرضى هو بذلك[2].

ولذا فان أول شيء قام به الملك بعد أن ولج المنزل هو أن القى السلام[3] ثم وقف ازاءه كما يقف العبد عند سيده ورأيت الملك وقد تجلى في ابهى صورة[4].

وفاح منه شذا وعبير أين منه شذا ورود الربيع! اشار دليلي الى جهة فرأيت خمسمئة من الملائكة يحملون باقات الورود وقد وقفوا صفا[5] فوج يرتدي بعضهم حلّة خضراء وقد علت الجميع ابتسامات مشرقة تشع بالأمل لهذا المسجّى وهو في انفاسه الأخيرة من الدنيا[6].

وكان الشيطان الاكبر ابليس قد وقف بعيداً وهو يطلق صرخاته الحاقدة وقد تحلق حوله اتباعه من الجن يقولون: يا زعيمنا لماذا الصراخ؟ فيقول لهم: أما ترون كيف يُستقبل ابن آدم هذا؟! أما ترون الملائكة تحف به تأخذه الى عالم آخر؟ فماذا كنتم تفعلون؟

قالت الشياطين: لقد مكرناه وخدعنا وزيّنا له الشر وأغويناه ولكنه كان يطردنا ولا يصغي لنا أبداً[7].

---

(١) بحار الانوار ٦ / ١٤٣ ح٨.

(٢) المصدر السابق ٦ / ١٦٢ ح٣١، ٣٢.

(٣) سورة الاحزاب: الآية ٤٤: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾.

(٤) بحار الانوار ٦ / ١٧٢ ح٥٢.

(٥) المصدر السابق ٦ / ١٦١ ح٢٩.

(٦) المصدر السابق ٦ / ١٦١ ح ٢٩، ٦ / ١٧٢ ح٥٢.

(٧) المصدرالسابق ٦ / ١٦١ ح٢٩.

وقال دليلي: انظر الى زوّاره.

فنظرت فاذا كوكبة من أرواح أولياء الله يتخذون أماكنهم في الغرفة يتحدثون الى ذلك المؤمن بودّ ومحبّة[1].

ونظر المؤمن الى الملك وقال له: من أنت وما تريد؟

قال الملك: أنا ملك الموت الموكل بقبض روحك وقد جئتك لأستأذنك في ذلك، فتلتحق بأولياء الله وقد أمرني الله بطاعتك فأمرني تجدني مطيعاً[2].

فرأينا الرجل المؤمن يرتاع من سماع الموت فلم يأذن له بذلك، لذا قال الملك ان رغبت عن ذلك فلا بأس سوف لن تموت وتبقى الى الأبد حيا[3] ذلك أن الله يكره لك ما تكره لنفسك ولا يريد أن يدخل عليك الحزن[4]. ولان كل شيء بيد الله سبحانه فانه قادر على أن يبقيك حياً الى الأبد.. إنني رهن اشارتك ولكن قبل أن تتخذ قرارك انظر الى الدنيا ألا تراها سجناً مظلماً ضيقاً ألا تريد أن تغادر هذا المكان المظلم، الى حيث الروح والريحان والى جنات تجري من تحتها الانهار؟! انظر الى هذه الحدائق الغناء انها لك[5].

ونظر الرجل وهو في حالة احتضار الى حيث أشار الملك، فرأى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولم يخطر على بال بشر.

ونظرت الى حيث نظر الرجل فرأيت بستاناً لا نظير له وكان ممتداً واسعاً وقد تخللته قصور منيفة وكانت الحوريات والغلمان ينتظرون بفارغ الصبر مقدم صاحب القصر.

قلت لدليلي: ما له لا يسرع بالرحيل فينجو من سجن الدنيا؟

قال: لا تعجل سوف يوافق على السفر.

---

(١) المصدر السابق ٦ / ١٦٢.

(٢) المصدر السابق ٦ / ١٦٢.

(٣) المصدر السابق ٦ / ١٥٣ ح٧.

(٤) المصدر السابق ٦ / ١٥٢ ـ ١٦٠، ح ٥، ٧، ١٢، ٢٤، ٢٥.

(٥) المصدر السابق ٦ / ١٦٣.

كان الرجل ما يزال متردداً لا يدري ماذا يفعل! وفي هذه اللحظة تقدم ملكان يحملان اغصان الريحان الزكية وقد فاح عبير طيب، فقدما اليه طاقة الرياحين فلما شمّ النسيم المعطور، رأيته يبتسم برضا ويتأهب للرحيل بل كان على عجلة من أمره.

سألت دليلي: ما هذا الذي قدمه الملكان للرجل؟ وما سرّ العطر الذي فيه؟ حتى غيّر موقفه بهذه السرعة؟

قال دليلي: اسم هذا النبات «منسيّة» وفائدته أنه اذا شمه الانسان ينسى اسرته وكل ما يشدّه الى الدنيا ويمنعه من السفر الى الآخرة.

فهذا الرجل لا يود الموت لأنه لا يحب فراق الأهل والأصدقاء[1].

واسم النبات الآخر «المسخية» وفائدة استشمامه هو أن الانسان يسخو بالدنيا ويزول حب الدنيا عن قلبه[2].

ان الموت بالنسبة للانسان المؤمن بمثابة خلع رداء قذر مثقل بالادران وارتداء حلّة بهية، أو أنه مثل الخلاص من الأغلال والسلاسل التي تقيد يدي الانسان المؤمن وقدميه، فيمتطي مركبة تنطلق به الى الحرّية وأن الموت للانسان المؤمن كالنائم يصحو من نوم مليء بالكوابيس طويل.

عندما دققت النظر في وجه المحتضر رأيت بعض القلق ما يزال يرتسم على محياه.

قلت لدليلي: والآن لماذا هذا القلق؟

قال دليلي: لا تظن ان الانسان المؤمن خال من الذنوب فقلقه من عاقبة ما اكتسبه في الحياة الدنيا أن يؤاخذ عليها ويحاسب فهو بين خوف وخجل مما فعل وهنا رأينا ملك الموت يبشره ان الموت سيكون له كفارة عن الذنوب[3].

وان الله سبحانه قد بدّل سيئاتك حسنات فلا تخش شيئاً!

وهنا رأيت الرجل يستعد للموت دون تردد، فيتقدم منه الملك ويقبض

---

(١) المصدر السابق ٦ / ١٥٩ ح٢٠، ٢٢.

(٢) المصدر السابق ٦ / ١٥٢ ح٥، ٦ / ١٥٣ ح٧.

(٣) المصدر السابق ٦ / ١٥١ ح٣، ٦ / ١٥٧ ح١٤، ٦ / ١٥٥ ح١٠.

روحه، وقد فاحت منه رائحة زكية[1].

ورأيت ذلك الرجل كما الظامئ يجد ماءً عذباً يرتوي منه ويطفىء غليله[2] وقد استقبلته ارواح بني قومه من المؤمنين الطيبين، لترافقه في رحلة ما بعد عالم الدنيا الى عالم ربيعي[3].

وعدنا في عالم المكاشفة أنا ودليلي الى السماء وتشرّفنا بلقاء «عزرائيل» لنرافقه في رحلته الى الارض لقبض ارواح من حانت آجالهم من العظماء.

وعندما عرفنا بأن عزرائيل تولّى مهمة قبض الروح مع سيدنا محمدﷺ[4].

ولذا انطلقنا الى زمان النبيﷺ في تلك اللحظات التي ستعرج فيها روح النبيﷺ الى الرفيق الأعلى.

اليوم هو الثامن والعشرون من صفر في السنة الحادية عشرة من الهجرة وقد جنحت الشمس للمغيب جلست مع دليلي في زاوية من الغرفة وقد غمر الحزن مشاعرنا ورأينا أصحاب النبي يحفون بالسرير وهو يناجي ابن عمه ووصيه علي بن أبي طالبؑ وعلي واضع رأس النبيﷺ في حجره اقتربت الشمس من المغيب.. فجأة ظهر جبرئيل ومعه عزرائيل وقد ولجا حجرة النبيﷺ وقد اصطفت الملائكة وكانوا سبعين ألف ملك.

قال جبرئيل: يا رسول الله هذا ملك الموت يستأذنك في قبض الروح وهو لم يستأذن أحداً غيرك قبلك ولا بعدك.

فقال النبيﷺ: أذنت له.

ويلتفت جبرئيل الى عزرائيل قائلاً له: لقد أذن لك.

قال ملك الموت للنبي: ان الله بعثني اليك وخيّرك وأمرني أن اطيعك بما تحب.

---

(١) المصدر السابق ٦ / ١٧٢ ح٥٠.

(٢) المصدر السابق ٦ / ١٦٢ ح٣٠.

(٣) المصدر السابق ٦ / ١٦٢ ح٣١.

(٤) المصدر السابق ٦ / ٤٢ ح٦.

وقال جبرئيل: ان الله مشتاق للقائك.

قال النبي لعزرائيل: بل الرفيق الأعلى[1].

وعرجت روح النبيﷺ الى الله وقد فاح في الفضاء عبير وشذا.

وقال دليلي انطلق بنا الى مكان آخر أريك كيف يقبض ملك الموت روح انسان أسرف على نفسه واتبع خطوات الشيطان.

وانطلقنا صوب جبل شاهق ومن هناك وردنا منزلاً وكان رجل مسجّى في فراشه وقد حلّ ملك الموت قربه يعنّفه على ما أسرف في دنياه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾[2].

وفي مكان آخر رأينا ملك الموت يقول لمحتضر آخر:

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾[3].

ورأينا مع ثالث:

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ۝٢٩ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ۝٣٠﴾[4].

قيل للصادقعليه السلام: «**صف لنا الموت، قال: للمؤمن كأطيب طيب يشمّه فينعس لطيبه وينقطع التعب والالم عنه، والكافر كلسع الافاعي ولدغ العقارب واشد**»[5].

---

(١) المصدر السابق ٢٢ / ٥٢٢.

(٢) سورة النساء: الآية ٩٧.

(٣) سورة الأنفال: الآية ٥٠.

(٤) سورة الفجر: الآية ٢٧ ـ ٣٠.

(٥) بحار الانوار: ٦ / ١٧٢ ح٥٠.
بحار الانوار ٦ / ١٧٣ ح٨.
بحار الانوار ٦ / ١٦٢ ح٣١، ١٧٨ ح٦.
بحار الانوار ٦ / ١٥٤.

=

قال رسول الله ﷺ: **«الناس اثنان: رجل اراح، ورجل استراح، فاما الذي استراح فالمؤمن استراح من الدنيا ونصبها، وافضي الى رحمة الله وكريم ثوابه، واما الذي اراح فالفاجر اراح منه الناس والشجر والدواب وافضي الى ما قدّم»** [1].

سئل الحسن بن علي المجتبى عليه السلام: **«ما الموت الذي جهلوه؟ قال: اعظم سرور يرد على المؤمنين اذا نقلوا عن دار النكد الى نعيم الابد، واعظم ثبور يرد على الكافرين اذا نقلوا عن جنتهم الى نار لا تبيد ولا تنفد»** [2].

عن ابي بصير قال: **«قلت لأي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك يستكره المؤمن على خروج نفسه؟ قال: فقال: لا والله، قال، قلت وكيف ذا؟»** ... الخ [3].

وانطلقنا الى منزل الامام السجاد وسألناه عن حقيقة الموت فقال عليه السلام: **«للمؤمن كنزع ثياب وسخة قملة، وفك قيود واغلال ثقيلة، والاستبدال بافخر الثياب واطيبها روائح، وأوطأ المراكب، وآنس المنازل، وللكافر كخلع ثياب فاخرة، والنقل عن منازل انيسة، والاستبدال باوسخ الثياب واخشنها، واوحش المنازل وأعظم العذاب»** [4].

وسألت الامام الباقر مثل ذلك فقال عليه السلام:

= بحار الانوار ٦ / ١٢٤ ـ ١٣٩ حب لقاء الله وذم الفرار من الموت.

بحار الانوار ٦ / ١٣٩ ـ ١٤٥ ملك الموت واحواله واعوانه وكيفية نزع الروح.

بحار الانوار ٦ / ١٤٥ ـ ١٧٣ سكرات الموت وشدائده، وما يلحق بالمؤمن والكافر.

بحار الانوار ٦ /١٧٣ ـ ٢٠٢ ما يعاني المؤمن والكافر عند الموت، وحضور الائمة عليهم السلام عند ذلك وعند الدفن وعرض الاعمال.

بحار الانوار ٦ /٢٠٢ ـ ٢٨٢ احوال البرزخ والقبر وعذابه وسؤاله وسائر ما يتعلق به.

(١) بحار الانوار ٦ / ١٧٢ حديث ٥١.

(٢) بحار الانوار ٦ / ١٥٤ حديث ٩.

(٣) بحار الانوار ٦ / ١٦٢ حديث ٣١.

بحار الانوار ٦ / ١٧٨ حديث ٦

بحار الانوار ٦ / ١٧٨ حديث ٧ حديث الحارث الهمداني.

(٤) بحار الانوار ٦ / ١٥٥ حديث ٩.

«هو النوم الذي يأتيكم كل ليلة؛ الا انه طويل مدته، لا ينتبه منه الا يوم القيامة، فمن رأى في نومه اصناف الفرح ما لا يقادر قدره ومن اصناف الاهوال ما لا يقادر قدره فكيف حال فرح في النوم ووجل فيه؟ هذا هو الموت فاستعدوا له»[1].

قال دليلي سآخذك الى من يحضره الأئمة لحظات احتضاره، سوف ترى علي بن أبي طالب وابنيه الحسن والحسين وسترى حفيده صاحب الزمان.

وقد تتعجب من ذلك لكنك سترى بنفسك.

قال ذلك وأخذ بيدي الى أحد الاولياء ورأيت عند بعضهم رسول الله ﷺ.. ورأيت هؤلاء الأولياء وقد سعدوا بحضورهم وابتهجوا برؤية ملك الموت لأنه قد قرب اللقاء.. لقاء المحبوب.

وتعجبت من فرحتهم بالموت فقال دليلي: أني لأعجب من تعجبك أليسوا هم عشاق الله، فمن الذي لا يحب لقاء المعشوق وكيف لا يشتاق الحبيب الى حبيبه؟ أليست الدنيا سجن المؤمن؟!

ألم يقل الله سبحانه وتعالى إن من علامات الايمان تمني الموت؟ الم يخاطب الله بني اسرائيل ويفند حبهم المزعوم لله.

ألم يحتج على اليهود بقوله: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۝٦ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ۝٧﴾[2].

وقال الدليل: سأقول لك شيئاً مؤسفاً وهو أن بعض من يدّعي التبليغ للاسلام، يصور سكرات الموت بشكل مخيف ينفّر الناس ولذا تجد الناس يحاولون تناسيه.. بينما الموت في حقيقته هو لقاء الله عز وجل.. وما أحلى لقاء المحبوب..

الموت في حقيقته بداية الخلاص والراحة للانسان.. الانسان عندما يموت كالطالب عندما يغادر قاعة الامتحان ليتنفس الصعداء.

---

(١) بحار الانوار ٦ / ١٥٥ حديث ٩.

(٢) سورة الجمعة: الآيتان ٦ ـ ٧.

سأل أحدهم علياً عليه السلام: صف لنا الموت، فقال: **«على الخبير سقطتم، هو أحد ثلاثة أمور يرد عليه: إما بشارة بنعيم الابد، واما بشارة بعذاب الابد، واما تحزين وتهويل وامره مبهم، لا تدري من أي الفرق هو؛ فاما ولينا المطيع لامرنا فهو المبشر بنعيم الابد، واما عدوّنا المخالف علينا فهو المبشر بعذاب الابد، واما المبهم امره الذي لا يدري ما حاله فهو المؤمن المسرف على نفسه، لا يدري ما يؤول اليه حاله، ياتيه الخبر مبهما مخوفاً، ثم لا يسوّيه الله عز وجل باعدائنا لكن يخرج من النار بشفاعتنا، فاعملوا واطيعوا ولا تتكلوا ولا تستصغروا عقوبة الله عز وجل فان من المسرفين من لا تلحقه شفاعتنا الا بعد عذاب ثلاثمائة الف سنة»**[1].

انطلقت مع دليلي في عالم المكاشفة الى صحراء حيث المئات من أهل المعاصي والعشرات من أولياء الله في سكرات الموت، فجأة رأينا مشهداً لفت انظارنا رأينا المدينة المنورة في زمن النبي صلى الله عليه وآله وفي ابتداء بعثته عليه السلام كان يحدّث اذ قال عليه السلام:

«لو أنّ مؤمناً اقسم على ربّه عز وجل أن لا يميته ما أماته ابداً، ولكن اذا حضر اجله بعث الله عزَّوجلَّ اليه ريحين: ريحاً يقال له المنسيّة، وريحاً يقال له المسخية، فاما المنسية فانها تنسيه اهله وماله، واما المسخيّة فإنها تسخي نفسه عن الدنيا حتّى يختار ما عند الله تبارك وتعالى» [2].

قال لي معلمي: في ليلة الجمعة وبعد قراءة دعاء كميل حصلت لي مكاشفة، رأيت فيها أهل الدنيا يقبرون أفواجاً أفواجاً، كل في حفرته وقد وقف في كل حفرة عدد من الملائكة وكان الطرف الآخر من الحفرة يفضي الى فضاء وسيع والملائكة يستقبلون الخارجين من الحفر بأساليب مختلفة[3].

---

(١) بحار الانوار ٦ / ١٥٤ ح٩.

(٢) بحار الانوار ٦ / ١٥٣ ح٧.

(٣) الامام علي بن الحسين: **«ان القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران»** بحار الانوار ٦ / ٢١٤ ذيل ح٢.

فمثلاً يسلمون على بعض الخارجين باحترام ومحبة، بينما تراهم لا يكترثون للبعض الآخر ويعاملونهم بإهمال، وادركت منذ الوهلة الاولى ان الملائكة تعامل المؤمنين باحترام وتعنف الكافرين بينما لا تكترث للمسلمين الآثمين[١].

قال لي معلمي:

سألني شاب من تلامذتي المجدّين من ذوي الفطنة والذكاء: متى اصبح من أولياء الله؟ هل لأولياء الله من علامة يعرفون بها؟

قلت: ان اولياء الله يحبون الموت وهذه من علاماتهم.

قال: اذا كان الامر هكذا فلا وجود لاولياء الله، لأنه لا وجود لمن يحب الموت أو يريده.

حدثته كثيراً لكني اختصر لك ما قلت له:

صادفت ولياً من أولياء الله في مدينة (ماهان) من أعمال محافظة (كرمان) وكان قد قطع أشواطاً في طريق الكمال..كان شيخاً درس العلوم في النجف وقم ورأى كثيراً من الاساتذة في هذه العلوم وهو من اولياء الله.

قلت له: ما هي ابرز علامات الوليّ؟

قال: ان وليّ الله من كان على درجة اليقين ومن الذين لا يستوجبون العذاب الالهي، فهم الى ربهم يشتاقون وبالموت يسعدون، لأن من كان على يقين بالله توكل عليه واحبه وانقطع اليه عمن سواه، فلا يحب شيئاً غير الله والله سبحانه يحبه، فإذا احبه الله فهو ليّه وادنى درجات الولي انه يحب الموت لأنه وسيلته الى لقاء المحبوب.

---

(١) الامام علي عليه السلام في حديث: **«هو أحد ثلاثة أمور يرد عليه أما بشارة بنعيم الأبد وأما بشارة بعذاب الأبد وأما تحزين وتهويل وأمره مبهم لا تدري من أي فرقة هو، فأمّا وليّنا المطيع لامرنا فهو المبشر بنعيم الأبد وأما عدونا المخالف علينا فهو المبشر بعذاب الابد واما المبهم أمره الذي لا يدري ما حاله فهو المؤمن المسرف على نفسه لا يدري ما يؤول اليه حاله»** المصدر السابق ٦ / ١٥٤.

قال لي معلمي:

رأيت في عالم الرؤيا ملك الموت، يرتدي حلّة بيضاء نورانية دخل عليّ حجرتي.

قلت له فزعاً: ما تريد مني؟

قال: انك لتدعي انك من أولياء الله وأنا رسول الله اليك لامكنك من لقاء محبوبك ومولاك.

فتوسلت اليه ان يتركني وشأني وقلت له: اني لست على استعداد للموت.

قال: لا بأس ابق في هذه الدنيا ولكن فكر مع نفسك، لم انت غير مستعد للموت؟ ابحث عن علّة ذلك فإن وجدتها فانتزعها من نفسك تصبح ولياً لله.

ومن شدّة هلعي وخوفي استيقظت من النوم، فكنت كمن صدر بحقه حكم الاعدام ثم سيق لتنفيذ الحكم وقبل أن يوجه أفراد جوقة الاعدام الرصاص هرب من أيديهم ونجا، فهو مبتهج من جهة ومبهور الانفاس يلهث من جهة أخرى؛ ورحت افكر فيما قاله لي ملك الموت: لماذا الخوف من الموت!

اليست الدنيا سجناً؟

اليس الموت خلاصاً من السجن؟

الستُ أُحب الله؟

اليس الموت وسيلة اللقاء؟

وخلصت الى نتيجة ذلك ان علّة الخوف أمران:

الأول: التعلّق بالدنيا كسجين اعتاد على سجنه وتشبث به.

الثاني: المخاوف من عذاب عالم البرزخ وما يجري في ذلك العالم.

وعلى أيِّ حال بادرت للعمل من أجل اجتثاث العلّتين معاً وبعد معاناة ورياضة تطهرت نفسي من ذلك.

لقد عزفت روحي عن حب الدنيا والتشبث بها ورحت اعزز علاقتي بالله عز وجل، فأنا احب الله وفي قانون الحب ألاّ اتمرد على ارادة المحبوب.

انفذ أوامره وانتهي بنواهيه.

وهنا ادركت معنى الآية الكريمة ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[1].

فأولياء الله هم من يتمنون الموت ويسعدون به لأنه بدء اللقاء.. لقاء المحبوب.

سئل أمير المؤمنين عليه السلام: «**بماذا احببت لقاء الله؟ قال: لما رأيته قد اختار لي دين ملائكته ورسله وأنبيائه علمت أنّ الذي اكرمني بهذا ليس ينساني فاحببت لقاءه**»[2].

قال لي معلمي:

عندما يزكي الانسان نفسه من جميع الرذائل ويزيل عنها جميع الحجب الظلمانية والنورانية ويحوز صفات الكمال ويوجد في نفسه سنخية مع الانسان الكامل والمعصوم وتتجسد فيه صفات الجمال والجلال الالهية يعني صفات الافعال الالهية عندها سيتمنى الموت لأنه وسيلة للقاء المحبوب.

عندها أيضاً يستطيع في نظرة واحدة أن يرى الماضي والمستقبل ويحيط بهما.

ويعيش عالم المكاشفة حيث يرى سكرات الموت وعالم البرزخ والقيامة والجنة والجحيم ويرى عوالم أخرى ما وراء هذا العالم وتكون ارادته ارادة الله فلا يقوم بعمل الاّ بأذنه تبارك وتعالى.

ان كل ما حدثني به معلمي واستاذي وبخاصّة ملكوت العالم وسكرات الموت ينطبق مع الاخبار والروايات وآيات القرآن الكريم.

النهاية



---

(١) سورة الجمعة: الآية ٦.

(٢) بحار الانوار ٦ / ١٢٧ ح١١.

الفهرس

الجزء الأول

الجـزء الثـاني